جامعة الجزائر 02 – ابو القاسم سعد الله –
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة الاغواط بين 1852م–1962م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التَّاريخ المعاصر

اشراف:

إعداد الطالب :

ا. د. دليوح عبد الحميد

بن حرزالله شارف

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
صليحة علامة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجزائر – 2 –	رئيسا
دليوح عبد الحميد	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر – 2 –	مشرفا ومقررا
علاوي فضيلة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجزائر – 2 –	عضوا مناقشا
بلقاسم مُحَمَّد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجزائر – 2 –	عضوا مناقشا
هزرشي بن جلول	أستاذ التعليم العالي	جامعة زيان عاشور – الجلفة –	عضوا مناقشا
بومدين كعبوش	استاذ محاضر "أ"	جامعة عمار ثليجي – الاغواط –	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1443–1444 هـ / 2023–2024 م

جامعة الجزائر 02 – ابو القاسم سعد الله –
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في منطقة الاغواط بين 1852م–1962م

The social, economic and cultural conditions in the Laghouat region 1852AD – 1962 AD

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التَّاريخ المعاصر

اشراف:

إعداد الطالب :

ا. د. دليوح عبد الحميد

بن حرزالله شارف

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
صليحة علامة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجزائر – 2 –	رئيسا
دليوح عبد الحميد	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر – 2 –	مشرفا ومقررا
علاوي فضيلة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجزائر – 2 –	عضوا مناقشا
بلقاسم مُحَمَّد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجزائر – 2 –	عضوا مناقشا
هزرشي بن جلول	أستاذ التعليم العالي	جامعة زيان عاشور – الجلفة –	عضوا مناقشا
بومدين كعبوش	استاذ محاضر "أ"	جامعة عمار ثليجي – الاغواط –	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1443–1444 هـ / 2023–2024 م

University of Algiers 02 – Abu Al-Qasim Saadallah –
College of Human Sciences
Department of History

The social, economic and cultural conditions in the Laghouat region 1852AD – 1962 AD

A dissertation submitted to obtain a doctoral degree in contemporary history

supervision:
P. Deliwah Abdel Hamid

Student preparation:
Ben Harzallah charef

Discussion committee:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
صليحة علامة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجزائر – 2 –	رئيسا
دليوح عبد الحميد	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر – 2 –	مشرفا ومقررا
علاوي فضيلة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجزائر – 2 –	عضوا مناقشا
بلقاسم مُحَمَّد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الجزائر – 2 –	عضوا مناقشا
هزرشي بن جلول	أستاذ التعليم العالي	جامعة زيان عاشور – الجلفة –	عضوا مناقشا
بومدين كعبوش	استاذ محاضر "أ"	جامعة عمار ثليجي – الاغواط –	عضوا مناقشا

University year: **2024–2023 / 1444– 1443**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين

إنّ كل ما مضى من جهد لم يكن ليستقيم عملا منظما لولا فضل الله عليّ ابتداء، ثمّ فضل من أجرى على يده نعمة النفع لي منذ جمع المادة، إلى إعادة بناء الموضوع حتى انتهى اطروحة ناظرة إجازة من المناقشين.

فجزيل الشكر، وعظيم الامتنان، للدكتورة يحياوي مسعودة صاحبة السبق معرفة واشرافا وتنازلا لظروف فرضتها سيرورة الحياة المهنية، والشكر موصول بالمشرف على الموضوع الدكتور دليوح عبد الحميد، الذي كان أُسّا لي من زمن الدراسة الأول، مرورا بلحظة البحث في الموضوع، إلى أن استقام منظوما بين دفتين، نغّصتُ خلالها عليه أوقات راحته، فكان كما عهدتّه صبورا وقورا وتلك شيمة الشرفاء، فالعفو العفو دكتور.

الشّكر متّصل أيضا بالذين اجهدوا أنفسهم النّكت في الاطروحة حرفا حرفا، حرصا منهم على أن تكون نصّا تاريخيّا يقارب للحقيقة من زاوية المعارف والمناهج، ناهدين بذلك رفع الشوائب التي تعتريها شكلا ومضمونا، فكانوا لي عونا هم أيضا، مشاركين لي همّ التنقيح والتعديل.. والتقويم أيضا، واتجه قصدا بذلك الى الدكتور بومدين كعبوش، والدكتور قدور طيفوري.

الى الذين تكرموا بقراءة الرسالة، واقفين على مواطن النقص فيها والخلل، مقومين للخطإ فيها والزّلل، فدخلوا بذلك دائرة المرحومين، فقد أهدوا إليّ عيوبي.

الى كل من أسهم من قريب او بعيد في البحث..

الى الجميع .... شكري ودعواتي.

إهداء

الى الذين لا يكتمل الرضى الا بهما، جلالة الوالدين...

امي التي آوت ونصرت خلال لحظات الضعف والوهن، الى ان بلغت اشدّي جسما وعقلا ولَيْتَ لي ما أقوى به على رد بضع من الجميل، ولكن هيهات هيهات.. لك الله جازٍ، وحسبنا منك المسامحة..

ابي الذي شدّ على كلّي، لأجل هذه اللحظة التي احسبه يعدّ لها منذ امد، فالله لك يا أبت...

اخوتي الذين كانوا سندا لي بتشجيعهم، وصبرهم عليَّ، أحسبهم سدا يصد الكدر إذ يعوي.

الى أمِّ مُحَمَّد سعد الدين، الله يعلم كم كنت جافيا، فكانت الام نعم القريب، وتمثّلت اخلاق النساء المسلمات، فكانت العون – بعد الله – طيلة مراحل الدراسة النظرية والتّطبيقية، على الله اجرك...

الى ابني وبناتي الاربع، مُحَمَّد، وضحى، وسجى، وتسنيم، وتسبيح، زخرف الدينا وزينتها، وذخر الآخرة وثوابها...

الى كل محب للعلم.....

الى اخوتي في فلسطين غزة الجريحة ....

الى كل هؤلاء أهدي هذا العمل .....

مختصرات:

01- بالعربية

تح: تحقيق

تر: ترجمة

تق: تقديم

درا: دراسة

دت: دون تاريخ

د د ن: دون دار نشر

دط: دون طبعة

مج: مجلد

مخ: مخطوط

س: سلسلة

02- بالاجنبية

Edit:Edition

Op.cit: Opero citado

P: Page

P P: De la page a la Page

VOL: Volume

Ibid: Ib

مقدمة

مقدّمة:

ترسّخ في الذّهن من زمن بأن كتابة التّاريخ الوطني قضيّة وطنية كونها على علاقة بأمن الوطن ووحدته،على الأقلّ من الناحية التاريخيّة التي أضحت من أخطر ما تؤتى منه الاوطان وحتّى نسلم من دسائس الكائدين للتاريخ، ينبغي إخضاع الدراسة للموضوعية التي تنأى بها عن أي مزايدات فكريّة، أو اعتبارات إيديولوجية، من أجل دحض المزاعم والمغالطات التي تأتينا من وراء البحر، وللتحرر من الوصاية المنهجيّة التي تكبح الفكر خلال رحلته نحو الحقيقة، لأن الطرف الآخر استأثر بآليات البحث التاريخيّ ومدارسه المنهجيّة، واحتكر المادة الأرشيفيّة كودائع أبديّة، حتى لا يتيح لنا فرصة دحضافتراءاته المبثوثة في المراجع والدراسات[1].

01- الموضوع .. حدوده وأهميته

وقد خالطني الحماس من زمن الماجستير، حيث استوقفتني مقولة ردّدها الدكتور شاوش حبّاسي مفادها أنّ: "...التاريخ لا يقرأ من الطائرة ... إنّما يكون على الأرض،حيث الاحتكاك بالواقع ... وعليه فإننا مجبرون على إعادة النظر في فهمنا للتاريخ وخاصة تاريخ الجزائر...".

وبما أنّأيّ دراسة علميّة ينبغي لها أن تستقرأ التاريخ ابتداء من الجزء وصولا الى الكلّ فإنّ معالجة أحداث الثورة عموما يكون باكتناه حيثيتها في كلّ قطر من أقطار الوطن،إذ بذلك يمكن بناء التاريخ الوطني وتسهيل عملية الانسجام بين جزئياته حتى يصبح وحدة متكاملة.

إنّ عمليّة استقراء التّاريخ الوطنيّ ككل، وتاريخ الثورة خصوصا، ليست بالامر اليسير إنّها مسألة تقتضي إجهاد الذات وإيقاظ الخبرات، يضاف إلى ذلكأنّالشهادات والوثائق التي هي اليوم في المتناول قد يطالها الضياع، وهي مأساة تضاف إلى المآسي التي طالت التاريخ بأقلام الأعداء.

هذه المستجدّات والرؤى، دفعتني دفعاإلى الحرص على معرفة تاريخ المنطقة التي أنا أحد أبنائها،وإذا كانت ضرورات البحث والتخصّص العلميّ قد كانتا حافزاي الأكبر لخوض هذا الموضوع فإنّ انتمائي إلى هذا الوطن، وإلى الأغواط خصوصا، هي الدافع الأوّل للكتابة، حتّى ولو لم تتح لي فرصة الدكتوراة،فإنّي كنت سأكتب، والحمد لله أن اجتمع الاثنان.

---

[1] معظم أرشيف الجزائر خاصة المتعلق بفترة الاحتلال وحتى العهد التركي الذي تم الاستيلاء عليه أثناء الاحتلال موجود بفرنسا بأكس بروفنس وفانسان ووزارة الدفاع الفرنسي.

هذا وقد استقرّ الفكر على أن يكون موضوع البحث " **الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة في الاغواط 1852-1962م**"، وهو موضوع جدير بالطرح كونه يكشف عن مكنون الوضع العامّ في هذه المدينة من جهة، ويغطّي جوانب مغمورة لم تلق كبير اهتمام من الباحثين في التاريخ المحليّ للجزائر.

وقد حصرت الدراسة ما بين سنّي 1852م إلى 1962م لاعتبارات منها: أن منطقة الجنوب كانت خاضعة للحكم العسكريّ، ممّا جعل الاوضاع سابقة الذكر تخضع للامهال العمد بحكم اللامبالاة التي ترافق الحكم العسكريّ عموما، هذا من جهة.

ومن جهة اخرى، ما ستعرفه الاغواط بعد احتلالها سنة 1852م من تغييرات استغرقت كل مناحي الحياة الاقتصادية والثقافية، اللتان ستتلونان بلون الامبريالية النّهمة وبالفرنسة والتّبشير المكرّسة للاحتلال الثّقافيّ، بل قد امتدّ ذلك الوباء ليصيب التركيبة الاجتماعية التي ستعرف نسيجا اجتماعيا جديدا من خلال العناصر الدخيلة التي جاءت تحت مسمّى سياسة الاستيطان والتّجنيس، والتي استمرّت الى الاستقلال، وما بين المرحلتين -الاحتلال والاستقلال- كانت الثورة المباركة التي جهدت فرنسا نفسها في سبيل وقفها، عن طريق خلخلت الاقتصاد، الثقافة، والمجتمع بمصادرة الاراضي، والتجهيل، وتقسيم المجتمع تحت مظلّة "فرّق تسد".

02- الإشكالية

ولعلّ ما وقعت عليه اليد من المادّة العلميّة قد شكّل عبئامنهجيّا عكس المتوقّع؛ فقد وجدتني أخضع هذه المادة إلى التمحيص والتحليل،ناهدا من وراء ذلك التالتحرّر من استقطاب الانتماء، والالتزام بالإجابة على الإشكاليات التي طرحها الموضوع، وأراني قد استقرّ الفكر على إشكال عامّ الآتي:

إلى أيّ مدى كان تأثير الاستدمار الفرنسي على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على ساكنة الاغواط من لحظة سقوطها في يده سنة 1852م الى لحظة تحرّرها من قبضته سنة 1962م؟

هذه الاشكالية المركزيّة قد دارت حولها تساؤلات فرعيّة شكّلت وحدة متكاملة للموضوع، وقد حصرتها في التالي:

1–كيف كان الوضع العامّ في الاغواط قبل احتلالها سنة 1852م ؟

2–ما السياسة التي انتهجتها فرنسا لتدجين الاغواط على جميع الاصعدة الاجتماعية ولاقتصادية والثقافيّة ؟

3– ما هي إنعكاسات هذ السياسة على الواقع الاغواطيّ؟

4–ما هي آليات الصمود التي انتهتجها الساكنة ضدّ معاول الغزو تلك؟ وهل استطاعت ان تنأى بالمجتمع عن جاذبيّة الاغراء؟

03– خطّة الموضوع

وحتى أستوفي الموضوع حقه، اعتمدت خطّة رأيتها أنسب لمعالجته، قوامها خمسة فصول واحد منها تمهيديّ، وهي كالأتي :

حوى **الفصل التمهيديّ**مسحةاستقصت منطقة الأغواط قبل الاحتلال تاريخا وجغرافيا، حيث إرهاصات التأسيسحسب الدراسات التاريخية والأثرية، إلى ان استقامت حاضرة، ثم تتبّعت تطورها خلال الفترة الحديثة،وأخيرا عرّجت على الاحتلال الفرنسي لها، وما كان من حيثيات المواجهة التي خلدتها جرائم الكلوروفورم ذات الرابع من ديسمبر من عام 1852م.

أما **الفصل الأول** فقد تناولت فيه مجتمع الاغواط، وحاولت الالمامبتشكيله من خلال التركيبة البشريّة التي ميّزته وقتذاك، حيث عالجته على جزئيّتي سكان الحضر، وسكّان البدو وهي التّركيبة المجتمعيّة التي سبقت السياسة الاستدماريّة التي أضافت عناصر جديدة من اليهود والنّصارى، مرورا بالنّكت في العادات والتقاليد التي كانت الرابطة بين القبائل الاغواطية تلك الرابطة التي حاولت فرنسا طمسها ببدعة الألقاب والكنى الهادفة الى إحداث الشرخ في النظم القبليّة لتطويق امتداد المقاومة التي اشتعل فتيلها بعد نكبة 1852م.

وجاء **الفصل الثاني** ليعالج الوضع الاقتصاديّ بالمنطقة، حيث بسطت خلاله واقع الزراعة والصناعة والتجارة، وما كان من منتوجات وسلع حركت عجلة الاقتصاد آنئذ، وهي العجلة التي ستعرف تحويرا لها من تلبية حاجيات الساكنة الى سخريتها لخدمة المحتل الفرنسيّ عن طريق مصادرة الاراضي، وزراعتها بما يلبي حاجياته من الغذاء، ثمّ تداول العملة الفرنسية عوض العملة المحليّة التي كانت محرك التجارة.

استمرت عملية الاخضاع لتمتدّ الى الثقافة، وهي موضوع **الفصل الثالث**، حيث حاولت فيه الالماع الى الموروث الثقافيّ الذي وحّد المجتمع الاغواطي قبل الاحتلال، وهو –الموروث الثقافيّ– الذي سيشهد زحزحة فكريّة ممنهجة تهدف الى محاولة سلخه واجتثاثه من دائرة الاسلام والعروبة، الى دائرة التغريب والفرنسة، عبر سياسة الفرنسة والتبشير، وعبر البرامج التربويّة والتعليميّة، وهي السياسة التي جوبهت بردّات فعل رجال الاصلاح الذين تصدّو لذلك الغزو بواسطة النوادي والزوايا التي حملت على عاتقها مسؤولية نشر العربية، وترسيخ قيم الاسلام بين الساكنة.

السياسة الفرنسيّة التي انتهجتها فرنسا اصطدمت –على اعتاب النصف الثاني من القرن العشرين– بالثورة المباركة التي قوّضت اهداف فرنسا في الجزائر عموما، وفي الاغواط خصوصا وهي الفترة التي عرفت ثورة على القيم والنظم الفرنسيّة، وتكريسا للقيم العربية الاسلاميّة، من خلال العمل على التغيير الشامل للواقع الاغواطيّ، والعودة الى الموقع الطبيعيّ للمنطقة كجزء من الحضارة العربية الاسلاميّة، ومنه تحرير المجتمع والاقتصاد والثقافة من هيمنة فرنسا، وهو ما حواه **الفصل الرابع** والأخير.

وكانت **خاتمة** اطروحتي مجموعة استنتاجات وخلاصات توصلت اليها بعد سلسلة التحليل والنقد والاستقصاء.

04– منهج الدراسة

وقد استدعت هذه الخطّة منهجا تاريخيا قوامه بسط المادّة بسطا يحوي ما تظمّنته الوثائق من معرفة، ثمّ تحليلها والوقوف على خلفياتها وسياقاتها، هادفا من وراء ذلك الوقوف على ما توفّره من معارف تتوارى خلفها، وخلال ذلك كلّه استدعي المنهج الوصفيّ حال تقديم المنطقة جغرافيا، والمنهج الاحصائيّ حال الاحاطة بالقبائل وتعداد السكّان.

05– بسط المصادر والمراجع

وكان سندي حال تحرير الاطروحة جملة من مصادر ومراجع أهمّها :

1– الشهادات الحية : رغم قلتها تمثلت في شهادات لمجاهدين ومعاصرين للأحداث مثل : المجاهد أحمد بن الزوبير (أمين ولائي للمنظمة الوطنية للمجاهدين بالأغواط)) وشهادة السيد عيسى مشتح المدعو سي عبد الله (عضو لجنة الأغواط) وشهادات مجاهدين آخرين مثل ابن السايح بن حرز

الله،وشهادة الشقار الثعالبي أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين وآخرين لم يسعفن الحظّ لمقابلتهم ومنهم من كتبت لهم أسئلة ولم تصلني إجاباتهم، ولكن حاولت أن أقوم بعملية المقارنة بما هو منشور سواء في التقارير الولائية لكتابة تاريخ المنطقة أو في الوثائق المتاحة.

كما أنني –وأثناء عملية جمع الشهادات– تحصلت على مجموعة من الشهادات المكتوبة قام بها مكتب المنظمة الوطنية لأبناء الشهداء المكتب البلدي لقصر الحيران، حيث قامت بجمعها لجنة مشكلة من أساتذة وطلبة في إطار كتابة تاريخ المنطقة والذين أمدوني بها بكل سخاء. والملاحظ أن هذه الشهادات تخضع لشروط المقابلة العلمية فلهم مني كل الشكر وخاصة الأستاذ موسى بوظبة.

2– الشهادات المنشورة : ساهم بها مجاهدون عاصروا الأحداث وشاركوا فيها والتي قدموها أثناء ملتقيات أو لقاءات صحفية نذكر منها.

– شهادة عيسى كريريش: في سرد لمسيرة النضاليين بالمنطقة في مجلة المصادر الصادرة عن المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.

– شهادة عمر صخري : الذي قدم شهادة حول تنظيم الثورة بالولاية السادسة في مجلة أول نوفمبر الصادرة عن المنظمة الوطنية للمجاهدين.

– التقارير الولائية والجهوية لكتابة تاريخ الثورة الجزائرية المقدمة من طرف المنظمة الوطنية للمجاهدين على لسان مجاهدين عاشوا أحداث الثورة.

3– الأرشيف : وتتمثل في مراسلات قيادة الناحية الرابعة بالولاية الخامسة والناحية الثانية بالولاية السادسة أغلبها موجود لدى المجاهد عيسى مشتح المدعو سي عبد الله الذي كان على إتصال بقيادة الثورة سواء بالولاية السادسة أو الخامسة.

بالإضافة إلى رسائل لشخصيات تاريخية كتبت بعد الثورة الاستقلال كإشهاد على نضال مؤسس لجنة الأغواط الأولي سي أحمد بن سالم،س وهي لكل من فرحات عباس، بن يوسف بن خدة والصادق دهيليس، بالإضافة إلى رسالة لشيخ الطرقية القادرية بورقلة إلى مسؤولي المنظمة المدنية بالأغواط وكذلك شهادة أحمد بن عبد الغاني للمجاهد بلقاسم بن بن الشاوي.

بالإضافة إلى وثائق فرنسية، منها ما هو موجود بالأرشيف الوطني ببئر خادم مثل منشورات القضايا الإسلامية سنوات 53 و1954، وهو متعلق بالزوايا وجمعية العلماء كما إعتمدت على

تقارير تحقيق الدرك والحالة المدنية التي قام بها الفرنسيون أثناء وقوع الأحداث وقد سلمت لي من طرف مسؤول منظمة المجاهدين بالولاية.

[وقد عثرت على مخطوط لصاحبته الفرنسية أوديت بوتي، وهو عبارة عن دراسة إجتماعية للمنطقة في بداية الإستقلال، وهو يحتوي على معلومات هامة لقدرتها صاحية في الحصول على المعلومات الرسمية وهو موجود بمكتبة الآباء البيض بالأغواط].

4- مذكّرات شخصية : من حسن حظي أنني الوحيد من أبناء المنطقة الذي كتبت مذكراته وأنا في طريق إنجاز البحث، وهو المجاهد مصطفى بن عمر الذي يعتبر من مثقفي المنطقة والذي تقلد مناصب وزارية في الجزائر وقد عمل أثناء الثورة بعدة ولايات تاريخية.

كما إستعنت بمذكرات المجاهد سي لخضر بورقعة، الذي قدم إشارات إلى الحركات المناوئة، مثل حركة بلونيس حسب ما عايشه ولقد ساعدتني على فك بعض رموز الاشكالية المطروحة والربط بين الأحداث.

5- الكتابات : لا توجد كتب كثيرة التي تكلمت عن تاريخ المنطقة أثناء الثورة التحريرية إلا من بعض الإشارات المنتشرة والناقصة وربما كان إعتمادي على الكتب في التمهيد للموضوع، ودراسة تاريخ المنطقة قبل الثورة الجزائرية مثل ابن خلدون في تعريف للأغواط، أو مولاي بلحميس ومناصرية يوسف في حديثه عن وجود الأمير عبد القادر بالأغواط.

وهناك كتابان تعرضا لتاريخ الثورة بالمنطقة مثل كتاب الشيخ سليمان غزال الناشط بجنوب الولاية لصاحبه بومدين بوداود وكعبوش بن حرز الله وكتاب للشيخ بيوض، طبع بعد وفاته والذي تعرض للنشاط الثوري بمنطقة غرداية والأغواط وإتصالات مع ثوار المنطقة، كما أشار العماد طلاس في "كتابه الثورة الجزائرية" لإحدى معارك المنطقة الشهيرة، والتي سماها بمعركة الجنوب.

بالإضافة إلى ذلك فقد إعتمدت على بعض الدراسات والمقالات المنشورة بالدوريات وخاصة المتعلقة بقضية فصل الصحراء مثل دراسة الدكتور العربي الزبيري والأستاذ كواتي مسعود المنشورة في سلسلة ملتقيات المركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر حول محاولات فرنسا في قضية فصل الصحراء.

وعن الكتابات باللغة الأجنبية فلم تتعد تلك التي تتحدث عن الأغواط قبل الثورة الجزائرية مثل "الأمير خالد" كتاب حول أوضاع المسلمين الجزائريين في رسالة موجهة لرئيس هريو سنة 1924 والذي جعل من ثكنات الأغواط كمثال على السيطرة العسكرية التي لا حول للسكان بها ولا قوة، أو لزهاري لبتر الذي كتب مقتطفات عن الأغواط في قالب إيحائي أدبي في كتابه "عودة إلى الأغواط" بعد ألف سنة من بعد بني هلال، بالإضافة إلى كتابات أخرى لم تختص بدراسة المنطقة وإنما عرجت على بعض المحطات، مثل مُحَّد تقية في كتابه "الجزائر في الحرب" أو كتاب مُحَّد قنطاري في كتابه "التنظيم السياسي والإداري والعسكري للثورة الجزائرية ما بين 54-1962".

06- صعوبات البحث

وخلال مسيرة البحث كانت بعض المشاكل والصعوبات قد واجهتني أثناء القيام بدراستي للموضوع، والتي لم تكن بالأمر الهين وأجملها في ما يلي :

- تمحيص المادة والذي تطلب مني جهدا إضافيا في المقارنة مع بقية المصادر والذي تطلب مني الكثير من التريث والحذر للوصول إلى الحقائق الموضوعية ولأجل ذلك فقد إعتمدت المنهج التاريخي التحليلي عن طريق تتبع الأحداث التاريخية ودراسة الشخصيات الفاعلة في الأحداث والعودة إلى الخرائط الفرنسية العسكرية التي ترصد التحركات وتوضح المسالك والطرق من وإلى منطقة الأغواط)
- رحيل الكثير من صانعي الأحداث بالمنطقة عن الحياة، ورحل معهم بذلك إرث تاريخي هام إلا من بعض الآثار التي تركوها وراءهم والتي لا تعدو أن تكون طلاسم وذكرى جميلة إحتفظ بها أبناؤهم كتذكار لا يشبع ولا يسمن البحث.
- معظم الذين قابلتهم من مجاهدين كانت شهاداتهم عامة وإجابات غير دقيقة نظرا لكبر سن البعض ولمحدودية ثقافة البعض الآخر والتي لم أستطع أن أوظفها في خدمة الموضوع.

وفي الأخير لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني في إتمام البحث وإخراجه على الشكل الذي هو عليه، وأخص بالذكر أستاذي الدكتور عبد الحميد دليوح صاحب الإشراف على هذه الدراسة، والذي لم يدخر جهدا في معالجة المذكرة وتصحيحها وصبره على طول مدة البحث والانجاز.

وفي الختام لا أزعم أنني إستوفيت الموضوع حقه رغم ما بذلت من جهد ولكن حسبي أنّي بذلت وحاولت وعانيت التجربة وتحديت مصاعبها، عل ذلك يشفع لي وخاصة عند من مارس البحث الميداني وعاش معاناته، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ويكفيني إني عملت، فمن لا يعمل لا يخطئ.

والله من وراء القصد.

الفصل التمهيدي: منطقة الاغواط .."الاصول والتغييرات"

المبحث الأول: الاغواط.. حفريّة طوبونيميّة:

المبحث الثاني: منطقة الأغواط في الفترة الحديثة: "بروز المجال وصراع التبعية":

المبحث الثالث: التغلغل الفرنسي في منطقة الأغواط (1830-1850): بين صراع الولاءات والاضطرابات المحلية :

المبحث الرابع: انتفاضة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله وبن ناصر بن شهرة وسقوط المدينة 1850-1852:

توطئة:

مكّن استقراء الشواهد المبثوثة بجغرافية الأغواط من الخلوص الى كونها عرفت تعاقب حضارات بشرية تفرّقت على حقب التاريخ، حيث أضحى لكل منطقة بالمدينة حضارة و أصول تاريخية تستقل بها عن غيرها، فمن خلال الدراسات الأنتروبولوجية التاريخية للاغواط، والحفر في آثار النشاط البشري والعمراني بها، تبيَّن انها امتدّت في التاريخ، الأمر الذي ينمّ عن العمق التاريخي لها، وعن مدى اتصالها بالعصر الحجري حيث الانسان الأوّل [1]، مرورا بالحضارة البربرية، وصولا إلى الحضارة الإسلامية والعربية، ومنها إلى الاحتلال الفرنسي، وسأحاول من خلال الفصل التمهيدي بيان أصل سكان مدينة الأغواط، والتطور التاريخي لهذه المنطقة، وعمدتي في ذلك المصادر والمراجع والوثائق المتاحة والشهادات المستقاة من شهود الوقائع التاريخيّة.

المبحث الأول: الاغواط.. حفريّة طوبونيميّة:

01- الاغواط جغرافيا:

تمتد الأغواط فلكيا بين خطي طول 03° و06° شرقا، وبين خطي عرض 33° و48°شمالا وعلى ارتفاع 751 متر على سطح البحر، ضمن الشّريط السّهبيّ الذي يحاذي جبال الأطلس الصحراوي من الجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية ، وتقع مدينة الأغواط على ضفة أحد كبريات الأودية التي تتوغل بالصحراء وهو وادي مزي الذي تغذيه ينابيع جبل العمور، شيدت هذه المدينة على حافتي جبل " تيزيقرارين " حيث تصطف الدور كالمدرجات على منحدرين من هذا الجبل مكونة واحة شمالية غربية و أخرى جنوبية شرقية، وعلى ثلاث مرتفعات صخرية، الأولى المطلة على وادي

[1]- يحددها بعض الدارسين بوجود النقوشات الحجرية التي يعود تاريخها إلى فترة ما قبل التاريخ أي (2500 إلى 7000 ق م) والدليل على ذلك الشواهد المادية التي عثر عليها في المحطة الأثرية بالحصاصة، واللوحة التاريخية لمحطة صفصافة التي أكتشفت من طرف النقيب موسني Mausen سنة 1898، كما أشار الأستاذ أحمد التاوتي إلى أنه تم إكتشاف محطة حلزونية أو رمادية لإنسان مشتى عربي (1500-1800 ق م) جنوب شرقي الأغواط، أما ما يتعلق بالقرون الأولى للتاريخ فترجعها إلى الآثار المنسوبة إلى غزاة إفريقيا الشمالية من فينيقيين وورومان وبقايا بربرية تمثلت في وجود سد روماني بوادي جدي، كما توجد في المنطقة آثار شاهدة على وجود سكان من الحضر أصليين أطلق عليهم فيما بعد إسم " برابر " ولقد مارسوا الفلاحة خاصة نخيل التمور أنظر : (Y. Blanchard pérevillaret ; gravures rupestres de l'atlas saharien. H. Lote - station de hasbaïa, p 143.

مزي وتحوي ضريح الولي الصالح سيدي عبد القادر والثانية بالوسط وتحوي البرج الغربي " قلعة بوسكارين العسكرية "، أما الثالثة فغربا وتحوي ضريح سيدي الحاج عيسى، وبالامتداد غربا نجد صخرة الكلاب "بقصر الصادقية "، وبالمقابل نجد بالشمال الغربي سلسلة كاف الأحمر وكاف مقران، وهو الموقع المنيع الذي يمثله جبل تيزي قراين ووفرة المياه بوجود منبع مائي مثل راس العيون و وادي مزي، والأغواط الخصبة كالضايات الغربية الشرقية والسهوب، وكل هذه و مثلما ساهمت في تواجد الإنسان على مر العصور، فقد جلبت إليها النزوحات القبلية القديمة من شتى الأصقاع ،[1] وتشتهر الأغواط ببساتينها الغناء الكثيرة والتي تنتج الخيرات حتى سميت بمدينة البساتين وقد أشاد بمناظرها الخلابة العديد من الكتاب والرسامين من أمثال أوجين فرومنتان E. Fromentin.[2]

تقع ولاية الأغواط جنوب العاصمة على بعد 400 كلم، انبثقت للوجود من خلال التقسيم الإداري لسنة 1974، مساحتها تقدر بـ 25052 كلم2 ، تضم الولاية 10 دوائر و 24 بلدية ، تتوسط القطر الجزائري، تقع شمال الصحراء، و جنوب الشمال الجزائري، يحدها من الجنوب ولاية غرداية، ومن الشمال والشرق ولاية الجلفة، و من الجنوب الغربي ولاية البيض، مع حدود الشمالية الغربية لولاية تيارت ، تنقسم إلى منطقتين، منطقة شمالية هي منطقة الأطلس الصحراوي، و أخرى جنوبية هي المنطقة السهبية ،تعتبر مدينة الأغواط همزة وصل بين جميع المراكز العصرية من إفريقيا إلى التلول و السواحل و في ربط الجسور المغاربية و الصحراوية من خلال معابرها الهامة أو التجارية نحو السودان إلى حد أن الفرنسيين يقولون بأنهم عندما احتلوها قد احتلوا عاصمة ثانية للجزائر.[3]

02- **أصول التسمية :**

[1]- Mangin. E: Note sur l'histoire de Laghouat, revue Africaine N° 37, 1893, P 360.،

[2]- Fromentin. E : Un été dans le sahara 3ème édition paris 1856, p 73.

[3]- E. MANGIN ,op.cit,p323-325

هناك مجموعة من الآراء حول أصل التسمية نجملها في ما يلي:

أولا: نسبة إلى قبيلة الأغواط : جاء ذكر هذه القبيلة لدى مؤرخ الدولة العبيدية أبي عبد الله الصنهاجي في كتابه حين يتحدث عن إقامة مُحَمَّد بن خزر الزناتي للدعوة الفاطمية باسم المنصور بالله الفاطمي[1].

ويعرف ابن خلدون قبيلة الأغواط بقوله: " وأما لقواط وهم فخذ من مغراوة أيضا، في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد، ولهم هناك قصر مشهور بهم، فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغله في القفر، وهم مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب، وبينهم وبين الدوسن أقصى عمل الزاب مرحلتان، وتختلف قصورهم إليه لتحصيل المرافق منه... "[2].

ثانيا : نسبة إلى البساتين: نجد أن المصادر الفرنسية وعلى رأسها جون ميليا (J) Millia صاحب كتاب الأغواط أو المدينة المحاطة بالبساتين (Lagouat ou Les maisons entourées de jardins) وأوديت بيتي (O) Petit صاحبة كتاب محاولة حول التاريخ الاجتماعي لمدينة الأغواط ((Essai d'histoir social sur la ville de Laghouat تجمع على أن اسم الأغواط مشتق من كلمة غوط أو غوطة، وجمعها أغواط أو الأغواط ، [3] وهذا الطرح يتبناه أيضا سكان المدينة بمختلف مشاربهم أي أنهم يرون أن الأغواط في أصلها جمع غوطة،كما نجد الشاعر الكبير مفدي زكريا يذهب إلى نفس الرأي حين يتحدث عن مدينة الأغواط في إلياذته حيث يقول (المتقارب):

أبا الغوطتين يباهي الشآم * فأغواطنا بالشآم استخفا**

كــأن حدائقه العابقات * نوافج مسك تضوعن عرفا**

ولعل هذا ما استقرت عليه آراء الباحثين في أصل التسمية ومنهم الشيخ مبارك الميلي الذي يقول بعد استعراضه لرأي ابن خلدون:" والمحقق عند أهلها وأعرابها أن الهلاليين تغلبوا على أطراف

[1]-أبو عبد الله الصنهاجي ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم، تحقيق أحمد جلول بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 70، 71.

[2]- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ،ط 2 ،دار ابن حزم، بيروت، 2011، مج 1، ص 2707.

[3]- (O) Petit ,Essai d'histoir social sur la ville de Laghouat ,collège de Paris ,1976 ,p

مدينتهم وبها بستان يعرف اليوم باسم بني هلال، [1] وفي هذا الصدد يقول يقول الدكتور عطاالله دهينة في موجزه : " فهو مشتق من كلمة غوط أو غوطة، وجمع الغوط أغواط ومعناها بالفصحى مكان وجود الماء والإخضرار ... وصيغة الجمع هذه تبين أن هناك في أول الأمر واحات صغيرة عديدة ومنفصلة عن بعضها البعض ولها أسماء بقي منها حتى يومنا هذا وقد أطلقت على أحياء الواحة الشمالية ... مثل الزبارة والقصبة والصوادق... إلخ.[3]

ثالثا: الجبال المحيطة بالمدينة: يرى دوران دولاكر أحد المهتمين بتاريخ المدينة غداة الاحتلال الفرنسي فإنه يرجع أصل تسميتها إلى طبيعة الجبال المحيطة بالمدينة، والتي تسمى الأغواط باللهجة البربرية ومعناها الجبال المسننة[2]، ولكن هذا الرأي التعريف لا يعدو كونه صادرا عن سائح مر بالمدينة دون أن يعتمد على مصدر موثوق به أو وثيقة تاريخية أو حتى رواية شفوية من سكان المدينة.

رابعا: نسبة إلى تسميات ساذجة أو غير واقعية: هناك روايات عديدة تدور حول أصل تسمية المدينة لكنها كلها بعيدة عن الحقيقة وغير منطقية وعامية وساذجة ، ومثالها من يزعم أن " لقواط " جمع قوطي باللهجة العامية أي العلبة التي تصنع من الحلفاء توضع بداخلها مختلف الأشياء، والحلفاء هي نوع من أنواع النبات منتشر في المنطقة، وهذا المصطلح لا زال يستعمل الى يومنا هذا بحيث يطلق على علبة مصنوعة من المعدن التي توضع فيها المصبرات.[3]

3-**الساكنة الأوائل:** يعود التعمير البشري في منطقة الأغواط إلى عصور قديمة جدا كما تبينه بعض الرسومات الحجرية التي تعود إلى العصرالحجري الحديث الممتدة بين 09 إلى 06 آلاف سنة قبل الميلاد و هي موزعة بين: سيدي مخلوف، الحصابية، الميلق، الركوسة، الحويطة، فالمعطيات المناخية النباتية و التضاريسية للأغواط مثلما ساهمت فيتواجد الإنسان ما قبل التاريخ فقد جلبت إليها النزوحات القبلية القديمة و هذا ما تبينه بعض البناءاتالأثرية من العهد الروماني، اتخذت كتحصينات و

[1]- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ج2، ص212.

[2]- (D) Lacre ,Visite a Laghouat ,Alger ,1924 ,p 13.

[3]- أحمد الأمين، **مدينة الأغواط الحياة الثقافية خلال فترة الاحتلال–مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط**، اتحاد الكتاب الجزائريين أعمال الملتقى الأول أفريل 1998، الأغواط، الجزائر ،،1998، ص 78.

أبراج المراقبةللاقتفاء أثر بعض الحركات المناوئة لها من نوميديا أو جيتوليا (التسميةالجغرافية للجنوب في التاريخ القديم)[1].

إن تاريخ أصل الأغواط ضارب في أعماق التاريخ، فقد سكنها الإنسان منذ جميع الفترات التاريخية وهذا ما تشهد عليه الرسومات الحجرية بالميلق. و أطلال بعض القصور البربرية التي يكشف الغطاء عن بعض أغوار هذا التاريخ، وعن سكان الأولون للأغواط فقد جاء في تاريخ إبن خلدون أن بني الأغواط هم فرع قبيلة مغراوة التي هي بطن من بطون زناتة البربرية، ومما أورده أبن خلدون قوله " و أما لقواط (هكذا بالقاف) هم فخذ من مغراوة أيضا، فهم في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد و لهم هنالك قصر مشهور بهم فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغله في الفقر، و هم مشهورين بالنجدة والإمتناع من العرب و بينهم وبين الدوسن أقصى عمل الزاب مرحلتان، وتختلف قصودهم إليه لتحصيل المرافق منه، و الله يخلق ما يشاء ويختار.-[2]"

ومما يدل على الأثر البربري القديم بالمنطقة عدة ألفاظ مازالت متداولة كالهضبة التي إختطت عليها المدينة وهي جبل تيزي قرارين، و بعض المناطق ك : تاونزة، تلغيمت، تامزيغت ...الخ، ومن أسماء التمور المعروفة بالواحة نجد: تادالة – تيزاوت – تيمجهورت... و التي تشهد بأصولها البربرية.

وترجع بعض المصادر أن تأسيس الأغواط يرجع إلى السنوات الأولى من قدوم بني هلال إلى المنطقة بتاريخ 1045م، وهناك دراسات أخرى ترجعها إلى منتصف القرن التاسع الميلادي أي سنة 850م بقدوم العرب الفاتحين،[3]ولكن المرجح أن تاريخ إنشاء المدينة بصفة نهائية إلى بداية القرن 11 ميلادي بعد هجرة الهلاليين سنة 1045 ، [4]إبتداءا من هذا التاريخ شهدت المنطقة نزوح لقبائل عربية كبني هلال و بني سليم الذين قدموا من الجزيرة العربية " الحجاز و نجد " و من الدولة الفاطمية بمصر: و كذلك الذواودة، ويقول الشيخ مبارك الميلي في كتابه " تاريخ الجزائر القديم و الحديث "

[1]- بن حرزالله شارف، **دور منطقة الاغواط في الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962**، رسالة ماجستير، جامعة بوزريعة، الجزئر، 2004، ص 32.

[2]- ابن خلدون، مصدر سابق ، ص 2728.

[3]- الصحي حسن، **02 ديسمبر الهجوم العام على الأغواط**، جريدة الجمهورية عدد 141، ديسمبر 1991، ص 12.

[4]-Mangin. E Note sur l'histoire de Laghouat, revue Africaine N° 37, 1893, P 372.

الذي ألفه سنة 1930 بمدينة الأغواط :" لقواط من مغراوة و لهم مدينة لم تزل تسمى بهم ذكرت في عهد بني عبيد، وهي التي ألفنا بها هذا الكتاب، و المحقق عند أهلها وأعرابها أن الهلاليين تغلبوا على أطراف مدينتهم، و بها بستان يعرف اليوم بإسم بني هلال[1] " ..

ومن بين الهجرات السكانية المعروفة آنذاك يقول الرواة أن أولاد كسال و أولاد زيد وهما من القبائل التي كانت تعيش بمنطقة الزيبانببسكرة و أثناء الزحف الهلالي هاجروا إلى منطقة و أسسوا قصر يدعى بن بوطا : وهو في الحقيقة النواة الأولى لمدينة الأغواط حاليا زقاق الحجاج والغربية، وكان إلى جانبهم أولاد سالم الذين قدموا من القرارة جنوبا،وتبعهم فيما بعد عناصر أسسوا قصور وهي:

* قصر ندجال لأولاد بوزيان.
* قصر سيدي ميمون لأولاد بوزيان.
* قصر بومندالة لأولاد بوراس من شمال بسكرة في الواحات الجنوبية الشطيط حاليا.
* قصبة بن فتوح في الجهة المقابلة لوادي مزي (سيدي حكوم) لأولاد يوسف.
* قصر بدلة لأولاد يوسف في الواحات الشمالية (أولاد يوسف ذي الأصل المزابي الذين أسسوا قصر تاجموت حوالي سنة 1666[2].

وكان لكل واحد حي به مسجد وإدارة وسوق خاص.

خلال القرن الحادي عشر استطاعت القبائل الهلالية النازحة من الشرق أن توسع نفوذها في منطقة الأغواط، وتطرد القبائل البربرية نحو الغرب وفي بعض الاحيان نحو الجنوب، كما حدث مع قبائل بني راشد التي أبعدت نحو الجهة الغربية، بينما استحوذت كل من قبلية أولاد يعقوب على

[1]- مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 250.

[2]- Manqin. E, Op cit, p 382.

الحدود المتاخمة للمدينة من الناحية الغربية، وقبلية رحمان على الحدود الشرقية للمدينة واستمر هذا الوقع حتى قدوم قبيلة الأرباع من منطقة الزيبان وتحديداً من أولاد جلال[1] .

المبحث الثاني: منطقة الأغواط في الفترة الحديثة: "بروز المجال وصراع التبعية":

1 -المجال الحضري والمجال البدوي

أولا: حضر الاغواط:

01- الأغواط: تقع الأغواط (المدينة أو القصر) بين خطي 33 .55. 57 شمالا و 2 50 39 شرقا، بارتفاع يبلغ 783 مترا عن سطح البحر، [2]وتمتد بساتين الأغواط ومبانيها على السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي وعلى ضفاف واد مزي، الذي يأخذ مجراه من جبال العمور غربا ويتوجه نحو الشرق حيث يحمل اسما آخر ألا وهو واد جدي مارا بعدد من واحات الزيبان وصولا إلى مصبه في شط ملغيغ،ويقطع مدينة الأغواط واد الخير المتفرع عن واد مزي والذي كان يعمل على سقي الأجنة والبساتين فضلا عن تخصيب التربة التي تنبت فيها خيرات كثيرة من خضر وفواكه حتى سميت بمدينة البساتين أو الحدائق[3]، وقد نشأت الأغواط على هضبات تعرف بـ: "تزقرارين"، وأما بساتينها وأراضيها الفلاحية فبعضها يقع شمال هذه الهضاب ويسمى بالواحات الشمالية وبعضها الآخر يقع جنوبها ويسمى الواحات الجنوبية، ويمتد خارج الواحتين سهلان كان يستغلان لزراعة الحبوب يسمى الأول بالضاية القبلية (الجنوبية) ويسمى الثاني بالضاية الغربية[4].

ويعتبر سيدي الحاج عيسى الشريف الأصل والذي سمي (بمولى البلاد) [5] المؤسس الحقيقي للمدينة بحيث يعود إليه الفضل في بناء السورالذي يحيط بها، هذا السور الذي شيد على أنقاض قصر

---

[1]- مبارك الميلي، مرجع سابق، ص 253.

[2]_ علالي محمود، **الحركة الاصلاحية في الاغواط**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص27.

[3]_ علالي، مرجع سابق، ص 28. أنظر أيضا:

(J) Millia,**Lagouat ou Les maisons entourées des jardins** , plan norrit et cie, Paris ,1923,p22.

[4]_ مداني لبتر، **الاغواط صفحات من الحضارة والتاريخ**، ط02، منشورات الحبر، الجزائر، 2020، ص 13.

[5]- سيدي الحاج عيسى ولد بتلمسان سنة 1668م وتوفي بالأغواط سنة 1737م وهو من العائلات العريقة بتلمسان والده عيسى ابن ابراهيم وأمه السيدة محبوبة بنت سي الحاج بوحفص زعيم أولاد سيدي الشيخ،غادر تلمسان سنة 1694 ومر بمدينة وهران ثم إتجه جنوبا إلى أن وصل قرية ابن بوطة واستقر بها نهائيا بعد أن أخذ الذكر عن الوالي سيدي الحاج عيسى إستطاع أن يضع حدا للإضطراب في الأغواط ووحد قبائلها المتناحرة، أنظر :

بن بوطة، الذي جاءه سنة 1698 ووجد به سكانا كثيرين، كما تمكن من إقناع سكان القصور المجاورة الأخرى الذين جاءوا لمشورته طلبا لحمايته، فشرع في تجميهم وتكوين مركز واحد كبير قادر على تأمين مقاومة العدو فألتف حول الناس وإستطاع أن يضع حدا للخصومات ويجمع شمل أهالي المنطقةوبهذه الطريقة تجمعت القصور التي كانت تحيط بابن بوطة حول المعقل المركزي محاطين بأسوار متينة هذه المدينة الجديدة أخذت إسم الأغواط.[1]

02– عين ماضي : تتموضع في سفوح جبال القعدة جنوب جبل رداد – وهي جزء من سلسلة جبال عمور ، وهي تبعد عن الأغواط ب 75 كلم تقريبا في الاتجاه الغربي و تقع على ربوة صغيرة ضمن سهل مجدب على بعد 24 كلم تقريبا غرب تاجموت، وصفها دوماس على أنها تبدو من بعيد على شكل إهليجي كبيضة نعامة مقسومة طولا إلى نصفين، وهي مهد الطريقة التيجانية وقد اشتهرت بزاويتها العريقة، وتعتبر عين ماضي واحة تتميز بحدائقها الغناء ومائها العذب ويحيط بها سور يحميها من الهجمات الخارجية.[2]

يوجد المنبع الذي سميت عليه العين " عين ماضي" على بعد 2 كلم بالجانب الشمالي خارج الحيطان بسفح جبل حيت تحل مياه العين عبر ساقية تمر بباب الساقية ومنه تصب في حوض لتنطلق لسقيا البساتين، ويميل مناخ عين ماضي إلى الطابع شبه الصحراوي ،كما أن تربتها الصخرية ونباتاتها الشوكية جعلت منها بيئة رعوية خصبة لتربية المواشي، أما عن الفلاحة فإنها تكاد تنعدم إذا ما استثنينا مجموعة البساتين المخضرة المحيطة بالمدينة ترويها الآبار والمنابع المائية، و غداة الاحتلال حوت عين ماضي على مابين 150 و 200 بيت مبنية بالطوب أو الحجارة الصغيرة، كما حوت أربعة آبار،إضافة إلى أن أزقتها ضيقة ، لا تسمح بمرور فارس على حصانه، [3]وقد تعددت الروايات حول تأسيس عين ماضي فمنها التي تذكر أنها بقايا أثار رومانية ، أو أنها بقايا من زمن الدولة العبيدية في

Rinn (Louis) :Marabouts et khouan, Alger 1884, p 323.

[1]– يعود سبب الخصومات إلى الصراع بسبب مواطن الكلا والماء وليس كما يقول الفرنسيون أنها بسبب العلاقات الغرامية وأشياء أخرى.

[2]_ دوماس، مصدر سابق، ص 53.مخلوف صادقي، **مراحل وأشواط من تاريخ وتراث منطقة الأغواط**، مطبعة رويغي، الأغواط ، الجزائر، 2017، ص 219.

[3]_ دوك دي دوماس، **الصحراء الجزائرية**، تر: قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2013، ص 55-56.

المغرب الأوسط، حيث جاء في كتاب تحفة الزائر: "وهذا الحصن اختطه ماضي بن يقرب من أقيال العرب في المائة الخامسة لأول استلاء العرب على المغرب الأوسط في أيام العبيديين"[1].

03– تاجموت: تقع تاجموت شمال غرب الأغواط، وهي تبعد عن الأغواط ب 45 كلم من جهة الغرب، وتاجموت كلمة زناتية معربة وأصل الكلمة Tagmout وتعني القرية الملاصقة للجبل، وفي الحقيقة فإن تاجموت الأغواط توجد فوق ربوة صخرية معزولة، [2]ويعود أصل تسميتها إلى روايات عدة، تفيد إحداها بأن ملكة بربرية أسطورية قديمة شديدة القسوة كانت تضع تاجا كلما قررت إعدام شخص ما ومنه لقبت المدينة باسمها: تاج الموت، [3]كما يعود أصل التسمية إلى " تاجنوت" وهي كلمة بربرية تعني البئر المتسعة والعميقة قليلا مع وجود الماء بها، ويقال أيضا أنه يوجد خارج أسوار القصر مقبرة محاطة بالبساتين والحدائق المحيطة متخذة شكل نصف دائري مما جعلها تعرف لدى السكان بتاجموت أم هلال،كما يرجح أن كلمة تاجموت بربرية تنقسم إلى قسمين تاج وتعني الغابة، وموت وتعني الخضراء وبهذا يصبح المعنى: الغابة الخضراء[4].

04– الحويطة: تقع الحويطة في الجنوب الغربي إلى مدينة الأغواط وتبعد عنها قرابة 30 كلم، وتعني كلمة الحويطة الدائرة أو المحاطة بسور لحمايتها من اللصوص والحيوانات المفترسة، [5] ويبدو أنها كانت تفتقر للمياه وهي منطقة عبور للقبائل المتجهة نحو الشمال أو الجنوب ، والقصر مبني فوق منحدر من حيث تجري مياه عنصر الذي ينطلق من الجنوب، تلك المياه تسقي الحدائق وتترامى بعيدا وهي محاطة بسور صغير.

05– العسافية: تبعد 12 كلم شرق الأغواط على الجهة اليسرى لواد مزي، يعود أصل التسمية حسب الروايات إلى وضع رجال مسلحين كحراس (عسة) على نبع الماء، وهي قصر به 30

---

[1]– مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج 1، تعليق محمود حقي، ط2، دار اليقظة العربية، بيروت 1384 هـ/1964م، ص 305.

[2]_ خديجة بوخلخال، **قصر تاجموت**، رسالة ماجيستير في الآثار الريفية الصحراوية، جامعة الجزائر، 2011، ص11-27.

[3]-George Hirtz, **L'algerie nomade et ksouriénne 1830–1954**, ed marseille,1989, p9.

[4]_محمود الأخضاري، **الولي سيدي عطاء الله بن العابد – تاريخ رحلة**، مطبعة رويغي، الأغواط، 2017، ص 87.

[5]- Eugene fromentin, sahara et sahel , un été dans le sahara une anne dans le sahel, p140.1887,

مسكنا تقع على سهل قريب من الأغواط ليس لها سور ولكن منازلها متلاصقة كما يوجد بها مسجد، وتتوفر على ينبوع وافر المياه، ينطلق ليسقي الحدائق وينسكب أولا في حوض، ويبدو أن سكان القصر قد قطنوه بعد رحيلهم من قصر قديم مجاور.

06- قصر الحيران: تبعد حوالي 20 كلم جنوب شرق الأغواط، وهي بلدة فلاحية نظرا لمرور واد مزي بالقرب منها، ويعود أصل تسميتها إلى أصول هلالية، حيث تنقسم الكلمة إلى شطرين: قصر و "الحيران" ويقصد بها جمع حوار وهو صغير الإبل، وتعود الروايات حول التسمية إلى شخصية ذياب بن غانم الذي بنى قصرا أو برجا لتوضع به صغار الإبل لحمايتها من السرقة أو الظروف الطبيعية، وهو قصر مكون من 120 منزلا به ساحات ومطامير وهو محاط بحزام من الأسوار الهشة ولكنها مرتفعة،واد مزي يمر عبر قصر الحيران ولكنه جاف أغلب أيام السنة.[1]

07- قصر الخنق: يقع غرب الأغواط بحوالي 10 كلم، بني هذا القصر على ربوة كبيرة وعالية، وسمي بخنق نجفال، وهو يطل على قصر قديم آخر [2]، ويمكن اليوم الملاحظة بالعين المجردة لآثار وبقايا القصر القديم على الربوة المطلة على مدينة الخنق حيث لم يبق إلا أساسات القصر والحجارة التي بني بها.

08- قصر تاجرونة: وهي قرية من 100 منزل محمية بسور علوه قدر قامة رجلين وتحوي أربعة حصون ولها باب واحد، ويعيش سكان تاجرونة على الفواكه المغروسة بحدائقهم إضافة إلى القمح الذي يجلبونه (أو يجلب لهم) من التل، كما أن لهم ثروة مهمة من البقر والغنم والماعز، كما أنهم يصنعون عتاد الفرسان (مناخيس، شكائم، سرج) ويبيعونها إلى القبائل المجاورة[3].

ثانيا: المجال البدوي:

خلال القرن الحادي عشر الميلادي وما بعده استطاعت القبائل الهلالية النازحة من الشرق أن توسع نفوذها في منطقة الأغواط، وتطرد القبائل البربرية نحو الغرب وفي بعض الاحيان نحو الجنوب،

[1] _ دوماس، مصدر سابق، ص51-53.

[2] -R. ,Not sur l'histoire de Laghouat ,Mangine (E) .p ,1893 ,393A

[3] _ دوماس، مصدر سابق، ص 66_67.

كما حدث مع قبائل بني راشد التي أبعدت نحو الجهة الغربية، بينما استحوذت كل من قبيلة أولاد يعقوب على الحدود المتاخمة للمدينة من الناحية الغربية، وقبيلة رحمان على الحدود الشرقية للمدينة والزناخرة في الجهة الشمالية وفي الجهة الجنوبية وصولا إلى واد ميزاب إضافة إلى البواعيش، واستمر هذا الواقع حتى قدوم قبيلة الأرباع من منطقة الزيبان وتحديداً من أولاد جلال وهي القبيلة التي ستصنع جزاء كبيرا من تاريخ المنطقة.

يذكر إبراهيم الساسي العوامر أن الأرباع من العرب القحطانية فهم أبناء الربيع بن زياد بن الربيع بن قنان بن سلمة بن المعقل بن كعب بن ربيعة بن الحرث بن كعب بن حرب بن علة بن خالد بن مالك بن أدد وهو مذحج بن زيد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن مالك بن أدد بن يشجب بن يعرب بن قحطان[1]، ويقال أيضا أن أصل الأرباع يعود إلى قبيلة يمنية اسمها أربعن أو أرباعن و لعل الأجذع الهمذاني يقصدها في قوله :

أسألتني بركائب و رحالها * و نسيت قتل فوارس الأرباع

بينما هناك من يرجح الأصل الهلالي لهذه القبائل مثل: lehureaux[2] في حين يرجعها كل من: Mercier[3] و Gauthier إلى البربر المستعربة، ولكن الثابت أن تشكل هذه القبيلة قد تم في فترة حديثة نسبيا حيث لم يرد اسمها في مؤلفات الفترة الوسيطة التي اهتمت بالجغرافيا البشرية للمنطقة وبالخصوص تاريخ ابن خلدون الذي فصل في كثير من أحوال قبائل الزاب أو الأطلس الصحراوي العربية منها والبربرية.

[1]- إبراهيم الساسي العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** ،منشورة ثالة ،الجزائر ،2007 ،ص 376.بشير بديار، **ديوان سيدي الحاج عيسى الأغواطي 1089-1150هـ/1678-1737م**، ج و تح: البشير بديار، د د ن، 2009، ص 31-32.

[2]- Léon LE HURAUX, **Le nomadisme et la colonisation dans les hauts plateaux de l'Algérie**, Éditions du comité de l'Afrique ; 1931 ,p 33.

[3] - Ernest Mercier, **Histoire de l'Afrique septentrionale**, t III, Paris, ERNEST LEROUX ÉDITEUR , 1868, p 548

كانت قبيلة الأرباع تتشكل قبل قدومها إلى الأغواط من أربع فرق – ولعل هذا سبب تسميتها بالأرباع-[1]فهي مشتقة من كلمة (ربع) الذي يعني واحد من أربعة (4/1)[2]، هي المعامرة، الحجاج، أولاد زيد، وأولاد صالح[3]، وقد استقروا في الخط الشمالي من الصحراء ناحية الزيبان ببسكرة، واجهوا مشاكل و حروب مع القبائل كان هذا سنة 1635، هاجر (المعامرة والحجاج) أولا إلى جبل بوكحيل بمسعد (ولاية الجلفة حاليا) واستقروا به 15 سنة، ثم توجهوا إلى الأغواط و استقروا بها، ثم لحق بهم أولاد صالح، أما أولاد زيد فقد بقوا في الزيبان، وبالتالي فتحالف قبائل الأرباع وتوسعها لا يعود إلى أصول اثنيه عرقية مترابطة بل إلى تحالفات جيواستراتيجية متكاملة شكلت من أربعة قبائل[4].

ويرى البروفيسور مُحَمَّد السويدي بأنه حوالي سنة 1660 نزحت قبائل أولاد يعقوب نحو الغرب باتجاه جبال العمور بسبب ضغط قبائل الأرباع المتحالفة مع قبيلة رحمان(وهي قبيلة هلالية من رياح) ، بحيث تحالفت أجزاء من قبيلة رحمان مع نظيراتها من فروع الأرباع [5]،كما تعزز حلف الأرباع بانضمام القبائل الشريفة (نسبة إلى الأدراسة) وهي قبيلة الحرازلية وقبيلة أولاد سيدي عطاء الله وقبيلة المخاليف[6].

بينما تم طرد كل من قبائل أولاد يعقوب غرباً باتجاه جبل العمور ووادي زرقون، والزناخرة والبواعيش شمالا باتجاه قصر البخاري، وهكذا بعدما كان اسم قبيلة الأرباع يدل على عدد القبائل المنضوية تحتها، أصبحت مكونة من تحالف كبير يضم عدة عروش وقبائل وصلت بحسب التقسيم الفرنسي سنة 1875 إلى عشرة عروش كبيرة وهي : أولاد سيدي سليمان(الحرازلية)، أولاد بن شاعة

---

[1]- Yves Bonète, **Contribution à l'étude des pasteurs nomades Arba'a** : **étude de géographie humaine**, Doctorat de 3eme cycle en Géographie, 1962

[2]- A. DHINA. **Contribution à l'étude du nomadisme .Le chameau chez les tribus Arbâ'** A. .**du sud algerois**. Mélanges Louis Massignon. Inst. français de Damas. 1956,pp 417-428
A .**Notes sur la phonétique et la morphologie du parler des Arbâ'**. .DHIN R.A,1938,p313-352.

[3]- (E) Mangine ,Not sur l'histoire de Laghouat ,Révue Africaine ,1893 ,p 377.

[4]- فرانسوا دو فيلاري، **السهوب عبر العهود**، عيسى بن مُحَمَّد بونوة، ط1،منشورات دار الضحى، الجلفة، الجزائر، 2015، ج1، ص 120.

[5]- مُحَمَّد سويدي، **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص 168.

[6]- دوفيلاري، مصدر سابق، ص127.صادقي مخلوف، مرجع سابق، ص220-221. محمود الأخضاري، مرجع سابق، ص13.

(الحرازلية)، الحجاج، الزكازكة، المعامرة، المخاليف، العبابدة–صفران، أولاد صالح، وأولاد زيان، أولاد سيدي عطاء الله[1]، وبالتالي ومع مرور الزمن تغير مدلول اللفظة من الأرباع القبيلة المكونة من أربعة عروش إلى حالة اجتماعية تشترك فيها مجموعة من القبائل المجاورة للمدينة والمتمثلة في حياة البادية والترحال، وقد قسمت السلطات الفرنسية القبائل خوفا من ثوراتهم، خططت لكل عرش منطقة رعوية خاصة بها وزراعية ملك لكل عرش بالصحراء،حتى أنها أنشأت بلدية سميت باسمهم :"بلدية الأرباع" وهي بلدية متداخلة مع بلدية الأغواط، وهي أكبر منها مساحة وتعتبر من بلدات القطاع الريفي، لكنها تختلف عن الريف في أن 95 بالمائة من سكانها من البدو الرحل، يقوم نشاطهم على تربية المواشي، وقد استمرت هذه البلدية إلى غاية التقسيم الإداري لسنة 1984[2].

2 – الأغواط والسلطة العثمانية : بين التبعية والاستقلال: لم تعرف منطقة الاغواط الخضوع الإرادي الدائم لأي من سلطة مرت عليهم في الفترة الحديثة ، فالأتراك العثمانيين كانت علاقتهم بسكان المنطقة غير وطيدة ،لأن تدخل السلطة المركزية في المناطق النائية كان ضعيفا، وبقي حكام الإيالات يتناوبون على السيطرة على الاغواط، [3] وقد كانت تتبع نظريا إلى بايلك التيطري الذي نظمه حسن باشا ابن خير الدين وعين عليه سنة 1548 رجب كأول "باي" على" التيطري" وعاصمته المدية، والذي ضم دائرة الجنوب: والتي تشمل القبائل تسكن الخيام وهي بدوية، والقصور المنتشرة في القطاع الأوسط للأطلس الصحراوي مثل قصور الأغواط ولم تكن هذه القبائل تخضع كلها للبايلك في أواخر العهد العثماني، لأن الحدود الجنوبية للجزائر في هذه الفترة لم تكون واضحة.[4]

ففي عهد الداي يوسف باشا(1647–1650)، قام السلطان المغربي "مولاي مُحَمَّد" بالسيطرة على تلمسان ووجدة ،ووصلت سيطرته حتى عين ماضي والاغواط، ولكن سيطرته كانت مؤقتة

[1]– مُحَمَّد سويدي، مرجع سابق، ص 167.بشير بديار، مرجع سابق، ص32.

[2]– مُحَمَّد سويدي، مرجع سابق، ص 168.

[3]– Odette petit. Op.cit, p168.

[4]– دوفيلاري، مصدر سابق، ص181.صالح عباد، **الجزائر خلال الحكم التركي**، الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2013، ص 458.

ولحظية، بينم وصلت القوات النظامية المغربية إليها بقيادة المولى إسماعيل، لتفرض ضريبة على كل بيت من بيوتها، وأضاف إليها مولاي إسماعيل ضريبة تمسى الخدمة.[1]

وفي ما يلي قائمة أهم الحملات التي شنها البايات المختلفون على المنطقة:

-**حملة شعبان الزناغي:** بحلول عام 1727م تدخلت جيوش باي المدية شعبان الزناغي لفرض سلطة العثمانيين على الاغواط الذي فرض على المدينة ضريبة سنوية قدرت ب 700 ريال.[2]

-حملة الباي مصطفى الوزناجي: باي التيطري سنة 1775 على قبائل الجنوب.

- حملة الباي مصطفى: باي التيطري في سنة 1784 حينما قدم" مصطفى" باي المدية لجمع تلك الضرائب إلا أنه انهزم تحت أسوار مدينة الاغواط ومن خلال الحملات نستنتج أن منطقة الأغواط كانت مستهدفة من قبل البيالك الثلاثة.[3]

-حملة الباي مُحَّد الكبير: 1785م: قاد الباي مُحَّد الكبير-باي الغرب الجزائري - في التاسع من ربيع الأول عام 1199هـ/1785/84م ،كان الهدف منها إخضاع عين ماضي والأغواط السلطة بايليك الغرب.[4]

-حملة صالح باي 1785: في سنة 1785 لما جهر أولاد عمور بالعداء للأتراك سار إليهم صالح باي فانتهى إلى زنينة وآفلو وتاجموت والأغواط وأوقع عقابا شديدا بدشرة النميلة، فقتل من رجالها 100 رجل[1].

---

[1]-S.Arnaud ,**Siege d'Ain Madi**, **par El HADJ-ABDELKADER Ben Mahdine**. Revue Africaine, , n 47, Mars 1864, p355.

[2]- دوفيلاري، مصدر سابق، ص181. إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص89.

[3]- MANGIN , OP.CIT, P 383. Odette petit. Op.cit, p22

[4]- أحمد ابن هطال التلمساني ، **رحلة مُحَّد الكبير الى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تح: مُحَّد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتاب، القاهرة، مصر، 1969، ص 86-105.الآغا ابن عودة المزاري، **طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى آخر القرن 18**، تح: يحي بوعزيز، دار البصائرللنشر والتوزيع، الجزائر، 2009 ، ج1، ص290-299.

-حملة الباي مُحَّد الكبير الثانية 1786: رجع مُحَّد الكبير إلى الأغواط بعد تمردها ولم يستطع دخول عين ماضي بسبب تحصيناتها فانتقل إلى الأغواط بعد أن مهد له الأمر السايح بن زعنون[2].

-حملة الباي عثمان بن مُحَّد الكبير عام 1787م : ثار أهل عين ماضي، ولم يدفعوا إلى الباي ما عليهم، فخرج الباي عثمان بن مُحَّد في حملة على عين ماضي على رأس جيش مشكل من خمسين خيمة من جند الانكشارية و جيش المخزن سنة 1787، وقد استطاع الباي اقتحام عين ماضي دون مقاومة تذكر، ففرض على أهلها غرامة مالية قدرها سبعة عشر ألف ريال بوجو، وأجبرهم على دفع كمية كبيرة من البرانس و الحياك، غير أن الواحة لم تخضع بالشكل الذي كان يرغب فيه ،وكان ضغط الأتراك سببا في انتقال سيدي أحمد التيجاني إلى فاس، بينما عرج "الباي عثمان" على الأغواط لينتقم من الذين ناصروا "الشيخ أحمد التيجاني" خاصة" أولاد الأحلاف".[3]

-حملة الباي إبراهيم باي التيطري على أولاد نايل سنة 1814.

-حملة الباي مصطفى قسنطيني على أولاد نايل وقبائل الجنوب سنة 1817.

-حملة الباي مصطفى بومزراق باي التيطري على الجنوب سنة 1819.

-حملة الباي حسن الأولى عام 1820: أمر الداي حسين الباي حسن باي بايليك الغرب بشن حملة على عين ماضي و إلقاء القبض على إبني التجاني، وقد اغتنم الباي فرصة استنجاد مجموعة التجاجنة المعارضين للتجاني، الذين طردوا من بلدتهم عين ماضي، بعد أن عاد اليها ابنا الشيخ التجاني، فخرج الباي على رأس جيش مشكل من 700 جندي و 4000 من فرسان المخزن بالإضافة إلى قافلة من الجمال المحملة بالمؤونة و الذخيرة و اثنين من المدفعية.

غير أن ابني التجاني لم ينتظرا وصول الباي حسن، فبعد تشاور بين ابني التجاني و الخليفة الأكبر الشيخ الحاج علي التماسيني و بناء على رؤيا تم الاتفاق على أن يرسل مُحَّد الحبيب الى قرية أبي سمغون و مُحَّد الكبير الى تماسين، مما دفع الباي إلى محاصرة البلدة مدة شهر كامل إلى أن يهئ، فطلب

---

[1]- أحمدتوفيق المدني، **مُحَّد عثمان باشا دار الجزائر 1766-1791 سيرته حروبه أعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 137.صالح عباد، مرجع سابق، ص 278.

[2]- عيسى بوقرين، **انتفاضة بن الناصر بن شهرة 1851-1875**، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر2010،ص 21.

[3]- صالح عباد، مرجع، سابق، ص 273-274، ص 276. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص91.

من أهلها دفع مبلغ قدره 100 ألف بوجو أي ما يعادل (350 ألف فرنك) و كمية من البرانس السوداء و البيضاء و الحياك، و استولى على كمية من المخطوطات[1].

-حملة الباي مصطفى بومزراق 1822م: شن مصطفى بومزراق باي التيطري عام 37-1238هـ/1822م حملة أخرى إلا أنه فشل أمام أسوار عين ماضي ومقاومة أهلها.

-حملة الباي حسن الثانية عام 1825م: قام الباي حسن مرة أخرى بمجابهة عين ماضي، واضطر أهلها طلب الصلح، فقبل الباي صلحهم وفرض عليهم ضريبة سنوية قدرها خمسمائة ريال بالإضافة إلى ألفي ريال تدفع له حينا[2].

وبتولي يحي آغا قيادة الجيش الانكشاري من 1818 إلى 1828 فقد تدخل بحكمة في المنطقة وكسب ثقة وصداقة بعض الزعماء المحليين وأصبحت المنطقة جنوب التيطري تابعة مباشرة للجزائر العاصمة وليس لبايلك التيطري[3].

المبحث الثالث: التغلغل الفرنسي في منطقة الأغواط (1830-1850): بين صراع الولاءات والاضطرابات المحلية :

1 -أثر احتلال الجزائر على المنطقة وامتداد نفوذ الأمير عبد القادر:

لما بدأ الأمير عبد القادر المقاومة سنة 1832 حرص على استمالة القبائل الصحراوية قبل وصول النفوذ الفرنسي لها، قام الأمير عبد القادر بتقسيم المناطق الواقعة تحت سيطرته إلى ثماني ولايات من بينها الأغواط، وقد بدأ سياسته الصحراوية منذ سنة 1836 فعين الحاج العربي بن الحاج عيسى خليفة له على إقليم الأغواط وقد أصدر الأمير مرسوما مؤرخا بتاريخ 1254 هـ الموافق لـ 1838م بهذا الخصوص.[4]

وقد اعتبرأحمد بن سالم و مُحَمَّد الصغير التجاني هذتا التعيين موقفا استفزازية معاديا لهما بل تدخل في مجال نفوذها واعتبراه إهانة لهما، وقد أمد الأمير خليفته بالسلاح والذخيرة ، فانحاز اليه

[1]-المزاري، مصدر سابق، ج1، ص354.

[2]- المصدر نفسه، ص 354.

[3]- دو فيلاري، مصدر سابق، ص189.

[4]- مُحَمَّد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق، ج1، ص291

اولاد سرغين ثم تبعهم الأرباع، [1] بينما رفض الأحلاف الاعتراف به إلا أنهم بعد الضغط استسلموا للأمر الواقع و منهم أحمد ابن سالم الذي فضل الانسحاب مع جماعته إلى بني يزقن (عند بني ميزاب).[2]

خلال سنة 1838 م عزم الأمير على تنظيم الدولة لمواصلة الجهاد وذلك بتنظيم صفوفه وتوسيع مجال سلطته ونفوذه وقد راسل الأمير الشيخ مُحَّد التيجاني أثناء وجود الأول بالمدية وبرج حمزة وأخبره أنه قادم للقيام بنفس التنظيمات التي أجراها هناك ولكنه وجد معارضة من طرف بعض أعيان الأغواط وعلى رأسهم أحمد بن سالم و الشيخ مُحَّد الصغير التجاني[3].

وبعد أن يئس الأمير عبد القادر في إمكانية التفاهم مع التجاني تحركت قواته يوم 27 ماي 1838م إلى تاقدامت التي كانت تمثل مركزا من مراكزه العسكرية حيث التقى برؤساء الفرق والقبائل التي ستشارك في هذه الحملة [4]، تحرك الأمير نحو عين ماضي في 18 ربيع الأول 1254هـ الموافق 12 جوان 1838منحو قصر عين ماضي مقر الطريقة التيجانية على رأس جيش بلغ تعداده ستة ألاف من الخيالة وثلاثة ألاف من المشاة وثلاث مدافع ميدان وستة مدافع هاون[5].

وصل الأمير إلى عين ماضي بتاريخ 22 جوا، وبدأ حصاره وكانت عين ماضي محصنة في غاية التحصين وقد عانى الأمير بسبب ذلك بالإضافة إلى أن الشيخ التجاني قدجاءته نجدة من أحمد بن سالم لمساندته مع وصول مساندين من ورقلة وبني ميزاب، ويذكر "أرنو" أن التجاني خصص للأمير عند وصوله، استقبالا خاصا بالضيافة و إن لم يخرج شخصيا لاستقباله ، فأوفد إليه الأمير بعض الفرسان من الأحرار يطلبون منه الخروج للأمير للتحدث عن أمور الدين و الجهاد، فرد عليهم أن كل ما يمكن أن يقدمه فقد أعطاه و ليس شيء آخر، أما مسألة المقابلة قرار لا رجعة فيه، بل أصبحت مسألة نيف، وقد اعتبر الأمير هذا الرفض إهانة و تمردا، وفهم أن تراجعه سيشكل سابقة أما القبائل الصحراوية.

---

[1]- cit, p 79-80.. MANGIN, Op

[2]- سعد الله، **الحركة الوطنية**، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج1، ص202-203. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص93.

[3]- المزاري، مصدر سابق، ج2، ص173.سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص203.

[4]ARNAUD , OP.CIT T7, p 366.

[5]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص94.

قام الأمير بقطع المياه على السكان كوسيلة ضغط، و أمر بالهجوم على أسوار الحدائق، مما أدى إلى وقوع اشتباكات، تمكن على إثر ذلك جيش الأمير من الاستيلاء على الحدائق بعد أن أحرقت و قطعت أشجارها، عندما حاول أهل عين ماضي توقيف القتال وبادروا بتقديم الهدايا إلى الأمير (بغلتين و 2 من العبيد)، و أعلنوا له استعدادهم لقبول شروطه باستثناء تسليم التجاني، فرفض الأمير عرضهم و أصر على مواصلة الهجوم ما لم يخرج إليه التجاني بنفسه، فتجددت الاشتباكات خلال شهري أوت و سبتمبر، أودت بحياة 8 أشخاص من سكان عين ماضي بينما أشار ليون روش إلى أن الخسائر البشرية كانت محسوسة، وقد بادر التجاني – بسبب ارتفاع القتلى- بعرض مالي قدره عشرون ألف ريال أي ما يعادل (37.200 فرنك) كمساهمة في الجهاد، مقابل رفع الحصار على أن يدفع نصف المبلغ مباشرة و الجزء المتبقي تعطى لهم مهلة لتوفيره و كضمان على حسن النية قدم سكان عين ماضي ما قيمته ألف ريال كخدمات لجيش الأمير، مع عشر رهائن من أبناء أعيان عين ماضي[1]، وعلى ضوء هذه المستجدات وافق الأمير على عرض التجاني، خصوصا وإن الذخيرة قد نفذت، و لم يعد باستطاعة الأمير مواصلة القتال[2].

بدأت الأزمة تسير نحو الانفراج، و خيم الهدوء مدة عشرين يوما، تبادل خلالها الطرفان المبيعات، ولكن الهدنة لم تعمر بين الطرفين أكثر من ذلك، حتى عاد الاقتتال من جديد، حيث طلب الأمير، السماح له رفقة جنده أداء صلاة الجمعة داخل مسجد الزاوية، غير أن التجاني تخوف من هذا الطلب المحرج واعتذر بحجة أن مسجد الزاوية لا يتسع لعدد كبير، وقد اعتبر الأمير هذا الرفض بمثابة تراجع عن النتائج المتوصل إليها، و أمر باستئناف مهاجمة القصر و تضييق الخناق على أهله[3].

أعيد فتح المفاوضات بين الأمير والتجاني، حيث دامت بضعة أيام لعب فيها مُحَّد السعيد شقيق الأمير ومصطفى بن التهامي صهر وخليفة الأمير على معسكر دورا واستطاع أن يقنعا كل من التجاني والأمير على ضرورة التوصل إلى حل وسط يرضي الجميع، فالتجاني من جهته تنازل على فكرة عدم السماح للأمير وجنده بدخول قصره وفي نفس الوقت اعترف له بحقه في رفض مقابلة الأمير، وتنازل

[1]- 370367ARNAUD : OP.CIT. p-

[2]- تشرتشل: مصدر سابق، ، ص 174. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص96.

[3]- ARNAUD , OP.CIT. T8. p 425.

الأمير عن شرطة القاضي بمجيء التجاني إلى خيمته لإعلان الولاء، وتوصل الطرفان إلى عقد اتفاقية نهائية وذلك يوم5 رمضان 1234هـ الموافق ل 22 نوفمبر 1838م على ما يأتي:

يخلي التيجاني قصر عين ماضي في مدة أقصاها 40 يوما من تاريخ رفع الحصار، و يرفع الأمير الحصار وينسحب مسافة 8 أميال عن عين ماضي، لتمكين التجاني واتباعه من إخلاء القصر، و يدفع التجاني مصاريف الحصار للأمير عبد القادر، وللتيجاني الحق في حمل كل ما يريد، من أملاكه المنقولة دون استثناء، ولأهل عين ماضي حرية البقاء أو مرافقة التجاني وأخذ أموالهم وأسلحتهم دون اعتراض، و يقدم التجاني ابنه رهينة كضمان لتنفيذ بنود الاتفاقية ،وفي الآجال المحددة أخلى التجاني عين ماضي واختار الإقامة في الأغواط وخرج معه أتباعه فلم يبق إلا المستضعفون، بينما دخل الأمير إلى قصر عين ماضي دون مقاومة يوم13 جانفي 1839 ، وبعد معاينة القصر أمر الأمير ليون روش بنسف أسواره وقد تم ذلك أمام مرأى من الأمير و آلاف الأشخاص لكن دون أن يلحق الضرر بالزاوية التيجانية[1]، و فور صدور هذا الكتاب أرسلت بعض القبائل المجاورة لحصن عين ماضي بالزكاة والعشور للأمير ،بينما رفضت قبائل أخرى، ويبدو أن الأمير كان ينوي الاحتفاظ بعين ماضي و يترك بها حامية إلا أنه تراجع عن هذا المشروع وذلك بسبب علم الأمير بأن التجاني لن يهدأ له بال، إلا إذا استرجع قصر أبيه وأجداده، وبالتالي سيستعملها مجددا في الثورة على الأمير، كما أن هدم قصر عين ماضي فيه عبرة للقبائل الصحراوية.[2]

وما أن انشغل الأمير عبد القادر باستئناف المقاومة ضد الفرنسيين في نوفمبر 1839 حتى لحق التيجاني بالأغواط و تحالف مع أحمدبن سالم وبدأ في تحطيم نفوذ الحاج العربي الذي لم يصمد أمام الدسائس و المكائد، ووصف مونجان تسيير الحاج العربي خليفة الأمير بالعدائي ضد التيجاني وأحمد بن سالم الذي عاد إلى الأغواط، مما جعل الخليفة الحاج العربي يضطر إلى مغادرة الأغواط على رأس 200 من رجاله، و اتخذ قصر العسافية مركزا له، ومن هناك أخبر الأمير و طلب النجدة، إلا أن الأمير أقاله و عين مكانه خليفة جديدا يدعى قدور بن عبد الباقي وهو من أولاد خليف من نواحي

[1]-محمد بن عبد القادر الجزائري، مصدر سابق ،ج1، ص 302.تشرتشل، مصدر سابق، ص175-176.

[2]-إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص96.

تاقدامت[1] و لربما اختاره الأمير من خارج المنطقة ليكون أكثر حيادا مما يؤهله لإيجاد نوع من الوفاق بين الأطراف التقليدية المتصارعة، بعد أن أدرك الأمير أن الزعامات المحلية كانت سببا في ما وقع بالمنطقة. ذلك أن الأمير توسم فيه قوة الشخصية وذلك سنة 1839 [2].

وكان بن عبد الباقي قد خيم في تاجموت ، وقد واجه مشاكل كثيرة ولم يلق التأييد من سكان الأغواط، حيث دخلها على رأس (700) جندي نظامي وقطعة مدفعية لكن المدينة رفضت استقباله فاستولى على باب المدينة، وتمكن من إدخال قواته التي وزعها على مختلف الأحياء، وقد وصلته أوامر الأمير بإعدام جميع أعيان الأغواط أو يبعث بهم إلى عاصمة الأمير تاقدامت للاقتصاص منهم بما فيهم أحمد بن سالم، ثم يحطم المدينة و أجنتها ويستقر بتاجموت[3]، وقد عزم قدور ابن عبد الباقي على تنفيذ هذه الأوامر، وقد أنتج هذا الفعل هياجا شعبيا اكتسح جنود بن عبد الباقي وشتتهم، فما كان من الخليفة قدور بن عبد الباقي إلا أن يطلق سراح مساجينه لعله يخفف من غضب السكان، وصادر السكان مدفع الأمير عبد القادر وكل محتويات معسكر، و استقر بن عبد الباقي في سيدي بوزيد بجبل عمور، ونظرا لأن الأمير كان منشغلا بالحرب ضد الفرنسيين لم يتمكن من نصرة خليفته عبدالباقي و أسند الخلافة إلى الحاج العربي مرة أخرى بحكم نفوذه في الجنوب، وأرسل له في سيدي بوزيد (300) رجل وبعض الفرسان والمعدات، وجمع الخليفة أنصاره و بقايا جيش الخليفة السابق واتخذ قصر تاجموت مركزا له، لاسيما وأن هذا قصر محصن بالأسوار و انطلاقا من هذا القصر قرر شن حملات على خصومه[4].

رأى الحاج العربي أن السبب الرئيسي لهذا التمرد، هو مُحَّد الصغير التجاني، فعزم على الانتقام منه بالاستيلاء على قصر عين ماضي المهدم الأسوار، بعد أن أدرك صعوبة استرجاع الأغواط، وافتكاكها من يد أحمد بن سالم، فهاجم عين ماضي التي تبعد عن قصر تاجموت بحوالي خمسة وعشرين (كلم)، إلا أن مُحَّد الصغير التجاني و أحمد بن سالم تصديا له، حيث دارت معركة حامية الوطيس دامت يومين كاملين مكنت مُحَّد الصغير من استرجاع قصر عين ماضي، بعد أن خسر اثنين

[1]- E Mangin , OP.CIT. P 82.

[2]- سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص205. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص99.

[3]- E Mangin , OP.CIT. p 82.

[4]- E. Mangin , OP.CIT ,p 83.

وعشرين رجلا وعددا من الجرحى، في حين فقد الحاج العربي 16 قتيلا و عددا هاما من الجرحى، في أواخر سنة 1839م، وعلى إثر هزيمته انسحب الخليفة إلى قصر تاجموت، حيث بقي متحصنا إلى أن تجدد القتال مع مطلع 1840م.[1]

بعد أن تأكد التجاني و بن سالم من أن الأمير قد انشغل بالجهاد ضد فرنسا، قاما بمهاجمة خليفته الحاج العربي بقصر تاجموت، و كادا يفشلان لولا تواطؤ أتباع التجاني من داخل القصر، حيث استطاعوا كسب عدد كبير، و نسقوا الجهود مع زعيمهم الروحي فبدأت المعركة من داخل القصر، مما مكن التجاني و قواته من اقتحام القصر و النيل من جند الحاج العربي، الذي لاذ بالفرار رفقة بعض جنده، مخلفا وراءه خمسين قتيلا و عددا من الجرحى و الأسرى.

بعد الهزيمة التي تلقاها الخليفة الحاج العربي في قصر تاجموت، فر مع عدد من جنده إلى العسافية، حيث أعاد تنظيم صفوف جيشه، واضطر الأمير عبد القادر إلى سحب ما تبقى من جنده النظاميين الموجودين لدى خليفته الحاج العربي مما صعب من موقف هذا الأخير، في حين اغتنم الفرصة خصمه أحمد بن سالم و شن هجوما خاطفاً على قصر العسافية، استطاع بسهولة تفريق أنصار الخليفة الذي فر إلى قصر الحيران المحصن هو الآخر بأسوار، و هناك جمع اتباعه و أنصاره من جديد،حيث جرت معركة في قصر الحيران دامت ثلاثة أيام، مكنت أحمد بن سالم من قتل الحاج العربي وبذلك وضع حدا لخصمه من جهة وقضى على نفوذ الأمير في المنطقة من جهة ثانية، وتمكن بن سالم من العودة لحكم الأغواط[2].

2 -منطقة الأغواط بين التبعية غير المباشرة والاضطرابات المحلية :

تعتبر حملة ماري مونج سنة 1844 على الأغواط أول حملة فرنسية جادة لاحتلال وضم منطقة الأغواط إلى سلطتها، وقد جاءت هذه الحملة وسط ظروف أملتها الصراعات الداخلية في المنطقة، خصوصا الصراع بين أنصار الأمير عبد القادر وأنصار أحمد بن سالم، والذي تعتبر دعوته للفرنسيين للحلول بالأغواط السبب المباشر لهذه الحملة ، فقد بدا الجو خاليا لأحمد ابن سالم ليكون السيد المطلق على الأغواط، لكنه كان خائفا من انتقام الأمير عبدالقادر، وفي ظل هذه الظروف بلغ صدى

[1]- Arnaud, OP.CIT, p 450.

[2]- E. Mangin , OP.CIT, p. 83-85 .

الانتصارات التي حققها الجيش الفرنسي على الأمير في تخوم الصحراء، مما جعله يقتنع بأنه اذا أراد أن يحمي نفسه من هجمات من طرف الأمير مستقبلا، وتبقيه على رأس السلطة، عليه أن يلجأ الى فرنسا ويحتمي بها. [1]

وهكذا فقد أبدى استعداده للتعامل والتحالف مع الفرنسيين فاستجابت له السلطات الفرنسية لكونها تبحث عن مساعدة القوى المحلية هذه الأخيرة التي سهلت من مهمة التوغل الفرنسي في المنطقة[2]، وتجسد ذلك في اغتنامه فرصة تواجد الجنرال ماري مونج قائد منطقة المدية العسكرية رفقة قوة مؤلفة من 1500 في قصر زكار في جبل الصحاري بجولة استكشافية خلال شهر مارس 1844 ليبعث له بخيول الطاعة مع شقيقه يحي بن معمر طالبا منه الاعتراف به كخليفة على الأغواط وقصورها الخمسوعلى كل الأرباعوالحرازليةوبنيميزابلحكمها باسم الإدارة الفرنسية [3].

أرسل الجنرال مونج تقريرا إلى الماريشال بوجو يتضمن هذا الطلب ، بينما أعطيت الأوامر لتحضير بعثة عسكرية استكشافية إلى الأغواط أوكلت قيادتها إلى الجنرال ماري مونج Marey Mongeو في الفاتح من ماي غادرت البعثة المدية، التي كانت تتكون ، ضمت ألفا وسبعمائة (1700) جندي، وقد اتجهت الحملة من المدية إلى تاجموت التي وصلتها يوم 21 ماي حيث استقبلها أحمد بن سالم محاطا بأعيان سكان الأغواط، وغاب عن هذا الاستقبال الشيخ التيجاني الذي أرسل ولاءه للجنرال، وأدركت السلطات الفرنسية قيمة هذا الشيخ المعنوية لذلك عاملته معاملة حسنة قصد إخضاعه نهائيا لسلطتها و يصبح صديقا للفرنسيين و تزيد الهوة بينه وبين الأمير عبد القادر عدو الفرنسيين، فبعث الجنرال مونج وفدا بقيادة العقيد سانت أرنو Saint Arnaud للاطلاع على المكان و أخذ ما فرض من الضرائب ، ولكن تقرر اعتبار عين ماضي مكانا مقدسا لا تجوبه العساكر الفرنسية فأعفيت الزاوية من دفع الضرائب[4]، وكان يصطحبهم في هذه الرحلة أحمد بن

---

[1]- سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج1، ص279-280.

[2]- Général Du Barail, **Mes Souvenirs** , T2,1851- 1864 , Librairie plon, 4 éme éd. Paris , 1895 , p. 27.

[3]- E. MANGIN ,OP.CIT, p 86.

إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1834-1837، ط1، دار هومة، الجزائر، 2005، ص101

[4]- علالي، مرجع سابق، ص46.

سالم الذي عينته فرنسا خليفة على الأغواط وقصورها الخمسة وقبائل الأرباع والحرازلية في حفل أقيم خصيصا لهذا الغرض، حيث تم الاعتراف بأحمد بن سالم كخليفة من الضباط وزعماء الأهالي، وأصبح أخوه يحي بن معمر أغا الأغواط، وصهره بن ناصر بن شهرة أغا الأرباع، وعُين على قصر الحيران وتاجموت حاكم والقصور تُسير بالجماعة [1]، حضر هذا الحفل الضباط الفرنسيون والشيوخ المحليون وقرى مرسوم التعيين بالفرنسية والعربية وأطلقت طلقة بالمدفعية رفع على إثرها العلم الفرنسي، وسلم الخليفة أحمد بن سالم راية الأمير عبد القادر التي انتزعها من الخليفة السابق الحاج العربي، إعلانا منه بخروج المنطقة من سلطة الأمير ودخولها تحت الحكم الفرنسي ، لأنه يمثل الضمان الكامل للنفوذ الفرنسي في الأغواط باعتباره شخصية مرموقة وعدو للأمير عبد القادر، وكانت تسانده قوة عسكرية تقدربألف ومائتين جندي وخمسمائة فارس وقطعة مدفعية، ولتعود أدراجها إلى الأغواط في الفاتح من جوان[2]، وكان الخليفة يتقاضى حوالي 18 ألف فرنك وكل آغا معه 2500 فرنك، وقد أرسلت السلطة الاستعمارية محافظا حكوميا ليكون مستشار للشيخ أحمد بن سالم، غير أنه في الحقيقة كان يمثل دور الحاكم.

لم يجلب تعيين الفرنسيين لأحمد بن سالم خليفة على المنطقة الاستقرار المطلوب بل بالعكس ازدادت الاضطرابات في المنطقة وتعددت أسبابها وظروفها ولم تعد مرتبطة فقط بنشاط الأمير عبد القادر وأعوانه في المنطقة، لقد كان الجنوب يغلي كحرارة شمسه على حد تعبير أبو القاسم سعد الله[3].

ففي سنة 1846م استطاع الأمير عبد القادر أن يكسب تأييد أولاد نائل بجنوب المدية، وقامت انتفاضة استجابت لها كل القبائل تقريبا، واستدعى القائد سي الشريف بن الأحرش من أولاد لغويني، لينقذ أولاد نايل في جنوب المدية، وكل هاته القبائل كانت تسخط على أحمد بن سالم لأنه كان تابعا للفرنسيين، ماجعله معزولا في منطقة الأغواط ورغم ذلك بقي مخلصا لسلطة الاحتلال الفرنسي التي استطاعت أن تخلق نوعا من التنافس والتناحر بين بعض الزعماء والقادة ، وقد لعب كل من الجنرال يوسف والجنرال ماري مونج الدور البارز في إذكاء سياسة فرق تسد [4]،وجلول بن يحي أغا

[1]- 4E. MANGIN ,OP.CIT.p, p 9.

[2]- OP.CIT.p 93-94.,E. MANGIN

[3]- سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج1، ص354.

[4]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص104.

جبل العمور لم يفعل شيئا للرد على هذه القبائل لأنها كانت تدعم الأمير عبد القادر، وهو كان تابعا للجنرال يوسف الذي كان مكلفا بالمنطقة الشمالية لجبل العمور[1].

عسكر أولاد يحي وأولاد ساعد بن سالم مع قبائل أولاد نايل في المناطق القريبة من الأغواط بالتعاون مع سيدي موسى بن حسن (بوحمارة) الذي ينتمي إلى الطريقة الدرقاوية ، وذلك تمردا على الأوامر التي أعطاها لهم الخليفة المتعاون مع الفرنسيين، تجددت الانتفاضة في الأغواط بقيادة سي موسى بوحمارة شيخ الطريقة الدرقاوية التي لها أنصار في الأغواط وأولاد نايل لكن قدوم الجنرال ماري مونج جعله ينسحب نحو متليلي، وفي شهر فيفري 1847م عاد الجنرال ماري مونج إلى جنوب المدية، ، ودخل في صراع مع أولاد نايل وبني الأغواط[2].

وهكذا حاولت فرنسا وبالخصوص "الجنرال لادميرول "ثم" الجنرال يوسف "الذي خلفه على رأس شعبة المدية ثم " الجنرال مونج " إلى الاستعلام وإعداد التقارير لملاحقة القبائل الموالية للأمير عبد القادر في المنطقة الممتدة بين الجلفة إلى جبال عمور وحتى الأغواط جنوبا.

وعرفت هذه الفترة مناوشات بين أحمد بن سالم خليفة الأغواط وبن ناصر بن شهرة آغا الارباع، وذلك أن والد بن ناصر تعرض له بعض أتباع بن سالم بطلب من الطيب بن مقواس منافسه على حكم قبيلة المعامرة حيث قاموا بقتله، ولكن بن شهرة لم يصمت على ذلك وقرر الرد عليهم، وحدثت اضطرابات كبيرة في قبيلة الأرباع، فانقسموا الى قسمين أحدهما انحاز الى بن ناصر بن شهرة والآخر مع الطيب بن معمر وابنه مُحَمَّد، فتوجه بن ناصر مع بعض أتباعه الى الجنرال ماري مونج ودخل المدية في 17ماي1847م، واشتكى له من ظلم خصمه أحمد بن سالم، إلا أن الجنرال الذي سئم من هذه الشكاوى المستمرة، جعله يقيل بن ناصر بن شهرة من منصبه، بموافقة الجنرال يوسف[3].

كما حدثت في ربيع 1849 ضجة كبيرة، بدأت تنتشر جنوب المدية، مفادها أن سي موسى الدرقاوي (بوحمار) قد دخل الى الأغواط واستقبل بحفاوة كبيرة من قبل السكان، وأن الخليفة

[1] - E Mangin , OP.CIT. P 96.

[2] - - ibid, p, p 97.

[3] -ibid, p 97-98.

أرسل له هدايا ثمينة، وتزامن ذلك مع اندلاع انتفاضة الزعاطشة بقيادة بوزيان، ولكي تعم المقاومة وتأخذ طابعا دينيا، أرسل هذا الأخير يطلب من الزوايا المدد للوقوف معه ضد الاحتلال الفرنسي الذي يستهدف المنطقة، فأخذ سي موسى بن حسن مجموعة من المتطوعين لمؤازرته، وفي المقابل قام التلي بن لكحل (الذي كان أحد آغاوات الأمير) بإثارة بعض العشائر من أولاد نايل من بينهم أولاد سي أحمد، وسار بهم نحو مسعد، إلا أنهم لم يكن يوسعهم الالتحاق وتعذر عليهم الوصول[1].

المبحث الرابع: انتفاضة الشريف مُحَّد بن عبد الله وبن ناصر بن شهرة وسقوط المدينة 1850-1852:

في ظل هذه الظروف والأحداث المتنامية في منطقة الجنوب، والتي كانت تنذر بخطر داهم بالنسبة لفرنسا، أبلغ النقيب كاروس (Carrus) في ماي 1850 في الأغواط السلطات العليا بوصول مرابط إلى الجنوب اسمه مُحَّد بن عبد الله أصبح سلطانا على ورقلة [2]، ولُقب بشريف ورقلة، ولبسط نفوذه على الصحراء أدرك الشريف أنه لابد له من الاعتماد على قبيلة عظمى وقوية، ويبدو أنه وجد ضالته في قبيلة الأرباع قرب الأغواط التي كان يقودها الثائر بن ناصر بن شهرة، وعلى إثر التحالف بين بن ناصر بن شهرة ومُحَّد بن عبد الله خرج الأخير من ورقلة أواخر سنة 1851 باتجاه مناطق أولاد نايل، كمنطلق لعملياته حول الأغواط.[3]

1-انتفاضة بن ناصر بن شهرة : كان ناصر بن شهرة يرفض كل تعامل أو اتفاق مع الاستعمار الفرنسي وذلك بالرغم من العروض المغرية التي كان القائد العام لمنطقة المدية " الجنرال لادميرول " يعرضها عليه مقابل قبوله الانضواء تحت راية الفرنسيين، [4] وكان أخر هذه العروض تلك التي حملها إليه " الملازم كاروس بتاريخ 05 سبتمبر 1851 عندما كان رفقة قبائل الأرباع بالشهبونية قرب بوغار في إطار الرحلة المعتادة نحو المناطق التلية، فحضر هو وأخوه أبوبكر كمينا لهذه البعثة

[1]- E Mangin , OP.CIT. P 98-99.

[2]- 76E. MANGIN ,OP.CIT,p 275-2

[3]- ترومللي، **الفرنسيون في الصحراء يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية**، تر: مُحَّد المعراجي، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 93-94.

[4]- Du Barail , op. cit. p 27.

ليبرهن عن قدراته القتالية ويعلن بذلك قيام انتفاضته، فجرد المبعوث" كاروس "و جنده من أسلحتهم و نزع عنهم ألبستهم عدا ما يسترعوراتهم ثم أطلق سراحهم و أمرهم بالعودة من حيث جاؤوا، ورجع ابن ناصر إلى الأغواط واستولى على قرية قصر الحيران وحصنها ، فاتصل به السكان من كل جهة خاصة أعيان المدينة للتعاون معه لأنهم يئسوا من سياسة الاحتلال الفرنسي[1].

في 11 ديسمبر 1851 وصل شريف ورقلة إلى ضواحي الأغواط وقد انضم إليه بن ناصر بن شهرة مع قواته، لذلك توجه " الجنرال لادميرول" Ladmirault "على رأس قوة مؤلفة من 1300 من المشاة و 500 فارس نحو الأغواط بأمر من الوالي العام " الجنرالراندون " فتحركت هذه القوة بتاريخ 22 فيفري1852 [2].

وصلت الحملةإلى الأغواط بتاريخ 09 مارس، و لما أبلغ " الجنرال لادميرول " بقوة و مناعة ابن ناصر في قصر الحيران اكتفى بمراسلته من تحت أسوار مدينةالأغواط ، وكانت تلك المراسلات تحمل نوعا من التوددوالعروض المغرية،لكن ابن ناصر رفض كل تلك المقترحات، فرجعت تلك الحملة بتاريخ 02 ماي إلى المديةو اعتبرت على أنها عملية جس نبض قوة المقاومة و اقترحت على الدوائر الاستعمارية تجهيز حملة أكثر قوة لاحتلال الأغواط التي تعتبر منطقة هامة وعتبة أساسية للتوسع في الصحراء[3].

أسرعت السلطات الفرنسية بتحشيد قواتها تحت قيادة الرائد ديليني Déligny وسارت في مناطق البيض موازاة مع وجود طابور المدية سالف الذكر، وذلك لضمان ولاء حمزة ولد سيدي الشيخ للفرنسيين وهو ما حصل فعلا، ولكن الشريف سار بقواته في المناطق بين الطابورين في وادي زرقون، ثم انسحب الشريف إلى الجنوب حيث التف حوله الأرباع وبن ناصر بن شهرة، الحرازلية، أولاد سيدي عطا الله، سعيد عتبة، مخادمة ورقلة، شعانبة متليلي وأولاد عمار وغيرهم.

[1]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص106.

[2]- ترومليي، مصدر سابق، ص 95. بن يوسف تلمساني، **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر**،رسالةماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 1998، ص244 .

[3]- E. MANGIN ,OP.CIT,p 27 .إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص109-110

زحف الاثنان من ورقلة فسيطرا على نقوسه ودخلا تماسين دون مقاومة فانضمت لهما أعداد من ثوار واد ريغ و الشعانبة و سعيد عتبة، و بهذا كله أصبح الاثنان يهددان المركز الفرنسي في بسكرة الذي كان تحت قيادة " كولينو " فما كان من الأخير سوي توجيه ضربة إلى هؤلاءالمقاومين والتقى الجمعان صبيحة 22 من ماي فحاول " الكومندان كولينو "توجيه ضربة للثوار لكن حنكة ابن ناصر و مُحَّد بن عبد الله جعلته يفشل و يتكبد خسائر كبيرة في صفوفه ،بينما تذكر المصادر الفرنسية هنا أن الثوار خلفوا 150 قتيلا والكثير من العتاد[1].

بعد هذه المعركة انسحب الثائران جنوبا إلى ورقلة وبالضبط إلى الرويسات حيث تم عقد اجتماع قصد تقييم الوضع ورسم خطة حرب جديدة تتلاءم مع الوضع، فتم الاتفاق علىجعل مدينةالأغواط منطلقا للعمليات ضد الاستعمار، وقد شرع في تنفيذ هذهالخطة مع نهايةشهر جويلية حيث دخل ابن ناصر ابن شهرة قصر الحيرانبتاريخ 31 جويلية 1852 و استقبل استقبال الأبطال من أهلها فأقام بها التحصينات و نظم التموين و كان هدفه من تحصين قصر الحيران هو جعلها مركز لجمع المجاهدين و الثوار من كل المناطق المجاورة[2].

وأمام تصاعد المقاومة ضد التواجد الفرنسي بالمنطقة قررت إدارة المستعمر توجيه حملة قوية ضد منطقة الأغواط بعد أن عزلت الخليفة أحمد بن سالم في يوم 06 أفريل 1852 ووجهت إليه تهمة عدم الكفاءة والتقاعس في أداء مهامه ووقوفه عائقا حقيقيا للتنظيم الحسن للمنطقة، ونقله إلى بوغار أين وافته المنية في شهر جوان من نفس السنة، وعين مكانه الشريف بن الأحرش كخليفة بينما عين أخوه الناصر بن سالم لإدارة قصور الأغواط كأغا[3].

بعد استيلاء مُحَّد بن عبد الله وحليفه بن ناصر بن شهرة على منطقة الأغواط في صيف 1852 أصبحت المنطقة تجمعا لعناصر المقاومة، وقد توافدت أعداد معتبرة من الثوار 09 سبتمبر 1852 و كان أول الوافدين الثائر " التلي بالأكحل "و معه عدد كبير من سكان منطقة بوسعادة وأولاد نائل وبتاريخ 24 سبتمبر وصل "يحي بن معمر" (بن سالم) رفقة وفد عظيم من الأغواط، ثم التحق به م

[1]- ترومللي، مصدر سابق، ص98.

[2]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص114.

[3]- بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص 225.

شريف ورقلة، وبعد هذه الحملة أرسل ابن ناصر ابن شهرة سي النعيمي رفقة الشريف مُحَّد بن عبدالله نحو المناطق الشمالية في اتجاه جبال العمور وذلك لجمع أكبر عدد ممكن من الثوار واستطاعا من خلال هذه الحملة أن يحرضا كل قبائل منطقة جنوب وهران وخاصة سكان عمور، والأحرار، والأغواط أكسال الذين انتفضوا في تلك المناطق[1].

لهذا كلف الجنرال يوسف بالقيام ببعض التحركات العسكرية بغية إرهاب السكان، وفي 04 أكتوبر 1852 خاض الثوار معركة كبيرة في عين الرق بجوار غدير مزي قريبا من الأغواط ضد الفرنسيين بقيادة الجنرال يوسف، [2] حيث أن الشريف بن عبد الله وأتباعه حققوا الانتصار في هذه المعركة على الفرنسيين وقتلوا مائتي جندي وحصلوا على 20 ألف رأس غنم وألفي جمل ، واستقبله سكان مدينة الأغواط بحفاوة كبيرة مما جعل سلطات الاحتلال تهيء لطلب النجدات لاسترجاع الأغواط،[3]ووسط هذه الأجواء المشحونة و بتاريخ 29 أكتوبر 1852 قام سكان المدينة بمحاصرة جنود الحامية الفرنسية بالمدينة ، وقد فر الملازم ابن حميدة مع أعوانه من الصبايحية المكلفين بفرض الأمن بالأغواط، وفر معه من والاه من الأرباع مثل قائدهم مُحَّد بن الطيب (بن فرحات) وبن يحي بن عبو يوم 31 أكتوبر وتوجهوا إلى الجلفة، بينما استولى مؤيدوا الثورة على المدينة بعد معركة داخلها وطردوا الموالين لفرنسا ومن بينهم الشيخ علي بن أحمد بن سالم الذي توجه إلى الجنرال يوسف في الجلفة[4].

2-قرار الإدارة الاستعمارية بالاحتلال النهائي للمدينة وحشد القوات:

أدركت السلطات الفرنسية ضرورة السيطرة على المنطقة لذلك في 17 نوفمبر 1852 غادرت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال يوسف الجلفة باتجاه العسافية التي انتصر فيها الفرنسيون، وفي تلك الأثناء كانت وفود المقاومين تصل إلى مقر القائد ابن ناصر ابن شهرة في قصر الحيران، فحاول " الجنرال يوسف "قطع الطريق على هذه الوفود فعسكر على بعد 15 ميل من قوات ابن ناصر بتاريخ

[1]- ترومللي ، مصدر سابق، ص99-100.إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص115-116.

[2]- جريدة المبشر، ع 126، 30 نوفمبر 1852، ص 10.

[3]- دحدي سعود، **ثورة الشريف مُحَّد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية ومواجهة التحديات الاستعمارية الفرنسية 1845-1895**،مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المركز الجامعي، البيض، ع 1، جوان 2010، ص 140.

[4]- ترومللي ، مصدر سابق، ص101.31-30 ,Op. cit.p ,Général Du Barail

18 نوفمبر و في اليوم الثاني واصل زحفه حتى لم يبق له سوى ميلين ، وفي 21 نوفمبر قرر الجنرال يوسف السير نحو الأغواط حيث انسحبت قوات الشريف نحو الضفة اليمنى لواد مزي خلف جدران البساتين،كانت مدفع المدينة تصب قذائفها فوق رؤوس جيوش الاحتلال حيث أصابت بعض الجنود المتقدمين، وتم على إثرها انسحاب القوات الفرنسية بعيدا عن طلقات مدفعية المدينة، وبقي رجال المقاومة يراقبون الضفة اليسرى للوادي والاماكن العالية ، وأمام هذا التصعيد قرر ابن ناصر ابن شهرة و مُحَّد بن عبد الله الزحف بقوة على موقع العدو حيث جرت معركة من أكبر المعارك التي شهدتها المنطقة آنذاكيوم 21 نوفمبر تكبد فيهاالعدوالفرنسي خسائر كبيرة إضافة إلى بعض قادته كالنقيب "أشطايل "، و هو الأمرالذي جعل" الجنرال يوسف "ينسحب إلى قصر العسافية[1].

وفي المساء تقدمت كتيبة المساعدة ومجموعة الهندسة فحطمت سدود الوادي وقنوات السقي التي تزود المدينة بالمياه، وفي يوم 28 نوفمبر تجمعت القوات الجديدة التي كانت في العسافية والتي كانت قد وصلتها يومي 26و27 إضافة إلى طابور الرائد بان (Pin) الذي وصل هو كذلك في نفس اليوم ،بينما عين الحاكم العام " الماريشالراندون" الجنرال بيليسي (Pellessier)قائدا عاما لجميع القوات العسكرية العاملة في الجنوب ، ولإنجاح حملتها على الأغواط وتفادي هزيمة أخرى أمام قوات الشريف وسكان الأغواط انتظرت قوات الجنرال يوسف وصول الجنرال بيليسيي في يوم 01 ديسمبر إلى الحويطة، ومنها انطلق بقيادة أركانه نحو المدينة المحاصرة، ومن ثم تمركز على أطراف المكان المسمى رأس العيون على حافة وادي مزي، على بعد حوالي كيلومترين خوفا من مدفعية المقاومة، وطوال تمركز عساكر الاحتلال لم تنقطع طلقات مدفعية المقاومة، أما الطابور الآخر فتوقف يوم 02 من الشهر على بعد ثلاثة كلم من المدينة لتلقي قافلة تحمل الماء، أرسلها الجنرال يوسف (Yussuf) للتموين والتمويه؛ وتمركزت على يسار المدينة [2]، وبلغ عدد الطوابير الفرنسية خمسة طوابير كبيرة، بأعداد كثيرة مجهزة بأسلحة مختلفة[3].

وهذا تفصيل لأهم القوات التي شاركت في احتلال مدينة الأغواط :

[1]-Général Du Barail , op. Cit, p. 32-33

[2]- ترومللي ، مصدر سابق، ص 102.

[3]-MANGIN,op.cit, p 309.

-الطابور الأول: إقليم الجزائر المرابط بالجلفة تحت قيادة الجنرال يوسيف، يتكون على الخصوص من: فيلق الرماة الأهالي بالجزائر تحت قيادة العقيد روز (commandant Rose)، والفيلق الثالث من زواف تحت قيادة العقيد باروا (Commandant Barrois)، والفيلق الستون لخط الدفاع للطابور الرئيسي، وثلاث سرايا متكونة من 300 رجل من الفيلق الثاني لمشاة إفريقيا، للكوكبة الثانية والرابعة من الفوج الأول لقناصة إفريقيا تحت قيادة الرائد ليشتلان (Litchtlin) ، ثم كوكبة حربية من السبايس الأول التابعة للنقيبين دي باراي ومارتن (Dubarail et Martin) تحت قيادة رئيس الكوكبة فرانك (Francq)، ومجموعة تابعة لبطارية المدفعية المقبلة للجبال، ووحدة من عشرين نقابا تابعة للهندسة، وفصيلة محاربين تابعة لزمرة القاطرة العسكرية المجرورة، مجموعة فرسان متخصصين في العمليات القتالية (قوم) من الدائرة العسكرية بوغار والمدية، وهو ما مجموعه ألفين ومائتي جندي مشاة (2200) و خمسمائة فارس نظامي (500) وألف ومائتي فارس من القوم (1200)[1].

– الطابور الثاني: مقاطعة قسنطينة المتواجد في بوسعادة تحت أوامر العقيد بين (Pen)،وهذه القوات متكونة من:ثلاث سرايا للفيلق الثالث بإفريقيا وعددها 300 رجل، مع مفرزة من الرماة المحترفين القادمين من قسنطينة بالإضافة إلى 50 جنديا مختصا، 125 فارسا نظاميا (Cavaliers de Guerres) من القوات الإضافية الأخربحيث تم ارسالها عاجلا لتجتمع في مدة أقصاها ثلاثة أيام بمركز القيادة، ثم التوجه نحو المدينة، وقد وصل إلى العسافية يوم 28 نوفمبر 1852 [2].

– ثلاثة طوابير أخرى قدمت من مقاطعة وهران ومنطقة الغرب تتشكل من كتائب وهران ومعسكر وسعيدة، تحت قيادة الجنرال بيليسي، وكانت قوات بيليسي المنطلقة من وهران مكونة من فيلقين اثنين من عساكر زواف، ومن فصيلة الرماة المضادة للمدفعية وأخرى مرافقة، وفصيلة متخصصة من سلاح المدفعية (رماة الجبال)، وسريتان من القناصة الثانية لأفريقيا، وسرية من قناصة أهالي وهران، ومفرزة للأشغال المدنية، أما طابور الجنرال بوسكارين المنطلق من معسكر فهو مكون من فيلق من الصف الخمسين للمقاتلين المشاة، وفصيلة من رماة مدفعية الجبال الخاصة، ومن 400

[1]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص116-117.

[2]- Du Barail , op. Cit. p. 47

جندي من الفيلق الإفريقي تمثل ثلاث كتائب متخصصة، ومن خمسة وثلاثين من رجال الإنقاذ ومفرزة للأشغال المدنية، وقد التحم الطابوران في البيض وهو يوازي في قوته وعدده طابور الجلفة.[1]

وفي 03 ديسمبر لم يترك بيليسيي في مخيمه إلا الحراسة الضرورية وأخذ كل القوات لتحديد نقطة الهجوم، وتقدم للسيطرة على المناطق الرئيسية رغم إعاقة السكان المدافعين لحركته إذ خسر أكثر من (100) رجل بين قتيل وجريح[2]، وبدأ بضرب المدينة بالمدافع التي أربكت العرب، واستولت كتائبه من الزواف على التلال القريبة من المدينة[3].

3-المعركة النهائية يومي 03-04 ديسمبر 1852:

في صباح 03 ديسمبر بدأت المعركة النهائية بين الطرفين حول احتلال المواقع الاستراتيجية كالتلال المحيطة بالمدينة، ، ثم قرر بيليسيي الهجوم على المحاصرين في التلة الشرقية (كاف الضلعة) مما أجبر المدافعين على تقسيم قواتهم والتراجع نحو الجزء السفلي للمدينة ليبدأ قصفهم بفعالية بسبب الانحدار، كلف بيليسيي العقيد كليرك (Clerc) بالهجوم على المدينة وإنهاء الحصار فعسكر بقواته على سفح الجبال على بعد (600 م) من البساتين والمرابط سيدي الحاج عيسى، وقصفت الأبراج فأطفأت أضواءها على الساعة السابعة مساء.[4]

أمر الجنرال قواته بمرافقته، للقيام بجولة استطلاعية إلى موقع الهجوم، وفي نفس اليوم تمركزت قوات المقاومة الشعبية على طول السهل بين المدينة ومعسكر قوات الاحتلال، حيث أفزعت الجنرال يوسيف الذي قدم تقريرا مستعجلا للجنرال بيليسي، ولم يبق للجنرال قائد الحملة الهجومية إلا أن يأمر البطاريات والمدفعية الجبلية بقصف البساتين وأسوار المدينة وتكررت العملية نفسها حول مداخل

[1]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص116-117.

[2]- Barail,op-cit, p36.

[3]- E. MANGIN ,op.cit,p 305-306.

[4]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص119.

المدينة، من أجل السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من البساتين المجاورة لحائط المدينة، حتى يتسنى لجيوش الاحتلال تسلق الجدران المحصنة لكي يقتربوا أكثر من الجبل الموجود أمام باب المدينة.[1]

وصلت طوابير الجنرال بوسكارين (Bouscarin) في نفس اليوم بعد منتصف النهار بثلاثين دقيقة، ليجتمع القائد العام مع نقباء الهندسة ورماة القذائف والمدفعية من أجل رسم خطتهم الجديدة وقطع أنفاس السكان وئم يبق لهم سوى الهجوم من الناحية الشرقية،[2]كان هجوم الطابور الأول بقيادة بوسكارينونائبه العقيد كلير (Cler) والنقيب بيرنو (Burnon)، في الساعة الرابعة كانت كتائب المشاة تعمل في جنوب المدينة، تحفر الخنادق وتضع الحواجز مدعومة بالفيلق الثاني وبحوالي 600 عنصر من السبايس، وفي الساعة السادسة تقدمت الكتيبة الثانية لزواف نحو الربوة المطلة على المدينة، وبعد ساعة التحقت بها الفصيلة العسكرية الثانية المدفعية الجبال لتتموقع على بعد حوالي خمسين مترا ليبدأ القصف العنيف على المدينة.

وفي الساعة الثامنة أوشك طابور الاحتلال أن يستولي على ساحة ضريح الولي سيدي الحاج عيسى فتصدت له المقاومة بكل قوة حتى تقهقر وفشلت الهجومات العنيفة، فجاءها المدد بأربع كتائب من زواف، أما فصيلة الاقتحام الجبلية فكانت تتبع تحركات رجال المقاومة القائمين بالحراسة على مستوى الجبل ووراء الضريح، [3]بعدها تم فتح جبهة ثانية باتجاه ضريح الولي سيدي الحاج عيسى من قبل نقيب الهندسة برينو (Brunon)، واستمرت العمليات والمعارك حتى الساعة الثانية صباحا من دون انقطاع، إذ كانت ليلة مرعبة بالنسبة إلى سكان المدينة.[4]

ثم نظم العدو هجوما ثانيا من الناحية الشرقية لكاف الضلعة وآخر بالجهة اليمنى وفي هذا الهجوم استعملت المدفعية الثقيلة ، ولكن هذه المحاولة الأولى للقائد العام الفرنسي فاشلة وخاسرة، بعدها كلف نقيب الهندسة برينو (Brunon) بالهجوم من الجهة الغربية تحت قيادة نقيب الهندسة

[1]- ترومللي ، مصدر سابق، ص102.

[2]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص119. مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص108.

[3]- Chettih Mohammed , **La bataille de Laghouat legéncide décembre 1852**, imprimerie bensalem, laghouat,2009, p102-105. -

[4]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 119-120.

الثاني سونجال (Sandjal)، وكلف الجنرال يوسيف (Yussuf) بهجوم مماثل من الجهة الشرقية في نفس الوقت، ليكون الضغط على المقاومة، وفضل القائد العام تمركز المدفعية فوق أرضية ضريح الولي سيدي الحاج عيسى لكي يقصف الجهتين: الربوة والبساتين، وبدأ الجنود في حفر الجدران للتوغل إلى الداخل حتى تمكنوا من الدخول إلى المدينة في السادسة صباحا من الرابع ديسمبر.[1]

في يوم 04 ديسمبر سارت كل الحشود العسكرية الإضافية المخصصة لهذا الهجوم في اتجاه المدينة، ،وكان لهجوم كاف الضلعة أهمية كبرى، لكونه ترتكز عليه كل العمليات الأخرى، نظرا لأهمية المكان لعدة أسباب، منها: قربه من باب المدينة، وكونه مكانا عاليا مطلا على المنازل، و كونه مكانا متسعا للعساكر، لكن المقاومة الشعبية كانت قد أخذت كل التدابير والاحتياطات اللازمة لمواجهة هذا الهجوم ، فكانت عساكر الاحتلال كلما تقدمت فوجئت برد عنيف من المقاومة، لتعيد على إثره عساكر الاحتلال انسحابها إلى الوراء من أجل استدراج المقاومين ومباغتتهم، وقد دامت العملية عدة ساعات في تقدم وتأخر وكر وفر، وعند كل انسحاب تستنجد بقوات أخرى من الفيالق الإضافية مخلفة وراءها الكثير من الخسائر.

بدأت عملية القصف بمدفعيات الجنرال "بيليسي" متزامنة مع انطلاق القوات المخصصة للهجوم من الضفة اليمنى لوادي مزي؛ ومنذ الفجر وإلى غاية الساعة العاشرة صباحا أسفر هجوم الجنرال "بيليسي" على انهيار الحائط المجاور للثغرة التي خلفتها المدفعية خلال الهجوم السابق،[2] ومن ثم تسللت القوات الخاصة إلى أعلى كاف سيدي الحاج عيسى؛ وعند الإشارة الثانية تقدمت قوات الجنرال "يوسيف" إلى كاف الضلعة، وفي هذه الأثناء تلقت القوات الفرنسية الأمامية أقوى رد جاء من داخل البساتين وزادت الهجمات ورد المقاومة عليها[3].

في الساعة السابعة صباحا وأثناء الاقتحام دفع القائد العام بقوات أخرى خاصة من أجل حماية القوات الأمامية من نيران المقاومة التي لم تنقطع وازدادت كثافة مع طلوع الفجر، وفي تلك اللحظة

[1]- E. MANGIN ,op.cit,p 30

[2]- ترومللي ، مصدر سابق، ص103.

[3]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص121.

كان الجنرال بوسكارين وأعضاء القيادة العامة فوق الجبل أين تلقوا هجوما دفاعيا عنيفا هز أركان المدينة، حيث كانت طلقة موحدة ومنسجمة من بنادق المقاومين أصابت إحداها فخذ الجنرال بوسكارين فكانت الضربة التي تسببت بوفاته بعد ذلك [1]، وقد كشف الفرنسيون من هجوماتهم أين ردت المقاومة بشدة ؛وفي هذه المحاولة الأولى جرح الملازم أرنو (Arnaud) وقتل عدة جنود فرنسيين بالإضافة إلى الخسائر المادية مع إحباط معنويات قادة الحملة، وعندها استخلف العقيد كلير الجنرال بوسكارين وأعاد تنظيم الهجوم مرة أخرى بطريقة جديدة على حافة الجبل لكي يتجنب رد المقاومة المكثف، بعد أن كادت أن تقضي عليه في تلك اللحظة لولا تدخل المدفعية لحمايته[2].

كان العدو قد استعمل المدفعية لرد هجوم المقاومة، وكان رد عساكر الاحتلال أعمى وانتقاميا في كل مرة، فسقط الشهداء من رجال ونساء وأطفال، واستمرت المدفعية في القصف وعساكر الاحتلال في تحطيم الجدران بالفؤوس لفتح ثغرات وممرات كبيرة تساعدهم على دخول المدفعية والآليات للمدينة، كما استعملت السلالم للصعود فوق سطوح المنازل المتواجدة فوق الجبل والسطو على الأماكن الأشد حراسة حيث كانت عائقا وحاجزا منيعا في وجه الاحتلال.

وفي الساعة الحادية عشرة كانت الثغرة التي خلفتها ضربات المدفعية داخل السور تتسع لحوالي 35 مترا، وفي هذه اللحظة قدم الجنرال "يوسيف" طابورا آخر قويا للهجوم يتكون من اثنتي عشرة كتيبة من زواف ، ثم قام بنشر الفوج الثاني وهو فصيلة عمل تحت قيادة النقيب بيرنو من مجموعة الهندسة التي كانت تسير مع الطابور، وفي هذه الأثناء كان الجنرال يوسيف في معركة طاحنة شمال المدينة والتي كانت قد بدأت في نفس التوقيت مع المعركة الجنوبية، أما طابور الجهة اليمنى فقد دخل المعركة في نفس التوقيت متسللا داخل الواحة والبساتين الملتصقة بالمدينة، وكانت هذه خطة هجومية شاملة من الجهات الأربع، ومن فوق الجبل لكي تشل صمود المقاومين[3].

[1]- E. MANGIN ,op.cit,p 30. . ترومللي ، مصدر سابق، ص102-103..

[2]- مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص122-123.إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص121.

[3]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص122.

وقد كان هذا الزحف بقيادة الجنرال "بيليسي" متبوعا بالقيادة العليا ؛ ثم تدخلت قوات أخرى من 12 كتيبة مصحوبة بقوات أخرى السطو مستعملة السلالم في الأماكن العالية والتسلل بداخل الثغرات التي خلفتها قذائف المدفعية على مستوى الجدران، حتى يتمكنوا من الوصول إلى أعلى الجبل[1]، بينما كان توغل عساكر الاحتلال على قمة الجبل المطل على المدينة والساحات المحيطة بها قد كلف الغزاة الفرنسيين ثمنا باهظا في الأرواح والعتاد، وقد كلف دخول القصبة لوحدها العدو 60 قتيلا ومئات الجرحى وإصابة العقيد موران بجروح خطيرة مات على إثرها فخلفه أخوه لويس برتبة ملازم في نفس المجموعة الذي أصيب هو كذلك بجروح في نفس اليوم، علما بأن مدفعية الاحتلال كانت تصب قذائفها على منارات المساجد الشامخة حيث تم تحطيمها عن آخرها؛ ومن بين هذه المساجد المسجد العتيق في أعلى الجبل ومسجد الخليفة[2].

وبعد احتلال قصبة بن سالم بقليل وصل الجنرال بيليسيي وأعطى تعليمات صارمة لإنهاء الاحتلال وتمشيط وسط المدينة، وتكبد الاحتلال الفرنسي خسائر جد معتبرة في الأرواح، وقد تحول القتال إلى الشوارع وسط المدينةواستمرت المعركة إلى غاية الساعة الثانية زوالا [3]،وتمت السيطرة على الوضع بعد أن دُكت دار الخليفة القديم (دار الصفاح) التي كانت آخر ملجأ محصن للعرب، وعلى بابها التقت فرقة المدية بفرقة وهران، والتقى الجنرال يوسف بالجنرال بيليسيي على سطحها في منتصف النهار،[4]وجرح الشريف مُحَمَّد بن عبد الله وأخرجه ابن ناصر ابن شهرة من الحصار المفروض على المدينة دون أن يعلم الجيش الفرنسي[5].

وقد ارتكبت فرنسا أبشع الجرائم عند احتلالها للمدينة، فقد عاث الجنود الفرنسيون بالمدينة لأكثر من أسبوع كانوا ينتقلون من بيت إلى بيت و يطلقون النار دون أي تمييز و ينهبون ويسلبون الأثاث و النقود و الحلي، و يحرقون المؤونة و لم تسلم حتى الكتب التي في الدور أو المساجد التي دمر

[1] -E. MANGIN ,op.cit,p 313-315.

[2] - مخلوف صادقي، مرجع سابق، ص123.

[3] -E. MANGIN ,op.cit,p 318.

[4] - Barail, p ,op-cit. 37-38 .

[5] - إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص123.

اثنان منها و حول الثالث إلى إسطبل للحيوانات أما الرابع فقد حول إلى كنيسة أما من بقي حيا من السكان فقد وضع لهم محتشد كبير عانوا فيه الجوع والمرض والمهانة، ومنهم من استطاع الفرار إلى خارج الحصار، أما أكبر جريمة ارتكبتها القوات الفرنسية فهي جمعها لأعيان المدينة وبعض الأسرى ووضعتهم في أكياس أغلقت عليهم ثم أحرقتهم قرب وادي مزي ورمت ما يقارب 256 جثة فيآبار المدينة، لقد كانت المجزرة رهيبة جدا في أوساط السكان داخل المنازل وفي الشوارع وعلى مستوى خيم رجال المقاومة والمتطوعين القادمين من العروش والمناطق المجاورة، إذ اكتظت بها الساحات والشوارع، وقد دمرتها قذائف مدفعية الاحتلال، أما الأفنية والبيوت فهي كذلك مغطاة بالقتلى.[1]

كان الجنرال بيليسي في أتم الابتهاج و الفرحوعلى جماجم هؤلاء احتفل بالنصر حيثفرشت الزرابي الفاخرة وسط المدينة و تناول عليها غداءه وهنأ ضباطه على انجاز المهمة ، ومما جاء في مذكرات " النقيب دوباراي : " إن الجنرال بيليسي اتخذ بعد المجزرة قرارا بهدم المدينة و اقتلاع نخيلها و ترحيل من بقي من السكان إلى منطقة أخرى في الجزائر [2]، كما يصف الكاتب الفرنسي فرومنتان عند زيارته للأغواط بعد ستة أشهر من المعركة بأنه وجد المدينة ما زالت تفوح في جنباتها رائحة الجثث المتعفنة، وأن الكلاب تأتي ليلا لنهش أشلائها و يواصل قائلا ": جميع الأملاك المصادرة وضعت مؤقتا في عهدة حارس قضائي أما فيما يخص تلك الغنائم العظيمة من السجاد والأسلحة والحلي ومكن القول أنه لم يبق منها شيء في الأغواط...كل البيوت فارغة ، من أفقرها إلى أغناها" [3].

ذهب ضحية هذه المواجهة ضد الفرنسيين 2500 شهيدا من أهل البلدة والمقاومين من مجموع 3600ساكن، بالإضافة إلى عدد من الجرحى والمنكوبين والمفقودين، ودامت الهمجية الاستعمارية تعيث قتلا وفسادا في المدينة أكثر من ثمانية أيام بعد سقوط الأغواط يوم 04 ديسمبر 1852 م، وبالفعل أصبحت المدينة مخربة ومحطمة، لقد هربت الكلاب من المدينة بسبب الخراب الذي أصابها، والتجأت إلى تلة قريبة أصبحت تسمى منذ ذلك الوقت ب "كاف الكلاب"[4].

---

[1]- Du Barail , op. Cit. p.51. E. MANGIN ,op.cit,p323.

[2]- Barail, op-cit, p 38.

[3]- Fromentin , op. Cit. p.87.

[4]- إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص124.

لقد خطط بيليسيي لتحطيم المدينة وأثناء التهديم تدخل الجنرال روندن (Rondon) وأعطى أمرا بإلغاء كل الأعمال وأن يكتفي بإعلان الأغواط مدينة محتلة نهائيا؛ وعين الجنرال دي باراي حاكما للمنطقة، ويشير أحد القادة الفرنسيين أن عملية دفن رفات الشهداء والموتى استغرقت أياما عديدة،وعندما وبخ بيليسي جنوده بسبب البطء في عملية الدفن أجابه أحد ضباطه بالقول: "لا يمكننا دفن الموتى بمثل السرعة التي قتلتهم بها".

لقد تمكنت فرنسا من احتلال الأغواط نهائيا، ولكن عملية الاحتلال استمرت عبر مراحل من سنة 1844 إلى غاية سنة 1852، وهو ما يعني أن عمليات المقاومة قد أدت إلى تأخير سقوط منطقة الأغواط، في حين أن الآلة الاستعمارية قد استفادت من سياسة فرق تسد وذلك عن طريق ضرب قيادات المنطقة ببعضها، واستعداء احدها على الآخر، بينما تعمد إلى التخلص من أي شخص بمجرد الشك في تصرفاته، وقد خلف سقوط مدينة الأغواط في أيدي الاحتلال الفرنسي صدى كبيرا على مستوى الصحراء، وأصبح يقال لدى القبائل الصحراوية بأن فرنسا احتلت أو ربحت جزائر ثانية في الجنوب[1].

[1]- E. MANGIN ,op.cit,p 323-325

الفصل الاول: مجتمع الاغواط بعد الاحتلال

المبحث الأول: تركيبة مجتمع الأغواط

المبحث الثاني: الإدارة الفرنسية لمنطقة الأغواط

المبحث الثالث: خصائص ومميزات المجتمع الأغواطي

المبحث الرابع : العادات اليومية والاحتفالية لمجتمع الأغواط

الفصل الاول: مجتمع الاغواط بعد الاحتلال الفرنسي

المبحث الأول: تركيبة مجتمع الأغواط : تميزت التركيبة السكانية في الأغواط بالتنوع العرقي و والوظيفي فهناك البدو الرحل و هناك المستقرين في القصور :

1/سكان القصور: يتكون القصر في العادة من عدة منازل تتموضع بشكل تتابعي ومتداخل تتميز بالبساطة فهي تخلو من مظاهر الزخرفة وتستجيب لمقتضيات البيئة الموجودة بها وتتكون البيوت من طابق أو طابقين على الأكثر كما يحتوي القصر على ساحة وسطى تعتبر نقطة التقاء الأزقة وتسيير المرور وهي المكان الذي يستلهم منه ضوء النهار، إضافة إلى مسالك وممرات يكون توجهها عادة من الشمال نحو الجنوب لتتفادى تعرضها وتعرض مداخل البيوت إلى أشعة الشمس، [1] وللترابط الكبير بين منشآت القصر كان من الضروري إيجاد متنفس لهؤلاء السكان بإجاد فضاء واسع تمثلت في مساحات تتوسط الأحياء (رحبة) لتجمعاتهم وإقامة أفراحهم وأسواقهم، وهي مزودة بدكانات للجلوس في انتظار أوقات الصلاة أو لمناقشة مشاكل القصر.

يعتبر سكان واحات القصور حضريو الجنوب، وهم يمارسون الزراعة في الغالب، [2]وهناك من سكان القصور من يعيش بطريقة (نصف البدو-نصف الحضر) حيث يعيشون في قصورهم فترة من السنة، أما بقية السنة فيسكنون خياما ينصبونها على الأراضي التي يزرعونها في أسفل جبال الأطلس الصحراوي، ويضطر القصري إلى البقاء قرب بساتينه بطريقه مستمرة أو يكون له فيها على الأقل منزل دائم أو مستودع، ويقوم بتجميع المياه وجرها وتنظيم أقنية الري وصيانتها، [3]والملاحظ في قصور الأغواط سعي السكان إلى احترام البيئة المحيطة حيث قاموا بتنمية علاقة وطيدة مع الطبيعة فاعتنوا إلى

---

[1]- ترومللي ، مصدر سابق، ص 332-333. التخي بلقاسم، **الجانب الجمالي والرمزي في عمارة قصور منطقة الأغواط** ، مجلة العلوم الاسلامية والحضارة، ع2، ماي 2016، ص289.

[2]- عدي الهواري، **الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1960**، تر: جوزيف عبد الله، دار الحداثة، لبنان، 1983، ص115.

[3]- ترومللي ، مصدر سابق، ص 331.

جانب التعمير بالبساتين والمياه وأدمجوها في عمرانها فكانت قصورهم أحسن انسجام بين العمران البشري والطبيعة.[1]

ينتمي سكان قصور الأغواط في غالبهم إلى الجنس العربي وبالتحديد إلى القبائل الهلالية والسليمية والمعقلية التي هاجرت إلى بلاد المغرب خلال القرن 11م، و في المنطقة هناك الكثير من القبائل ذات الأصل الشريف و هي المنحدرة من الرسول صلى الله عليه و سلم من ابنته فاطمة،بالإضافة إلى عائلات من أصل مغراوي مثل بني سنجاسن فقد نزلوا الجبل الذي يحمل اسمهم جبل بني راشد، وقد اختلطت مع العائلات العربية، و هناك عائلات في قصور الأغواط هي خليط من العرب و الأمازيغ مثل المطاريف، أولاد يعقوب والعمور، الذين اختلطوا مع بني سنجاس.

و بعد الاحتلال الفرنسي للأغواط سنة 1852م بدأت السلطات الفرنسية باتخاد سياسة استعمارية، كان الهدف منها تفكيك الوحدة الاجتماعية للسكان من خلال العمل على اذكاء الصراع القبلي وتنمية الروح العنصرية، وبهذه السياسة الهدامة التي استهدفت البنية الاجتماعية استطاعت أن تقضي تدريجيا على تماسكها، وكذا لم يعد لنظام الجماعة و القياد الذي أدار شؤون مدينة الأغواط قبل الاحتلال أي وجود[2].

وقد واصلت السلطات الفرنسية سياستها تجاه مجتمع الأغواط و هذا ما اتضح من خلال تعليمات 1 جانفي 1853م التي أرسلها الجنرال "كامو" قائد فرقة الجزائر إلى "دي باراي"، الذي كان مسؤولا موقتا عن دائرة الأغواط، و من خلالها حدد له المهام الموكلة إليه و من أهمها أنه سيعمل على تغيير سكان مدينة الأغواط، بإدخال عناصر جديدة و مختارة من القصور المجاورة ذات العلاقات الطيبة مع الأغواط بحيث يوضع سكانها في مكان السكان القدماء، و بالتالي يتم تكوين عناصر

[1]- دبوز مُحَمَّدعلي، **نهضةالجزائرالحديثةوثورتهاالمباركة**، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013ج3، ص233.التخي بلقاسم، مرجع سابق، ص306.

[2]- Odette Petit,op.cit; p77.

مكانية جديدة أقل تجانسا و أقل اتحادا و بالتالي أقل خطرا على فرنسا، حتى أنه كان يرى ضرورة تثبيت بعض السكان من مزاب في الأغواط باعتبار أن الأغواط مواتية لنشاطهم التجاري[1] .

و قد تمت على اثر هذه الممارسات الاستعمارية عوامل هدم عديدة في بنية المجتمع المحلي الأغواط، هذا المجتمع الذي عرف تدهورا ديمغرافيا خطيرا حيث تراجع عدد سكان الأغواط سنة 1884م إلى 3803 ساكن، بعد أن كان يقدر بحوالي 6 آلاف ساكن في أواخر أربعينيات القرن 19م. [2]

2/ **البدو الرحل (قبائل الأرباع):** من المعروف اليوم أن الأرباع عبارة عن تجمع أو كونفدرالية مكونة من عشرة عروش كبيرة وكل عرش مقسم إلى فرق وعروش أصغر، غير أنه حين وفد هؤلاء الأرباع إلى منطقة الأغواطكانوا يشكلون قبيلة واحدة تضم أربعة فرق حسب التصنيف الاجتماعي التقليدي للقبائل (العروش) المعروف بالجزائر وهم :

- المعامرة (أولاد سي عيسى + زكازكة)
- الحجاج (أولاد ونيس + أولاد ورقلة)
- أولاد صالح: (العبابدة –صفران+ أولاد زيان+ أولاد سي موسى + الجوادات + الزناقحة +أولاد عطية +أولاد داود)
- أولاد زيد ، ومع مرور الزمن كبرت القبيلة وانظم إليها عناصر جديدة بمنطقة الأغواط مثل:
- رحمان (أولاد ابراهيم + أولاد خليفة+ مطالية + نويرات)

1- E.Mangin. **Note sur** .... N39, op.cit,p16.

2- Odette Petit, op.cit ; p80.

- الحرازلية أولاد سيدي أحمد بن حرزالله (أولاد بن شاعة+ أولاد بلقاسم+ أولاد سليمان)
- المخاليف أولاد سيدي أحمد بن مخلوف (مخاليف لزرق+ مخاليف الجرب)
- أولاد سيدي عطاء الله .[1]

بالإضافة إلى استقلال بعض الفرق مثل الزكازكة والعبابدة وصفران وأولاد زيان عن القبيلة الأم ليشكلوا عروش قائمة بذاتها خصوصا مع توزع فرق من رحمان على الزكازكة والمعامرة والحجاج ، وهكذا تشكل الاتحاد القبلي للأرباع Confédération des Larbaaالذي رسمته فرنسا الاستعمارية عام 1875،حيث أقرت بذلك التشكيلة الرسمية للأرباع والمعروفة إلى اليوم وهي : أولاد سيدي سليمان(الحرازلية)، أولاد بن شاعة (الحرازلية)، الحجاج، الزكازكة، المعامرة، المخاليف، العبابدة–صفران، أولاد صالح ، وأولاد زيان، أولاد سيدي عطاء الله.[2]

والملاحظ في التقسيم الفرنسي أنه عبث بقبائل الأرباع، حيث شتت البعض وقسم البعض الاخر وأنهى وجود بعض الفروع، ومثال ذلك تقسيم عرش الحرازلية إلى قسمين أولاد سيدي سليمان وأولاد سيدي بن شاعة بينما ألغي وجود الفرع الثالث (أولاد سيدي بلقاسم) حيث قامت بتوزيع عوائله على الفرعين سابقي الذكر، وأصبحت تسمية الحرازلية مقتصرة على أولاد بن شاعة في حين حمل أولاد سيدي سليمان اسما مستقلا ، كما فصلت قبائل الأرباع الأصلية عن بعضها وأصبحت قبائل منفصلة (الحجاج+ الزكازكة+ المعامرة) وألغت وجود قبيلة رحمان، حيث فرقت عوائلها على الفرق الثلاث السابق.[3]

---

[1]- Yves Bonète, OP.CIT. p 16-20.

[2]- محمد سويدي، مرجع سابق، ص 167.

[3]- بومدين كعبوش، الواقع الثقافي في منطقة الأغواط في الفترة الاستعمارية 1852-1962، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر 2، 2020، ص

وبغية السيطرة والتحكم زودت السلطة الاستعمارية هذا التنظيم بحكم الآغا (أو الخليفة أو البآشاغا على حسب الفترة) الذي ينوبه القياد العشرة في إدارة شؤون أعراش الأرباع وقد تحول هذا النظام إلى باشآغاليك يرأسه باشآغا الأرباع وذلك إلى غاية 1959، حيث ظهرت بلدية الأرباع الغرابه وبلدية الأرباع الشراقه كنظام جديد وعصري لإدارة شؤون هؤلاء البدو غير أن المثير هنا الحفاظ على التركيبة الاجتماعية كما هي وتطبيق أسلوب الإدارة المدني عليها دون إدماجها في البلدية الحضرية وهي الأغواط قصد الحفاظ على الشخصية الاجتماعية للقبيلة، وقد كان كل من "البآشاغا" و "القايد" الذين يعينون من طرف الإدارة يضمنون متابعة نصوص القوانين المسنونة، و بهذا فقد كانت قبيلة "لرباع" تعيش تحت الخيمة و كانت تربي الماشية التي تصطحبها لترعى صيفا في الهضاب العليا الواقعة في الشمال و القسم الجنوبي للتل نظرا لانتماء منطقة الأغواط، لمناخ شبه صحراوي بنسبة تساقط أمطار قليلة، و قد دفع تراجع عدد القطعان بسبب الجفاف و المرض بعض البدو الرحّل إلى الاستقرار في أطراف مدينة الأغواط (حي "قصر الفروج" بجنوب المدينة)، أما فيما يخصّ الماء، كما تمّ حفر الكثير من الآبار للمساعدة في عملية توطين البدو. [1]

3/ عناصر محلية أخرى:

أولا بنو ميزاب: عرفت مدينة الأغواط استقرار عناصر أخرى بها مثل المزابيين و هم القادمون من غرداية، و كانوا يملكون مقاهي و أكشاك الخردوات و محلات تجارية صغيرة لتفصيل وخياطة الأقمشة[2]، كما كان الميزابيون يديرون مخازن الطعام في المدينة حيث كانوا يشرفون على كل المنتجات الأجنبية و الصحراوية فيها، وقد وصفهم فرومنتان كما يلي : " كانوا يقومون بالتجارة في بلد حيث التجارة محتقرة كما الصناعة ... لهم صفات تمكن من معرفتهم البشرة البربرية و عيون جميلة بشكل بيضاوي و قليل من السمنة و هي صفة التجار المستقرين في المدن و المتاجر و قد عرفوا بحبهم للتجارة و يتميزون بكونهم مهذبين ولطفاء مع الغرباء... و هم جد صادقين"[3].

---

[1]- محمّد سويدي، مرجع سابق، ص 167.

[2]- E. Fromentin, op.cit,pp95.

[2] - E.Fromentin,.p95

ثانيا: أولاد نايل :و قد استقر أيضا بمدينة الأغواط بعض السكان من أولاد نايل و كان في الأغواط حي خاص بهم، قبائل أولاد نايل تمتد أراضيها من أولاد سيدي الشيخ إلى الزيبان و من بوغار إلى مزاب.

ثالثا: المداينية: وهم سكان منطقة التيطري مثل المدية وقصر البوخاري والبرواقية وقد اشتهر هؤلاء بالتجارة وصناعة الجلود.

4/ العناصر الأجنبية: عملت سلطات الاحتلال على تفكيك البنية الاجتماعية المحلية للمجتمع بالأغواط، هو اضافة عناصر دخيلة فنتج عن ذلك ظهور نماذج عنصرية وعرقية من خلال زيادة عدد المستوطنين الفرنسيين، وحصول اليهود على حق المواطنة الفرنسية بإصدار قرار "كريميو" سنة 1870م الذي منح الأهالي اليهود بمقاطعات الجزائر صفة المواطنة الفرنسية.

أولا الأوربيون (عسكريون ومعمرون) :كان أول استقرار للأوربيين في الأغواط مع الاحتلال الفرنسي للمنطقة، و الذي فرض وجود فئة استعمارية لتسيير شؤون البلاد و لتثبيت التواجد العسكري الفرنسية[1]، و بعد ذلك بدأت فئات من المعمرين تصل إلى مدينة الأغواط تباعا، حيث بدأ البعض منهم يستحود تدريجيا على الآلاف من الهكتارات الصالحة للزارعة إضافة إلى المساحات المهيأة للإسكان والتهيئة العمرانية لممارسة النشاطات التجارية و الحرفية، إذ منذ البداية بدأت سياسة فرنسا التعسفية ضد السكان فكانت رغبة "بليسي" Pélissierتهجيرهم إلى جبل العمور ثم مصادرة كل المتاجر و ممتلكات السكان و قد ذكر "دي براي" Du Barail هذا قائلا: " هذه المصادرات قد أيقظت بالفعل رغبات كبيرة و كما يحدث دائما رجال الأعمال جاؤوا إلى الجنود لتحويل مجدهم بالمال الوفير إذا كان ذلك ممكنا وهكذا بدأت بالفعل مناقشات جادة في المجالات العسكرية العليا بأن موارد غير محدودة على وشك أن تقدمها لنا التجارة الجنوبية".

---

[1]- E.Mangin, **Note sur**.... N39, op.cit, p11.

و قدم نموذجا عن تهافت الفرنسيين على امتلاك الأراضي في الأغواط و هو الطبيب "بودو" طبيب رئيسي في جيش افريقيا حصل على الفور بعد احتلال الأغواط على امتياز هائل يتكون من 6 آلاف نخلة أكثر من ثلث الواحة و كما عبر عنها كانت ضربة قاضية للسكان الذين ذهب ثلث مواردهم هدية للفرنسيين الذين قدموا خدمات خلال الاحتلال[1].

وبعد أن تم تحويل مسجد الأغواط إلى كنيسة فقد جاء إلى الأغواط بعض رجال الدين[2]، حيث أرسل "لا فيحري" اثنين من المبشرين إلى الأغواط و هو القس "روشي" و القس "أوليفي" و هذا من أجل نشر المسيحية بالمنطقة و قد تم تعيين القس "شارموتا" رئيسا لمركز الأغواط [3]، كما تحدث الدكتور "برنارد" عندما جاء إلى الأغواط عن امرأة فرنسية تملك غرفتين أو ثلاث للتأجير قائلا: " أنظر سيدة صغيرة تملك ثروة سريعا هذه هي الفرنسية في الأغواط"، كما تحدث عن امرأة أخرى و هي الراهبة "هنري" التي جاءت إلى الأغواط و أقامت بها و أصبحت تملك منزلا كان الأجمل في الجنوب، يتكون من طابقين به العديد من الغرف و الشرفات و به العديد من الممرات و مؤثث بشكل جيدا جدا[4].

و نظرا لمناخ أفلو الذي يشبه المناخ في جنوب فرنسا فإن هذه المنطقة قد عرفت توافد العديد من المعمرين، وكلهم تقريبا فرنسيون و أغلب العائلات الأوروبية بما هي عائلات المسؤولين الإداريين

1- Du Barail, **Mes Souvenires**, T2,op.cit, p65.

2- E. Fromentin, **Sahara et**..., op. cit, p79.

3- سعيدي مزيان **النشاط التنصيري للكادينال لافيجري في الجزائر**، دار الشرق للطاعة والنشر، الجزائر، 2009، ص339.

4- Docteur Bernard, **l'Algérie qui s'en va**, l. P, E.P, NC, I.E, Paris, 1887,p178.

والعسكريين و البعض منهم يمارس مهنة التجارة [1]، و مما سبق يبدو أن الأوروبيين وخاصة الفرنسيين قد استوطنوا منطقة الأغواط، واستطاعوا أن يحتكروا عدة نشاطات منها التجارة و بعض الحرف الأخرى، بل لقد حصلوا على ممتلكات و توفرت لهم إمكانيات لم يكونوا ليجدوها في فرنسا ذاتها.

ثانيا: اليهود: ينقسم اليهود في الجزائر حسب الأقدمية الى مجموعتين: اليهود الذين قدموا من المشرق إلى شمال إفريقيا في حدود القرن 8 ق م ، واليهود المهاجرين من جزر البليار و أوربا الشمالية و فرنسا و انجلترا ابتداءا من القرن 13م، وقد ارتفع عددهم بعد أن التحق بهم يهود اسبانيا بعد سقوط غرناطة 1492م.

و قد انتشر اليهود في جميع المدن الصحراوية، والعديد من العائلات اليهودية دخلت في بعض القبائل، ويعمل اليهود في القبائل في المهن والمجوهرات وكباعة متجولين، و العديد من القبائل لا تجد مشكلة في استقبالهم، و كانوا يملكون محلات الحدادة الصنع المجوهرات مثل القلائد و الدبابيس و ويسيطرون على هذه الصناعة في الأغواط[2].

و كانوا يمارسون التجارة في الأغواط إلى جانب المزابيين بجميع أشكالها و يفعلون ذلك بقدر كبير من التفصيل، و غالبا هم أغنياء لأنهم يسيطرون على صناعة المجوهرات الثمينة، و قد كان اليهود يحضون بالحرية التامة لممارسة شعائرهم الدينية في الأغواط، و لم تكن كل العائلات اليهودية في مستوى معيشي واحد حيث عرفت الأغواط عائلات يهودية غنية ومحترمة و عائلات أخرى متواضعة و عائلات يهودية تعيش فقرا مدقعا، و كان الأغنياء منهم يساعدون الفقراء، و قد تميزت العلاقات بينهم و بين سكان الأغواط بأنها طيبة ميزها التعاون فيما بينهم، حتى أنهم كانوا يتبادلون الزيارات و

---

[1]- Despois Jean,**le Djebel Amour**, Presses Universitaires de France, Paris,1957,p105.

[2]- E. Fromentin, **Sahara et** .... op.cit, p94.

يتبادلون أطباق الطعام، حيث كان اليهود يرسلون لجيرانهم المسلمين الدجاج بالكمون والسفرجل، كما كان المسلمون يقدمون لهم سعف النخيل [1].

و قد كان اليهود يعانون أحيانا من روح العداء الأوروبي للسامية أو كراهية العرب، و لكن مع 1871م، و هو تاريخ صدور قرار "كريميو" هذا المرسوم الذي منح حقوق المواطنة الفرنسية لليهود بمقاطعات الجزائر، عزز مكانتهم الاجتماعية والسياسية على حساب السكان العرب [2]، و هذا ما يوضحه قول "كلير لالو" التالي: "الأغواط هي تلك المدينة أين كانت تعيش أربع مجموعات المجموعة المسلمة الحضرية و البدوية بقيادة زعماء ذوي نفوذ و قوة و الجالية الأوربية التي غالبا ما كانت تحتقر اليهود... و بين هذه الجاليات القوية و المهيكلة كانت تعيش جالية صغيرة ضعيفة و بائسة هي الجالية اليهودية التي سرعان ما أصبحت الوسيط بين العالم المسيحي و العالم العربي "[3].

و ترتبط عائلة "لالو" التي أصبحت تحمل اسم "زنو" باثنين من أكبر و أقوى العائلات في المنطقة و أكثرها نفوذا و هي الطريقة التيجانية التي تملك السلطة الروحية، و قبيلة الأرباع التي تجمع تحت لوائها القبائل البدوية [4]، و قد سكنت أفلو أيضا الكثير من العائلات اليهودية، وكان المجتمع اليهودي في أفلو مشابها للمجتمع التقليدي في المغرب الذين لم يتأثروا بالهجرة الإسبانية والبرتغالية و الإيطالية، بعض العائلات جاءت من التل أو الأغواط أو غرداية جاؤوا مع نمو العمل التجاري في عام 1881م و ازداد عددهم بعد ذلك، ظلت حياتهم قريبة جدا من المسلمين الكبار يرتدون البرنوس و

[1]- مقال محفوظ في المتحف البلدي بالأغواط الكنيسة (سابقا) كتبته كلير لالو بعنوان: Lalou Clair,"Laghouat C'était"، وللمزيد أنظر مقال محفوظ في المتحف البلدي بالأغواط:

Catherine Humblot, **Jacob Lalou un juif en terred'islam'** le Mond, 19Janvier 1998.p5.

[2]- Du Barail, **Mes Souvenires**, T1,librairie P.E,P.N C,I.E, Paris, 1897, p404.

[2]- Clair Lalou, op.cit.p174.

[3]- Catherine Humblot, op. cit,p5.

[4]- Jeans Despois,op.cit,p106.

النساء محجبات، يستهلكون الخبز المحلي والكسكس و أسماء العائلات الرئيسية (بارتوش، زنو، سبان، الباز، عطية، لياني)[1]

ثالثا: الزنوج: كانت تجارة الرقيق منتشرة قبل وصول الفرنسيين إلى الصحراء وهم عادة من الزنوج الذين تجلبهم القوافل التجارية من السودان، وهم إما يباعون محليا للعائلات الثرية أو شيوخ الطرق الصوفية، أو يباعون في التل ونادرا ما يبيع المالك عبده، يعملون في الزراعة في الواحات و في الرعي، وهناك فئة الحدادين الذين أصولهم في كثير من الأحيان غير واضحة و هذه الفئة ضرورية نظرا لمهاراتهم اليدوية[2].

و كان الزنوج في مدينة الأغواط ينسجون الحلفاء و يصنعون الحصير و السلال من سعف النخيل، وكانوا يتقنون اللغة الفرنسية بشكل جيد جدا، كما كانوا يملكون محلات لبيع رؤوس الخرفان أو الغنم[3]، كانت النساء الزنجيات تعملن خادمات في بيوت الأثرياء في الأغواط و تساعد سيدة البيت في الأعمال المنزلية وجلب الماء و الحطب و التنظيف [4]. بينما يعمل الرجال الزنوج عند القادة ففي منزل الباش آغا علي قايد الأغواط يعمل زنوج كبوابين [5]، و قد ذكر هذا "مالستان" قائلا:" استقبلنا في قصر بن سالم خادمان أسودان يلبسان الأبيض"[6].

---

[1]- Claud Bataillon et Autres, **Nomade et Nomadisme auSahara**, Imprimerie- R Oldenbourg. G raphische Betriebe Gmbh,Munich, Paris, 1963, p29-30.

[2]- Claud Bataillon et Autres, **Nomade et Nomadisme auSahara**, Imprimerie- R Oldenbourg. G raphische Betriebe Gmbh,Munich, Paris, 1963, p29-30.

[3]- Docteur Bernard, op.cit, p178-188.

[4]- Jean Pommerol, **Une Femme Chez les Saharienne** (entre Laghouat et In salah, Flammarion, E diteur, Paris, 1898, p115.

[5]- Docteur Bernard, op.cit, p183-

[6]- هاينريش فون مالستان، المصدر السابق، ص237

و قد التقى "فرومنتان" Fromentin بعدد من الزنوج في طريقه من الأغواط إلى عين ماضي يبدو من كلامه أنهم يعملون كمداحين يتجولون بين القصور وقد وصفهم كما يلي : " ... الرجال زنوج بدم صاف بلون أسود يلبسون عمامة ومعاطف و سراويل فضفاضة جميعهم يرتدي الأبيض و الوردي مع أحذية غريبة ... واحد يحمل مزمارا من القصب وبيده حراب من الخشب والآخر يحمل قيثارة ... و على الحمير دفوفا عديدة مزينة بأجراس والأخرى آلات موسيقية.... خرجوا من عين ماضي و هم ذاهبون إلى تاجموت و إلى أولاد نايل ثم إلى التل..." [1]. كما ذكر أن قبائل البدوية كانت تملك زنوجا مهمتهم رعي الأغنام والماعز فالأرباع يستعينون بالزنوج من النساء و الرجال لمساعدتهم في أعمالهم اليومية[2].

المبحث الثاني: الإدارة الفرنسية لمنطقة الأغواط:

1/ **أهمية الأغواط في الاستراتيجية الفرنسية لاحتلال الصحراء:** أوقف الماريشالراندون Randonخطة الجنرال بيليسيه Pelissier القاضية بجعل الأغواط عبرة للمدن الصحراوية الأخرى، حيث أراد تحطيم جميع المنازل وإتلاف جميع أشجار النخيل ومن ثم نقل جميع السكان الأحياء إلى جهة أخرى من الجزائر ، وبالفعل بدأ في مشروعه التخريبي هذا ، ولكن بعث من خمس نقاط، تضمن برنامج الماريشال راندون المرسل إلى الجنرال مارغريت Margueritte القائد الأعلى المدينة الأغواط بعد احتلالها مايلي :

-توفير الإمكانيات اللازمة من أجل ملاحقة المتمردين وإتمام السيطرة على كامل البلاد (الجزائر).

-جعل من الأغواط مدينة كبيرة وجميلة (مركز سياسي وتجاري) حتى تثبت لسكان الصحراء القوة الفرنسية، التي تستطيع أن تحطم ثم تبني.

-تطوير الثقافة الفرنسية، و ربط الأهالي بالأرض و جعل القصور المحيطة بالأغواط مزدهرة و غنية.

---

[1]- E. Fromentin, **Sahara et**....op.cit, p170-172

[2]- E. Fromentin, **Sahara et**....op.cit,p154.

-تطوير تجارة الأصواف (الصوف)، و من ثم تحسين السلالة الغنمية.
- تمتين العلاقات مع أقصى جنوب الجزائر.[1]

وفي زيارة الماريشال راندون إلى الأغواط في فيفري 1854 أوضح أفكار ومشاريع الإدارة الاستعمارية بخصوص الأغواط، وذلك في خطاب يوم 8فيفري عند الباب الشمالي للمدينة [2]، وقد وجه الحاكم العام شكرا لمستوطني الجنوب على دعوتهم إياه وترحيبهم به ، و أن زيارته جاءت وقوفا عند طلبهم، وذكرهم أن الاستيلاء على مدن واد ميزاب هو فوز لهم ، ودعاهم إلى عدم الخوف والفشل في مهمتهم فهم يمثلون ويرفعون العلم الفرنسي في هذه المدن، و أنه سيبعث كتيبة للاستيلاء على ورقلة وإعادتها لفرنسا، وأن نتيجة ذلك ستظهر عن قريب جدا، وسيكونون فخورين بذلك، وأنه عين بعض الأعيان من الأهالي لخدمتهم وحمايتهم، وأنه فخور بهم، وذكرهمأن من يقف بجانب فرنسا من فرسان القوم في الشرق والغرب، سيكونون تحت أمرهم ولتلبية رغباتهم، و أنه يرى ساعات من الفرح نتيجة لتلك الزيارة، التي كانت من أجل خدمتهم، و أنهم لابد أن يتحلوا ببعض الصبر على السيطرة على الجزائر، ويذكرهم أنهم يمثلون جزءا جديدا من الإمبراطورية الفرنسية، وقد وصف ترومللي زيارة الحاكم العام راندون وأورد خطاباته.[3]

قامت السياسة الفرنسية بجعل الأغواط قاعدة متقدمة للمشاريع والمنشآت العسكرية التي انطلقت نحو الصحراء والتي أملتها ضرورة التوسع والدفاع الاستراتيجي، حيث تم توجيه حملات عسكرية انطلاقا من الأغواط ضد عدةمدن صحراوية، منها غرداية سنة 1853م، ثم توقرت و ورقلة في 1854م، ثمالمنيعة في 1891م، و من سنة 1892م إلى 1895م وطد الفرنسيون خط توسعهم فيالصحراء، ففي سنة 1889 احتلت عين صالح ثم إجلي وتيمون و أولف و أدرار سنة 1900، و أخيرا حصن فلاتيرز في أقصى الجنوب الجزائري.[4]

[1] -إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..،مرجع سابق، ص126-127. علالي، مرجع سابق، ص50.

[2] - (E.)MANGINOp-Cit, p 23.

[3] - ترومللي ، مصدر سابق، ص554-555. علالي، مرجع سابق، ص51-52.

[4] -سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص359-360. إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص125.

كما هدفت سياسة المشاريع الاقتصادية الفرنسية في الأغواط إلى تحقيق الاستغلال الاقتصادي،سيما فيما يخص مصادر الطاقة وبناء قاعدة لاستثمار واسع لثروات الصحراء والتحكم في التجارة بين الشمال والجنوب، إضافة إلى خلق استثمارات للمعمرين الأوربيين في المدينة وضواحيها.

بينما هدفت المشاريع الثقافية الاستعمارية إلى فرنسة الشعب الجزائري عموما ومنهم سكان الصحراء، وتحويلهم من وضعهم الثقافي والاجتماعي الاصيل إلى توجهات تربوية وإدارية واجتماعية غريبة عنهم ولاتمت لواقعهم بأية صلة ، إضافة إلى التحكم والسيطرة في المجتمع عبر تقسيم الوحدات الاجتماعية التقليدية وتدميرها، وحقن المجتمع بعناصر جديدة غريبة وتمكينها من الوجاهة والتأثير الاجتماعي.[1]

2/ **الهيكلة الإدارية الفرنسية لمنطقة الأغواط:** ما إن احتلت فرنسا الأغواط احتلالا شاملا حتى قامتبإعادة هيكلتها الإدارية، ففي 26 جانفي 1853 أصدرت القرارالوزاري لإنشاء القطاع العسكري بالأغواط بصفة مؤقتة الذي يتكون من ملحق للمكتب العربي التابع إلى المدية، و في 22 جويلية 1853تم إصدارالقرار النهائيلإنشاء هذا القطاع الذي أصبح تابعا مباشرة إلى الجزائر لغاية 1907، وبذلك أصبحت دائرة مؤقتة تحت سيطرة الحكومة العامة،وهي دائرة تتكون من: -القصور: الأغواط- عين ماضي-تاجموت- الحويطة- العسافية- المخاليف (لزرق الجرب) – قصر الحيران، بالإضافة إلى القبائل المحيطة بالأغواط مثل وتمثل آغوية الأرباع: المخاليف و المعامرة و الحرازلية وأولاد صالح ، وفروع أولاد نايل التي تتبع باشا أغا أولاد نايل مثل: أولاد سي أحمد وأولاد غويني وأولاد أم هاني و العبازيز في الشارف وأولاد ضيا و أولاد لعور و أولاد عيسى و أولاد سيدي يونس، إضافة إلى قصور: زنينة و دمد و مسعد و زكار و حميرة و موجبارة، وقيادات فروع أخرى من قبيلة أولاد نايل مثل : أولاد سعد بن سالم و أولاد خناتة وأولاد رقاد وأولاد يحي بن سالم، إضافة إلى قصور بني ميزاب: بني يزقن وبريان ومليكة والعطف والقرارة وبونورة وهذه المدن ليست تابعة بصفة مباشرة إلى السلطة السياسية في الأغواط.[2]

[1]- محمود علالي، مرجع سابق، ص52.

[2]-(E.)MANGIN ,**Notes sur** .. p ,1895 ,39 Vol ,RA , **Suite et fin**)16.

في 27 أكتوبر 1853م ، جاء في قرار لمركز القيادة في الجزائر ينص على: لقد أصبحت الأغواط مدينة منظمة بفضل جهود الحكومة التي بدأتها في 22جويلية، وهي الآن تحت سيطرة 5كتائب معينة من طرف الضابط العام، وهكذا تم إنشاء القطاع (دائرة)بشكل رسمي.[1]

كانالرائد دي باراي Dubarail أول قائدعينعلىرأسهذا القطاع ، وقدقرر دي باراي إطلاق اكبر مشروع للأشغال التي تجعل من المدينة على طراز أوربي، وقد قام بترميم السور وبناء وسد الثغرات، كما عزم على إعادة ترتيب الأمور وإعادة القبائل الفارة ومنحهم الأمان، وحتى محاولة التفاوض مع زعماء المقاومة.

في شهر مارس 1855م، تم استدعاء الجنرال مارغريت commandant Margueritte من ثنية الأحد إلى الأغواط، من طرف الماريشال راندون لاستخلاف دي باراي ، وقد كلفه بشؤون الأغواط، والتي كانت تحتاج إلى ضابط نشيط وحيوي، ويتقن اللغة العربية، ولن يجد غير مارغريت الذي استطاع أن يفرض الأمن لعدة سنوات وقد اعتبر مارغريت الأغواط مدينة مهمة، وأنها تمثل الوجه السلمي للبلاد.[2]

وعند وصوله الأغواط قام الضابط الجديد بتوقيف النظام العسكري الذي كان يحكم المدينة، وشجع على البناء العصري، وأطلق اسم سي عبد الله على المستشفى العسكري، وقام بإنشاء مخزن ثابت وبعض القطع الخاصة بالمدافع والبنادق، وفرض على الكولون في المنطقة باحترام الواحات عند خروجهم إليها، وكما هو الحال في المدن الهامة نجد وسائل النقل لها أهمية كبيرة، إلى جانب وجوب توفر الماء فيها، فقد كانت الجمال حكرا على الكولون، فقد عين مارغريت أفرادا من كل من قبيلتي الارباع وأولاد نايل لتوفير الحيوانات للمدينة، وكان هناك ما يسمى بخيام المراقبة[3] .

[1]- إبراهيم مياسي، **الاحتلال**..،مرجع سابق، ص131-132. علالي، مرجع سابق، ص51.

[2]- محمود علالي، مرجع سابق، ص 56.

[3]- -33(E.)MANGIN ,Op-Cit, p32.

كانت الأغواط تنقسم إلى بلديتين، بلدية مختلطة، وأخرى خاصة بالأهالي، وقائد المنطقة هو الذي يدير شؤون البلديتين بمعية مجلس بلدي مكون من البلديتين،كان يقطن في بلدية الأغواط المختلطة في سنة 1889م حوالي 3839 ساكن و519 أوروبي بما في ذلك فئة اليهود و 3320 مسلم، أما مساحتها فقد بلغت 262 هـ،أما البلدية الأهلية وهيللسكان البدو الرحل المعروفين بالأرباع فكان يقطنها 13463 مواطن (مسلم)، ومساحتها تقدر بـ: 3.415.000 هـ مقسمة الى 18 ملحقة مكونة من مصالح خاصة.[1]

و بمقتضى قرار 04 أفريل 1907 أصبحت الأغواط تابعة إلىقطاعالجنوب، حيث لجأت السلطة الاستعمارية إلى تطبيق النظام العسكري في الصحراء بموجب مرسوم 04 أوت 1904 ليضع الهيكل والشكل الإداريين لهذه المناطق، وهو ما دعمه مرسوم 14 أوت 1905 الموضح للتنظيم الاداري والعسكري لأقاليم الجنوب التي تتأقلم وطبيعتها الأمنية، حيث كانت الادارة تجمع بين السلطات المدنية والعسكرية والقضائية، وهذه الادارة كانت تحت إشراف عسكريين يخضعون مباشرة لسلطة الحاكم العام.

وتبعا لذلك تم تقسيم الجنوب إلى أربعة أقاليم وهي الإقليم العسكري للعين الصفراء ومقره عين الصفراء والاقليم العسكري لغرداية ومقره بالأغواط، والاقليم العسكري لتقرت ومقره تقرت، والاقليم العسكري للواحات ومقره الإداري ورقلة، وعين على رأس كل واحد منها قائد أعلى برتبة رائد، وكل ملحقة جزئت إلى مراكز عسكرية يسيرها ضابط عسكري، وفي 29 أوت 1922م أعيدت هيكلةالأغواط، فتم دمج الأغواط بقصورها.[2]

وقد أدخل على النظام العسكري لمناطق الجنوب بعض التعديلات لتحقيق التجانس الادراي على كافة القطر الجزائري وفي هذا الاطار اتخذ الحاكم العام جول كارد (Jules Card (1930 عددا من القرارات التي انتقلت بمقتضاه السلطات البلدية إلى من ضباط الشؤون الأهلية في المناطق

[1] - (E.)MANGIN,**notes**.., Revue Africaine, N° 37 , Op.Cit , pp 364-366.

[2] - محمد برشان، **التنظيم الإداري الاستعماري في الجنوب الجزائري (1902 – 1960)**، مجلة الخلدونية، ع1، مج 9، 01-06-2016، ص182. محمود علالي، مرجع سابق، ص57.

الصحراوية إلى أيدي متصرفين إداريين منذ 01 مارس1933 م ، وهم حكام مدنيون في البلديات المختلطة بعد أن كان يتولاها ضباط عسكريون مثل الأغواط والجلفة وبسكرة وتقرت والمشرية وعين الصفراء.[1]

وقد كانت الأغواط عاصمة لأحد "الأقاليم الجنوبية" الأربعة التي تشكل إقليم الحكم العسكري في الجزائر ، حتى الإصلاح الذي أرساه قانون 20 سبتمبر 1947 (النظام الأساسي للجزائر)، ورغم إلغائه في هذه السنة إلا أن بقي ساري المفعول وبقيت الإدارة تحت إشراف ضباط عسكريين إلى غاية 1957، وقد استمرت الأغواط كقاعدة إدارية كبرى للإدارة الاستعمارية إلى غاية الثورة التحريرية حيث نقلت عاصمة الواحات إلى ورقلة بسبب ضغط الثورة التحريرية من جهة واكتشاف البترول في حاسي مسعود من جهة أخرى.[2]

تمتلك البلديات المختلطة بأقاليم الجنوب مثل الأغواط خصوصية تميزها عبن البلديات الكاملة في الشمال الجزائري، حيث يترأسها إما ضابط أو إداري للشؤون المدنية، ومستشارو البلدية ينتخبون لمدة ستة سنوات والأعضاء الآخرون يتشكلون من رؤساء الجماعة والقياد، وأما في البلديات الأهلية (مثل بلدية الأرباع) فقد كان يترأس اللجنة البلدية قائد الملحقة وهو عسكري، أما بالنسبة للمسلمين فقد كانوا يمثلون من قبل قياد وأعوان القبائل المكونة لإقليم البلدية.[3]

عاشت منطقة الأغواط على غرار باقي مناطق الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية أوضاعا اجتماعية متردية بسبب سياسة الاحتلال القائمة على النهب والسلب والتفقير ومصادرة الأملاك والحجز والاستحواذ بكل الطرق، إضافة إلى تأثير العوامل الطبيعية كالجفاف والقحط وغزو الجراد والأمراض والأوبئة التي ضربت الجزائر بشدة منذ بدايات خمسينيات القرن التاسع عشر.

---

[1]- محمد برشان، مرجع سابق، ص187.

[2]- محمد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص231.

[3]- الأمير خالد، **رسالة إلى الرئيس ويلسون ونصوص أخرى**، تر: محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2006، ص51-52.برشان، **التنظيم**، ص188.

فقد تولى دي باراي قيادته للأغواط في ظروف صعبة جدا فقد كانت المدينة مخربة، والسكان تقلصوا إلى بضع وخمسمائة نفس، في أغلبيتهم نساء وأطفال وأغلبية الرجال كانوا قد ماتوا أو هربوا"[1]، وقامت السلطات الاستعمارية بسياسة استرضاء السكان وتعمير المدينة حتى تساعدها لمدَ نفوذها على باقي الأراضي الجزائرية، فقد أشارت تقارير تعود إلى السنوات الأولى للاحتلال إلى أن غير المغضوب عليهم من الأغواطيين كانوا على رجوع بالإضافة إلى الإسرائيليين" الذين قدموا من التل، والأوربيين تجارا وفنانين وعمالا وفلاحين، وحتى الموظفين في مختلف التقنيات[2].

قامت السلطات الفرنسية بعدالاحتلال مباشرة بعدة إجراءات لتفتيت الوحدة الاجتماعية للسكان وذلك بالإبقاء علىالنظام القبلي و تنمية الروح العنصرية و الطائفية، و بذلك ضعفت من تماسك البنية الاجتماعية و توارى تلقائيا نظام الجماعة والقيادة الذي أدار شؤون المدينة قبل 1852 في كل المجالات،فقد جاء فيالتوصياتالمؤرخة فيالفاتح من جانفي 1853للجنرالكامو مسؤول مقاطعة الجزائر الموجهة إلى النقيب دي باراي Dubarail حاكم مدينة الأغواط ما بين سنتي 1852 و1855والمتضمنة وجوب السهر على اختيار عناصر جديدة من القصور المتاخمة لتعويضها بالعناصر الاجتماعية الأصلية لهذه المدينة، وبذلك تمكن إدارة الاحتلال من تكوين مجموعات من السكان غير متجانسة وغير موحدة ولا تشكل بالتالي ضدها أي خطر.[3]

لقد عملت الادارة الاستعمارية على تصفية الأسس المادية التي يقوم عليها المجتمع الجزائري ككل وذلك لتفكيكه بالقضاء على وحدة القبيلة وتماسك الأسرة ومن الاجراءات المتبعة نظام المكاتب العربية (1834-1870) ومراسيم السيناتوس كونسولت (1863 - 1865) وقوانين الأندجينا (1871-1947) إضافة إلى سياسة التبشير.[4]

---

[1]- George Hirtz, op.cit , , p15.

[2]- ibid, p15.

[3]- E Mangin, op.cit , p382. علالي، مرجع سابق، ص52-53.

[4]- برشان مُحَّد، **الاستعمار والمجتمع القبلي**، مرجع سابق، ص160.

وقد اتبعت السلطة الاستعمارية سايات محددة للسيطرة والتحكم في منطقة الأغواط مثل:

-الحرب والقتل بأقصى عنف وعدم استثناء أحد من القتل، والحرب بطريقة بربرية (عام الخلية وتخريب الأغواط كمثال).

-اللجوء إلى كل الوسائل التي تجعل حياة القبائل المتمردة لا تطاق، تدمير المحاصيل بالخصوص (قطع أشجار النخيل في الأغواط كمثال).

-نهب البلد عن طريق غارات سريعة لأسر الرجال والنساء ونهب القطعان لهذا يجب أن توفر السلطات الاستعمارية فرقا صغيرة متحركة حول نقاط ثابتة (الغارات على قبائل الحرازلية والارباع وأولاد نايل الرافضة للاحتلال، ونهب قطعانها وأسر رجالها ونسائها واستعمال أفراد جزائريين لهذه المهمة مثل حمزة ولد سيدي الشيخ وفرق الزواف كمثال).

-منع التجارة لشل القبائل (إجراءات تنظيم والسيطرة على تجارة القوافل التابعة لقبائل المنطقة وبني ميزاب كمثال) .

لقد عملت السياسة الاستعمارية على تفتيت القبائل البدوية بشتى الوسائل والطرق، وتعتبر الضرائب على الجمال جزء من هذه السياسة حيث يمثل الجمل وسيلة نقل وغذاء وذلك أن " السلطات لم تكن تنظر إليه بعين الرضا لأنه يمكن القبائل من الإفلات بالهرب.[1]

وبالرغم من أن القبيلة في الجنوب صمدت طويلا في مقاومتها للاحتلال الفرنسي وظلت تشكل كابحا لتوسعاته، إلا أن الاستعمار في الأخير تمكن من تفتيت مجتمع القبيلة وإخضاع أفراده للمنظومة الاستعمارية رغم بقاء مجتمع الجنوب مستقلا نسبيا،[2]وقد حققت وسائل التفكيك نجاحات مع نهاية القرن التاسع عشر فقبائل الأجواد والعائلات الشريفة والمرابطة اندثرت أو تم إضعافها.[3]

[1]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص109-110.

[2]- محمد برشان، **الاستعمار والمجتمع القبلي**، مرجع سابق، ص154.

[3]- المرجع نفسه، ص160.

المبحث الثالث: خصائص ومميزات المجتمع الأغواطي :

1/ مجتمع القصور:

وصف العلامة مُحَمَّد علي دبوز مجتمع مدينة الأغواط بقوله: " وبيئة الأغواط الجميلة قد أورثت أبناء الأغواط حب الجمال فصاروا يميلون إليه فتراه في بساتينهم التي يحفون بها الديار وفي ثيابهم الصوفية الناعمة التي يرتدونها وفي مصنوعاتهم الجميلة التي تتحلى بالتهاويل الجميلة ليست بسيطة كما يصنع في البادية التي حولهم، وأورثت بيئة الأغواط الصحية لأبنائها المتانة في الأجسام والجمال في الخلقة، إن بنيانهم متين واللون الغالب فيهم جميل، فيهم السمرة الخفيفة تمازجها حمرة جميلة، وهم ذوو نشاط وكد كالميزابيين، يحبون العمل ويكرهون الكسل جلهم فلاحون...الخ.[1]

وفي الحقيقة توجد ملاحظات تبين الحس الجمالي والذوق الانساني في عمارة القصور في منطقة الأغواط، مثل الطاقة التي بين الجيران وتسمى "الذواقة" والتي يتم من خلالها تبادل الاكلات أو المواعين وغيرها، وهي دليل على التكافل المجتمعي، كما يوجد في أسفل الأبواب المؤدية إلى الشوارع ما يسمى "بويب القط" وهو منفذ لدخول وخروج القطط من وإلى المنزل بحرية.[2]

يسود هذا النوع من المجتمعات سلطة "العرف" ويتجسد ذلك في قدرة أفراد هذه المجتمعات على حل النزاعات والخصومات من خلال العودة إلى ما هو متعارف عليه ومتوارث منذ القدم والاعتماد على الحل الودي بالرجوع إلى كبار السن أو الأئمة دون انتظار السلطة المركزية لمواجهة مشاكلهم.

ويشكل احترام الجوار مبدأ أساسيا في تشكيل عمار القصور حيث يتفق الجميع على عدة مبادئ في البناء داخل النسيج العمراني ومن بينها: عدم فتح باب مقابل باب الجار، أو فتح طاقات وكوات متقابلة، وعدم تغطية الشمس والتهوية عن الجار بارتفاع الجدران، وعدم تثبيت ميزاب يصب

[1]- مُحَمَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص232-233.

[2]- التخي بلقاسم، مرجع سابق، ص299-300.

في فناء أو على سطح الجار، وعدم وضع عوارض خشبية على جدران الغير إلا بموافقته، [1] وهي ضوابط مستمدة أساسا من فقه العمران في الشريعة الاسلامية، وبمطالعة بسيطة لكتب الفقه المالكي وبالخصوص كتب النوازل نلاحظ سلطة التراث الفقهي في تنظيم العمران داخل القصور، [2] وأحيانا تقسم الأحياء حسب العشائر والعائلات المكونة للقصر وهو ما يعطي خصوصية للعلاقات بين أفراد مجتمع القصر، حيث يسود الاحترام المتبادل إذ تتحرك النسوة بكل حرية في الدروب الضيقة للقصر.

وقد انتبه أكثر من رحالة وزائر إلى الأغواط للجوانب الاجتماعية وعقلية الأغواطيين، ومن هؤلاء نجد الكاتب أوجين فرومنتان الذي تعرض بالذكر لعدة ظواهر اجتماعية منها "...من عادة الأعراب عدم الشرب للدخان واعتبار بعضهم هذا السلوك عادة سيئة تضاهي شرب الخمر، وهؤلاء يصنفهم الكاتب ضمن فئة من المجتمع ملتزمة بالدين والمسجد والصلاة، ولا تلبس ما يلبسه غيرها من أقمشة الحرير والزينة بالجواهر والذهب.[3]

كانت المرأة الصحراوية تتحمل كل أعباء الأعمال المنزلية، فتقوم بحياكة الأغطية والأفرشة بعد تلوينها وصبغها بالألوان لتستعمل فوق الهودج الذي يوضع فوق الجمل، أو لتكون حاجزا بين الرجال والنساء في الخيمة، وتقوم كذلك بصنع الحبال من وبر الإبل أو شعر الماعز وتقوم بحياكة البرانيس والعباءات وتصنع الأواني الفخارية والأدوات الجلدية كالغرارة التي تعد لحفظ الدقيق، والشكوة للحليب أو الزبدة والقربة للمياه إلى جانب تحضير الأطعمة.[4]

وحسب دوماس فقد كانت ألبسة أهل القصور بسيطة تشتمل على العباءة وسروال يشبه السروال الأوروبي، أما البدو فيلبسون الشاشية والبرنوس، أما بالنسبة للنساء فلباسهن يتمثل في

---

[1]- نفسه، ص290.

[2]- جبار سامية، **فقه العمارة السكنية بقصور منطقة الأغواط عين ماضي وتاويالة أنموذجا**، أطروحة لنيل شهادة الماجيستير تخصص الآثار الريفية الصحراوية، غير منشورة، إشراف: بن بلة خيرة، معهد الآثار، جامعة الجزائر -2-، 2001.

[3] - Eugene Fromentin, op.cit,p22.

[4]- (E) Daumas, **Mœurs et coutumes De l Algérie** , la Biblioteque Arabe Sidbad , Paris,1988, .p 199.

عباءات بدون حزام وحايك وخلخال في الأرجل وأساور فضية وذهبية أو من المرجان الأسود، كما كانت النساء العربيات تقمن برسم وشم في كل من الجبهة والوجنتين أو اليدين.

أما عن سلوكهم الاجتماعي؛ فقد وصفهم فيرومنتين وصفا قبيحا وهذا الأمر مبالغ فيه، لا يتناسب وتعاليم الدين الإسلامي، فهو يريد من خلال وصفه هذا إظهار التفوق الأوروبي على العربي، فذكر أن سكان الأغواط مثلهم مثل كل العرب، كلهم يحبون النوم فتجدهم جالسين أو نائمون تحت الجدران مثل التماثيل المصنوعة من الطين، وعند اشتداد الحرارة تراهم يبحثون عن أماكن الظل في الشوارع، فينامون في سبات عميق، متكدسين فوق بعضهم البعض ، كما تراهم دائما شاحبي الوجوه وتبدو عليهم الشيخوخة مبكرا، حتى أنه وصفهم بالجنس التافه الرديء، كما أشار إلى بيوتهم فيقول أن فناء بيوتهم ملوثة، إذ يتناولون فيه طعامهم ويجمعون فيه أوانيهم، ويرمون فيه أوساخهم حتى تتكدس، وينتشر الذباب وبالتالي تنتشر رائحة كريهة في كل مكان[1].

ثم يتطرق للأدوار التي تتقاسمها العائلة في العمل، فيصف الرجل بالخمول والكسل والزوجة بأداء أدوار كثيرة، منها رعاية الأسرة والقيام بأشغال البيت ورعي الاغنام إلى جانب زوجها، والقيام بالنسيج والحياكة، فيصف العلاقة بين الرجل والمرأة بأنها تنحصر في توفيره لها الغذاء واللباس والمسكن فعلاقتهما أشبه بالعبد والسيد[2].

أما أطفالهم الذكور فيكلفون بجلب الماء والرعي إضافة إلى مهمة أخرى، والفتيات يساعدن أمهاتهن في الحياكة والنسيج مقابل أجر زهيد يحصلن عليه[3]، هذا ويشير إلى عادات المنطقة في مسألة الزواج فيقول أن هؤلاء الفتيات يتزوجن في سن مبكرة حيث يتزوجن في سن الثانية عشرة سنة[4].

كانت البلادة والخمول تمثلان الصفة الأساسية للإنسان الأغواطي(في وجهة النظر الفرنسية) ، فهو قليل النشاط ويجنح كثيرا إلى الخمول ، وإذا جمع مقدارا من المال فان ذلك كان يعود بالأساس

---

[1] - Eugène Fromentin, Op.Cit, p 147-149

[2] - Ibid , p 114

[3] - Ibid , p 1-54 .

[4] - Ibid , p 1-42

إلى عمل النساء على العموم ، فهن وخارج الأشغال المنزلية ، كن يعتكفن في نسج المنسوجات المختلفة ، وتجدر الإشارة في هذا السياق ، بان عدد النساء في الاغواط ، كان يمثل ضعف عددهن عند العرب، وان الشغل الوحيد الذي يتعاطاه سكان المدينة هو البستنة ، بحكم أنها لم تكن تستدعي جهدا كبيرا .

لقد كانت ضيافة بني الاغواط مضرب المثل في الماضي ، وتنبع من صفاء طبيعي وإنساني ، فقد كانوا يمنحون اللجوء لكل الناس ، بحيث كان الأجنبي مرغوبا في مدينتهم ، وكان يضمن الحصول على المأوى عندهم ، إن الاحتكاك مع الأوروبيين أخذ مثلما هو الحال في كل مكان تعديلات على طريقة التعامل ، ولا يمكن أن يكون هذا الأمر بخلاف ذلك ، وهذا يرجع لاختلاف نمط المعيشة[1] .

وقد راع انتباه رحالة آخرين تواجد العناصر اليهودية في المنطقة مثل بول صوليبي: "يهود الصحراء الذين رأيتهم خاصة يشبهون كثيرا يهود شمال افريقيا قامتهم طويلة بنيون بعيون سوداء بشرة داكنة وأنوف كبيرة لا تشبه أنوف يهود اوروبا المنحدرين كما يقول الكاتب من نسل موسى عليه السلام.[2]

2/البدو الرحل: تعتبر القبيلة هي الوحدة الاجتماعية التي يقوم عليها كيان المجتمع في المناطق الصحراوية، وهي إطار سياسي اجتماعي يعترف أعضاؤها ببعضهم البعض من خلال الانتماء إلى جد جامع أطلق اسمه على القبيلة وهو شخصية تاريخية تزدهر حولها السير المعظمة، وليست القبيلة عائلة صافية الأصل دائما، فرغم الروابط الدموية القوية إلا أن القبيلة قد تتشكل أيضا من انضمام عائلات أخرى لها من أجل الدفاع عن مصالح مشتركة فهي تستقبل دائما وافدين جدد، وتتعزز هذه الروابط بفعل المصاهرة، فالقرابة داخل هذه القبائل قرابة اجتماعية لا قرابة دموية.[3]

[1]- فون مالتسان، مصدر سابق، ج3، ص 211-215، 226-227.

[2] - Paul soleiller, **Afrique occidentale Alger Mzab Tidikelt**, OP. CIT, p150.

[3]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص117-118.

إن القبيلة في أبسط أشكالها جماعة من الزمر أو العصب تحتل أرضا متجاورة لديهم شعور بالوحدة والانتماء، ناتج عن أوجه الشبه العديدة في ثقافتهم والاتصالات الودية والمصالح المشتركة، وقد يكون لديهم تنظيم قبلي رسمي يتفاوت في تفصيله.[1]

حاول بعض الباحثين إعداد تصنيف للبداوة في الجزائر وهي: البدو الصحراويين الذي لا يخرجون من الصحراء، والبدو الصحراويون الذين يصيفون في التل، والبدو الذين يخيمون صيفا في أمكنة متميزة عن تخييمهم شتاء، والبدو الذين يبحثون عن المراعي في تنقل قصير المدى (20-25 كلم) وأخيرا شبه الحضريين الذين يتنقلون بغرض تسميد الأرض والهرب من الطفيليات.[2]

تفرض الظروف الجغرافية نفسها على البدو، فالبداوة ليست تخلفا عن الحضر بل هي طريقة عيش تختلف ظروفها عن ظروف عيش الحضريين وتحددها ثلاثة عناصر: -الوحدة البشري-وجود القطيع- الانتقال الدوري في رحلة ثابتة، إذ أن تربية المواشي هي من تفرض التنقل على القبيلة، فالقطيع هو المورد الأساسي لأنه يسمح بإنتاج اللحم والصوف والجلد والشعر والحليب ومشتقاته، لهذا يحتل القطيع مكانة أساسية في حياة البدوي، كما تفرض القوانين المناخية هذه التنقلات، فهي ليست تقليد يتعلقون به ويتوارثونه فحسب بل هو ضرورية حياتية.[3]

ولم يكن البدو يهيمون على أوجههم في الصحراء والتل، بل يتوجهون دوريا نحو مراع وينابيع وآبار يعرفونها، وقد وصفهم أحد الباحثين بأنهم يتبعون خطوط تجوال محددة بوضوح مرتبطين بالمراعي والسماء مثل طائر اللقلاق والسنونو، وقد كانت بعض القبائل البدوية (خصوصا الأرباع) تقوم بنشاط نصف زراعي حيث تقوم بزراعة أراضي الضايات في الخريف ويعودون إليها بدءا من الربيع في انتظار جهوز المحصول ثم تواصل طريقها إلى التل، [4] ولم يكن بإمكان القبائل البدوية التخلي عن المدن رغم احتقارهم للسكن فيها ذلك أنها مكان بيعهم وشرائهم وراحتهم.

[1]- نجاة قناطي وحنان بوناب، مرجع سابق، ص38.

[2]- عدي الهواري،مرجع سابق، ص 97.

[3]- نفسه، ص101-105.

[4]- نفسه، ص100، 106.

إن تميز نمط حياة قبائل الأرباع جعل التنظيم الإداري الاستعماري (وحتى إلى ما بعد الاستقلال) يخضع لهذا النمط، ففي مواسم الترحال التي تطول إلى شهور ينتقل هؤلاء البدو كـ: "عشابة" باحثين عن الكلأ لماشيتهم في الهضاب العليا وما يليها من مناطق التل، [1] فمنذ شهر ماي يقترب البدو من الأطلس الصحراوي ويكون تقدمهم على شكل مجموعات من خمس إلى ست عائلات (نُجُوع)،تدفع أمامها بقطعان كبيرة من المواشي، حيث تدخل قبائل الأرباع عبر المنخفض الذي ينفتح أمامها ما بين جبل العمور وجبال أولاد نايل، وتفرق قطعانها في مناطق قصر الشلالة وسوقر، ويقومون باكتراء أراض تم حصاد محاصيلها، حيث تكون كلأ لمواشيهم في حين يستفيد الفلاحون المحليون من الأسمدة العضوية التي توفرها المواشي، وهناك أيضا تنصب خيامها وتعرض في الأسواق المحلية الخراف والصوف والتمر، وتطلب مقابلها منتجات التل لا سيما الحبوب، بيد أن هذه الأسواق فقدت قيمتها مع انتشار المستعمرين من جراء المنافسة من وسائل النقل الحديثة.[2]

وقد شكل إقفال الاستعمار لطرق التجوال المعتادة عقبة قاضية بالنسبة للبدو وقد أوجبت عليهم مرافقة مساعدين من الجيش الاستعماري لهم لدى اقترابهم من التل والتنقل بدون سلاح والتخييم على حدود التل في انتظار الإذن بالمرور بعد جمع آخر المحاصيل، [3] وتسببت الاجراءات الاستعمارية في تقلص الحياة البدوية ولكن إلى الأسوأ، حيث اضطر بعضهم إلى سكن المدن في ظروف صعبة أو العمل كخماسة،بينما بدأ استقرار القبائل بجانب آبار المياه مع ظهور رعاة محترفين لقطعان هذه القبائل في حين بدأت تظهر مهن أخرى مثل التجارة والحرف لدى هذه القبائل.

وبهذا فقد واجهت هذه القبائل صعوبات قاسية في ظل الاستعمار وتحول معظمها إلى الحياة الحضرية تحت شروط صعبة واحتفظت بالخيمة على أطراف الحضر وأنشأت "القوربي" للسكن فيه، بينما استمرت بعض هذه الفروع هذه القبائل بالتنقل بحثا عن المراعي لقطعانها وعن العمل المؤقت

[1]- جيلاني كوبيبي معاشو، **الصحراء كفضاء للترحال مقاربة سوسيو أنثروبولوجية للبدو الرحل**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية، ص183.

[2]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص98.

[3]- المرجع نفسه، ص106-107.

لأعضائها إلى ما بعد الاستقلال،وقد كان من الكافي أن تمر عدة سنوات جفاف متتالية حتى تنقسم الجماعة وتتفتت فيفضل بعضها الإقامة في المناطق الحضرية علهم يجدون عملا.[1]

وقد وصف فرومنتان فرسان بعض القبائل المحلية كأولاد مختار وأولاد نايل والأغواط، أنهم كانوا "يتأزرون البرنوس الأبيض حاملين سيفا قصيرا ومنتعلين أحذية طويلة حمراء، ورغم نحافة أجسامهم ومعيشتهم القاسية غير أنهم على أحصنتهم تلك ينتقلون حيث شاؤوا بلا كلل ولا ملل"[2].

كما أشار الرحالة فرومنتان إلى النظام الاجتماعي القبلي المشكل من هرم قمته يمثلها شيخ القبيلة وأسرته، بعدها يليه الفرسان وفي الأخير يأتي الفقراء والخدم، وهم في غالب الأحيان من الزنوج، ولأنهم يفضلون حياة الانتجاع يفصل لنا الرحالة في حديثه عن قوافل الانتجاع فيقول الفرسان يأتون في المقدمة يحملون رايات، ثم يأتي أربعة جمال يركبها شيخ القبيلة وأفراد أسرته، ثم يليهم قطيع من الجمال بقيادة جمالين، وفي الخلف قطيع من الغنم والماعز مقسم إلى مجموعة كل مجموعة تقودها امرأة أو زنجي مدعم بحراسة رجل يمتطي جوادا وكلاب [3]، أما لباسهم فيقول فرومنتان أنهم يلبسون اللباس البالي والممزق نتيجة الفاقة والفقر[4].

3/ العلاقة بين سكان القصور والقبائل البدوية:

وقد قامت علاقات كثيرة بين جتمع فلاحي الواحات وهم سكان القصور والقبائل البدوية الصحراوية، أساس تكاملي يظهر في تقاسم العمل والمضايقة والمبادلات والحماية وقد كانت هذه العلاقات سببا في التماسك الاجتماعي، الذي كان قائما بين البدو الرحل من التجار أو المحاربين أو

[1]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص108-109.

[2] - Eugene Fromentin, op.cit, p81

[3]- Eugène Fromentin,Op.Cit, p 216-217.

[4] - Ibid , p 113 .

الرعاة أو المربين الذين يضمنون المبادلات وحركة السلع وحماية القصور في إطار من التحالفات والولاءات[1].

فبالنسبة للبدو دائمي التنقل والترحال لا يمكنهم أيحملوا معهم مؤونتهم وأغراضهم الثمينة، فيدعونها عند سكان القصور الذين يتعهدون بحمايتها [2]، فسكان تاجرونة كانوا يخزنون في قصرهم حبوب قبيلة أولاد يعقوب الأحرار البدوية ' وكان سكن قصر للماية خماسة يزرعون لقبيلة أولاد يعقوب الزرارة الحبوب ويأخذون الخمس من الغلة كما كان أفراد هذه القبيلة الرحل يخزنون حبوبهم خلال رحلاتهم في قصر للماية [3]، بينما كان جزء من قبيلة الأرباع وأولاد سيدي عطاء الله يخزنون حبوبهم بتاجموت والحويطة، كما يضع جزء من قبيلة الأرباع وأولاد نايل حبوبهم بالعسافية وقصر الحيران[4]

ونتيجة لعلاقات المصاهرة أصبح لبدو مالكين لأراضي في القصور، لكن الرحالة يملك الذي يملك الأرض لا يزرع بها [5]، وبالتالي فهو يحتاج إل من يزرع هذه الأرض وهم القصوريون كما يوفرون له التمور أيضا من خلال الحدائق التي يملكونها ويزرعونها، كما أن سكان البدو يحتاجون إلى سكان القصور لأنهم يوفرون لهم الملابس الصوفية والأسلحة والسروج [6]، كما كانت بعض القوافل التجارية

---

[1]. خليفة عبد القادر، "**من القصر الصحراوي إلى المدينة الحديثة**"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 1ديسمبر، ص131.

[2]. E.-Mangin, **Note sur**..., op.cit, p10

[3]. – ترومليي، مصدر سابق، ص365

[4]. – دوماس، مصدر سابق، ص 52-53.

[5]. – نفسه، ص26.

[6]. E.Mangin, **Note sur**..., op.cit, p10.

تتوقف عند القصور كمكان لاستراحة وكمحطة وقوف ومكان للتبادل وشراء ما يحتاجونه، فبدو الأرباع مثلا كانوا ينصبون خيامهم ويحتمون بجدران القصور[1].

أما بالنسبة لسكان القصور فلا يمكنهم أيضا الاستغناء عن البدو الذين يمثلون وسيلة اتصال بين القصور الصحراوية، فبدو الرحمان كانوا يقومون بدور الناقل والرسل والمواصلات بالنسبة لأولائك المستقرين في القصر [2]، كما كان سكان القصور في المنطقة بحاجة إل القصور الجنوبية التي تمدهم بالتمور، ومناطق التل التي تمدهم بالحبوب، وجلب المواد الطبيعية من السودان، فمن دون تلك القبائل قد تخلى القصور عن تجارتها الربحة[3]، فكان بدو الحرازلية مثلا في الأغواط بعد جني التمور يذهبون إلى تماسين وتقرت ليحصلوا على المؤونة، فيما كان الأرباع يذهبون إلى التل بهدف التزود بالحبوب ويؤجرون جمالهم لسكان القصور لنقل بضائعهم[4].

وكانت المراعي بالواحات لا تفي بحاجة قطعان الماشية التي يملكها القصوريون لهذا يكلفون البدو برعايتها، وكان سكان القصور بحاجة ماسة إلى ما ينتجه البدو من صوف العنصر الأساسي

لصناعتهم، وكذا الجلود واللحوم والحيوانات لأغراض النقل، وكان التعايش و التكامل بين المزارعين والرعاة هشا وعرضة للتحول لصالح أحدهما، فقد عاشت في بعض الواحات الواقعة على الممرات التجارية المهمة طبقة من التجار تمكنوا من إحكام سيطرتهم على الأسواق وزراعات النخيل، ولطاما احتقر البدو الرحل الأعمال اليدوية والزراعة، وهذا يرجع إلى تصورهم لفضائل الرجل البدوي ولقيمته ومركزه الاجتماعي بين جماعته[5].

---

1. M.M.E.Jean Pommerol, op.cit, p99.

2. -ibid, p106

3. E.Mangin, **Note sur**…, op.cit, p10

4. دوماس، مصدرسابق، ص 71-72.

5. مُحَمَّد السويدي، المرجع السابق، ص159.

يمكن القول أن سكان القصور وسكان البدو تحالفوا وتضامنوا فيما بينهم، نتيجة لاختلاف الإمكانيات المتاحة لكل طرف، وهو ما أدى إلى نشوء السلام بين الطرفين في غالب الأحيان نظرا لحاج كل منهما للآخر، ونتيجة لعدة عوامل كان هناك تفاعل بين سكان البدو وسكان القصور، حيث كان كل طرف بحاجة إلى الآخر ولا يمكنه الاستغناء عن خدماته، وهذا ما أدى إلى علاقات تضامن وتعاون وتكامل بين الطرفين، وهو ما يساعد على تماسك المجتمع ويوثق روابطه.

المبحث الرابع : العادات اليومية والاحتفالية لمجتمع الأغواط :

1/ أماكن السكن:

أولا : بالنسبة للحضر: خضعت مساكن سكان القصور في طريقة بنائها لظروف البيئية التي ميزت المنطقة، وقد انعكس هذا بشكل واضح على منازل قصور منطقة الأغواط، كما تبنى بطريقة تسمح بالحفاظ على حشمة النساء حيث لا تظهر المرأة وهي تقوم بعملها، وبالتالي فإن العمارة على هذا النحو تعبر بصدق عن الوظيفة والبيئة الطبيعية والثقافية والاجتماعية السائدة[1].

-توفير الحماية من العوامل الجوية شديدة القسوة حيث كانت الحاجة تقتضي تضييق المكان للحصول على الظل، وبالتالي تكون الشوارع ضيقة ومغطاة وطرق وممرات مسدودة تكون شبكة من الممرات الضيقة التي كانت لتكثير الزوايا وكسر الخطوط حتى تنفذ أشعة الشمس إلى الداخل إلا بقدر قليل[2]، كما أن هذا التصميم يحمي من انتقال الأتربة المحمولة في الهواء بسبب الرياح والعواصف القوية المتكررة[3]، كما أن الأزقة مقنطرة ومظللة ومع وجود فتحات لدخول الضوء منها والهواء النقي، وهي تساعد على توفير مناخ مناسب ويساعد على تحرك الهواء ويخفف من حدة المناخ الحار الجاف الذي تمتاز به المنطقة[4].

---

1. هاينريش فون مالستان، المصدر السابق، ص227.
2. E,Fromentin, **un été…**, op.cit, p157.
3. هاينريش فون مالستان، المصدر السابق، ص227.
4. E,Fromentin, **un été…**, op.cit, p157.

بالإضافة إلى الاعتماد على مواد محلية واستغلالها في عملية البناء فالطين والحجارة وخشب النخيل تعتبر المصادر الرئيسية لمواد البناء المستعملة في منطقة الأغواط، ولها العديد من المميزات منها أنه يسهل الحصول عليها حيث تتوفر في البيئة الصحروية، كما لها خصائص أخرى مثل تهيئة الجو المناسب للسكان سواء البرودة أو الحرارة[1].

كما تضم أغلبية المنازل أسرتين وحتى ثلاث أسر وتتكون من فناء مربع تحيط به الغرف من كل جهة، والغرف مظللة ورواق مظلم لا يدخل إليه ضوء النهار إلا من باب منخفض ومفتوح دائما لا تدخل منه الشمس إلا عندما تكون مائلة تماما في الصباح أو في المساء [2]. وكان توجيه الغرف نحو الفناء الداخلي باعتباره جزءا من الفضاء الخارجي يضاف إلى ذلك التقليل من الفتحات الخارجية، وهذا التصميم يساعد على توفير مناخ مناسب لسكان المنزل، إضافة إلى توفير حيز وظيفي ملائم للنشاطات المنزلية خاصة النسوية، ويتطابق مع المعايير الاجتماعية القائمة على احترام الرحمة والحياء[3].

أما بالنسبة للزخرفة فكل مالك نمطه الخاص وفقا لذوقه وحسب حاجاته ووسائله فبعض المنازل مطلية بالأبيض، وقد توجد في بعض المنازل رسومات خاصة بألوان مختلفة وبزخرفة مؤطرة داخل معين، العديد من المنازل تجد داخلها أو خارجها يد مفتوحة مطبوعة على الجدران لإبعاد العين والحسد[4].

أما بالنسبة لأثاث المنزل فيختلف من منزل لآخر حسب طبيعة الأفراد الذين يعيشون فيه وحسب امكانياتهم المادية، فنجد في بعض المنازل حصير بسيط من الحلفاء وبعض الأواني المنزلية البسيطة، كما نجد في أغلب المنازل في غرفة سيد البيت مقاعد ترابية مرتبة حول الغرفة إضافة إلى البندقية والسرج، البرنس، الجلابة أو أفرشة ذات صوف عالي [5]، والصناديق وبعض الأكياس وجلود

---

[1]. ترومللي، المصدر السابق، ص332-333.

[2]. E,Fromentin, **un été…**, op.cit, p110.

[3]. ترومللي، المصدر السابق، ص332-333.

[4]. Docteur Bernard, op.cit, p185.

[5]. ترومللي، المصدر السابق، ص350-351.

الحيوانات لاستعمالها للجلوس، كما توجد بعض الزرابي والسجاد، أما في المطبخ فتوجد الأواني منها مثلا أواني الحلفاء لجلب الماء والجفان من الخشب لوضع الكسكس، كما توجد الطاحونة التي تستعملها النساء لطحن الحبوب، ومن أهم أثاث المطبخ بالنسبة للمرأة بالأغواط هي أدوات النسيج، حيث كان النسيج يشكل واحد من أهم الأعمال المحببة للمرأة فلا يوجد منزل إلا وجدت فيه أدوات النسيج، ويكون خاصة في المطبخ ليكون أكثر قربا من المرأة، كما تفرش الغرف بالتليس وهو نسيج كثير الألوان[1]، وتجد أيضا أكياس القمح والشعير إضافة إلى أدوات إشعال النار المستعملة للطبخ والتدفئة مثل الحطب وبقايا الحيوانات (الغنم، الإبل، البقر)، إضافة إلى الموقد حيث يترك له ثقب في السقف لخروج الدخان، إضافة إلى القرب المصنوعة من جلد الماعز المخصصة بعضها لجلب الماء والبعض الآخر للحليب واللبن، كما توجد بعضها من الخشب أو الفخار أو النحاس[2].

وعموما يعتبر المسكن جزء لايتجزأ من نسيج القصر ولم يكن منفردا أو شامخا لوحده، بل تجاورت مساكن الأغنياء والفقراء ضمن وحدة الجيرة دون تمايز طبقي أو اجتماعي، وكان الفرق في طريقة البناء وتجهيزه من الداخل، كما أن سكان القصور يعتمدون على الروابط الاجتماعية، وهي التي تسمح للفرد أن يرتبط بالمجموعات الاجتماعية والمجتمع، منها الممارسات التقليدية التي تحافظ على الروابط والطقوس والمناسبات التي لها امتداد في عمق المجتمع، والمناسبات الدينية والاجتماعية التي تعتبر فرصة لربط العلاقات بين أفراد القصر والمحافظة على الحياة الاجتماعية بداخله.

ثانيا: بالنسبة للبدو الرحل: الخيمة هي مسكن البدوي ورمز فخره وتعتبر عن قوته ومكانته داخل المجتمع، وهي في عمومها تتكون مما ينتجه الإنسان البدوي خلال نشاطه المتمثل في الرعي، حيث تعتمد في الأساس على صوف الأغنام وشعر الماعز ووبر الابل، وعلى حرفة النسيج التي تتقنها

1. Docteur Bernard, op.cit, p185-186.

2. ترومللي، المصدر السابق، ص349-350.

المرأة، وما تنتجه الطبيعة مثل الأعمدة التي يرفع بها خيمته فهي في غالبها من النباتات القوية المحيطة به، ولأن الخيمة وجهان فإنه يتم فتح أحدهما حسب طبيعة الرياح واتجاهها[1].

ولتكون لدى القارئ فكرة واضحة عن الخيمة يمكننا أن نورد وصف "فرومنتان" للخيمة العربية حيث قال:"لوحة حقيقية للحياة البدوية خيام مثبتة بعدد من العكاكيز وممسوكة بالأرض بحبال وأوتاد، تراكمت بالداخل وبطريقة عشوائية أدوات المطبخ وأثاث البيت الرحى الحجرية (وعدة الحرب لصاحب البيت) لطحن الحبوب، الهراس الثقيل لدق الفلفل، الصفحة الخشبية أين يحجن الكسكس، الغربال، الكسكاس، جفان الحلفاء المضفرة، أكياس السفر أو التلبيس، بردعات الجمال، زرابي الخيام، النول لنسج الصوف الفرجون الحديدي العريض والذي يستعمل في نقش صوف الجمال ووسط هذه الفوضى صندوق أو صندوقان يحويان إضافة إلى حلي المرأة الأشياء الثمينة الأخرى التي تمثل كل ثروة صاحب الخيمة، وفي الخارج أرضية مطروحة مرعية حيي من الجذور ... وكتلة مليئة بالأوساخ مغطات ببقايا الأشياء القديمة وعظام الحيوانات إضافة إلى مكان يكسوه سواد الكوانين المحفورة في الأرض والمتكونة من ثلاث أحجار تشكل موقد أكداس من العليق والأشواك اليابسة وقرب سوداء معلقة بثلاث أوتد على شكل هرم..." [2]. وأما الموارد المستعملة لإشعال النار فهي بقايا الحيوانات (البقر والبعير والغنم) إضافة إلى الحطب من النباتات الصحراوية المتوفرة مثل حطب البطم والنخيل وبقية النباتات الصحراوية المختلفة[3].

2/نماذج عن الحياة اليومية لساكنة الأغواط: كان أغلب الرجال في القصور يمارسون الزراعة في الحدائق، حيث يزرعون الأشجار المثمرة ويعتنون بها ويزرعون خاصة النخيل التي تفي تقريبا

1. Jean Despois, op.cit, p76.

2. E,Fromentin, **un été…**, op.cit, p53-54.

3. ترومللي، مصدر سابق، ص349.

باحتياجات السكان كما يزرعون الكثير من الخضر [1]، ويعمل بعض الرجال كحدادين حيث يملكون دكاكين للحدادة ويملك البعض المقاهي، وتوجد بعض الأعمال الأخرى مثل الحلاقة والتجارة [2]، وكذلك الحال بالنسبة للرجل البدوي الذي تكون حياته أكثر صعوبة نظرا لطبيعة حياته، فهو يسهر على حماية ورعاية قطعانه التي تشكل دخله الأساسي، كما أنه يحرث الأرض إضافة إلى عمله في التجارة من خلال نقل البضائع ومبادلتها خلال رحلاته، كما أنه يجمع الغلة في أوقات الحصاد، ويصنع الحصائر والحبال ويقضي جزء من وقته في الصيد، وطبيعة نشاطه المذكور سابقا هي ما جعلت "فرومنتان" يذكر أنه نادرا ما تجتمع الأسرة فالأب غائب عن المنزل طوال الوقت ولا يجتمع بأسرته إلا في الليل من أجل تناول العشاء أو في أوقات نادرة[3].

كماتقوم المرأة بالكثير من الأعمال في منزلها أو خيمتها، فهي في الوقت نفسه الأم الحاضنة والعاملة والحرفية والزوجة وهي العمود الفقري للمنزل [4]، تقوم بإعداد الطعام والعناية بالأطفال، وتنظيف المنزل وطحن الحبوب[5]، وتوفير الماء البارد في فصل الصيف من خلال صنع القرب من جلد الماعز وتبليل قماش ووضعه عليها، وصنع كل ما تحتاجه في المنزل مثل الأواني الحلفاء والسلال. وإذا كانت الثريات تساعدها زنجية في الأعمال المنزلية وجلب الماء[6]، كما كان للمرأة دور اقتصادي حيث تقوم المراة ببعض الأعمال المتاحة لها وهي تعطي لها استقلالية مالية ذاتية تمكنها من توفير احتياجاتها واحتياجات بناتها وأولادها، ولكن مع ذلك فهي تحاسب عليها من طرف الرجل وقد كانت المرأة

1- Docteur Bernard, op.cit, p185-186.

2 هاينريش فون مالستان، مصدر سابق، ص228.

3- E,Fromentin, **sahara** …, op.cit, p113.

4- Ibid, p103.

5- Jean Pommerol, op.cit, p118.

6- Docteur Bernard, op.cit, p180.

الأغواطية محبة للنسيج، حيث تصنع مختلف الأفرشة والأغطية والملابس الصوفية، حتى أن هذا النشاط كان يصل إلى مستوى الاعتقاد أو القيمة الاجتماعية الخاصة بكرامتها وشخصيتها، حتى أنها تدخل في شجار مع زوجها إذا طلب منها ترك هذه الصناعة، وقد تفضل الطلاق على تركها حيث تعتبرها هوايتها المفضلة[1].

وكذلك الحال بالنسبة للمرأة البدوية فهي تقوم بأعداد الطعام وجلب الماء وطحن الحبوب والعناية بالأطفال تحضر اللبن، تحلب الأغنام والإبل، تصنع الزبدة، تجهز الحصان من وضع السرج والبردعة، تمنحه الماء والشعير، تنسج ما تحتاجه الخيمة كالفلجة والأفرشة والأكياس، تصبغ الصوف بالأحمر والأزرق لصنع ستائر العطاطيش (الباصور) والستائر التي تقسم الخيمة بين الرجال والنساء وتصنع الحبال من الصوف والشعر، والسلال لوضع الماء والحليب، وتصنع قرب الماء والزبدة والحليب، وقد تصنع من الطين بعض الأواني، ومن أجل تغيير المسكن تقوم بلف الخيمة وجمع الأثاث وتحميله على البعير، وعند الوصول إلى المكان المقصود تصنع الخيمة وتدخل أثاثها[2]، وتجمع الحطب وفي الخيام الكبيرة قد يساعدها الزنوج في ذلك [3] وتعتني بالحملان الصغيرة، ونساء القصر تذهبن إلى البساتين للترفيه ولجلب بعض سلال الفاكهة، والمرأة عادة لا تترك المنزل إلا للضرورة، وقد تخرج لزيارة قريب رزق بمولود جديد أو تزور أمها في الخيمة، أو أبناء العمومة والعمات أو الخالات والأخوال، أو زيارة قبور الأولياء أو زيارة قبور الموتى والأقارب وترافقهن عادة امرأة مسنة، وترتدي الحجاب وعادة ما تهمس المرأة خلال الكلام ولا ترفع صوتها احتراما لزوجها[4].

1- Odette Petit, op.cit, p70.

2- Daumas, op.cit, p257-285.

3- E,Fromentin, **sahara** …, op.cit, p115.

4- Jean Pommerol, op.cit, p112.

وقد انتشرت في الأغواط بعضبعض العادات المرتبطة بالفلاحة، ففلاحو المدينة كانوا يحققون شبه اكتفاء ذاتي ، ولم يكن إنتاجهم موجها في الأساس إلى التسويق ، وإنما للاستهلاك ، وكان كل من له بستان يعود ببعض إنتاجه على معارفه وأقاربه وجيرانه المحرومين وافصل ما يتهادون به البواكير التي يسمونها "الفال" وفي جو من التواد والتكافل الاجتماعي المستمد من القيم الإسلامية الراسخة في هذه الديار.[1]

ومن أهم العادات المنتشرة في المنطقة : "التويزة" والمعنى اللغوي لكلمة التويزة يتوافق مع معناها الاصطلاحي فهي مأخوذة من فعل : " أزى" وتعني المؤازرةوتقويةالصفوالتعاونوالمساعدةوالتآخي، أما معناها الاصطلاحي فتعني حملات تعاونية تطوعية يشترك فيها مجموعة من السكان لإنجاز مشروع صغيرا كان أم كبيرا، و تشكلالعناصرالمشكلةللفضاءالريفيكالقرابة والسكنالاجتماعيوالنشاطالفلاحيوالسلطةالعرفيةوالعلاقاتالاجتماعيةالتربةالخصبةلظهوروللممارسةالتويزة.[2]

ومن أمثلتها في منطقة الأغواط خروج الفلاحين بآلاتهم إلى موقع السد الذي ترتوي منه المدينة لإعادة إقامته كلما داهمته السيول العارمة وإزالة حاجزه ، وتتكرر العملية ربما عدة مرات في السنة بحسب السيول ،ويحاولون إلا يستغرق أكثر من يوم لئلا تنقطع المياه عن المدينة ، ونفس الشيء لإصلاح السواقي وتنظيفها ، وكذلك تحضر "التويزة " في عمليات الحرث والبذر والحصاد، وكذلك اشتراك السكان في انجاز المباني سواء كانت عامة كالمساجد أو المدرسة الحرة التابعة لجمعية العلماء التي بنيت بالتبرعات والتويزة أو خاصة كمساكن المواطنين.[3]

كما أن أطعمة السكان انعكاس لمنتجات البيئة، فما من مناسبة أو احتفال إلا ويكون حاضرا فيها "الكسكس" وهو الطعام الشهير بالأغواط الذي غلب عليه لأهميته وانتشاره تسمية" الطعام" ، وهو يمتاز بتركيبته ومذاقه عما هو معروف عن هذه الأكلة في المدن الأخرى ، وهناك أكلات أخرى

[1]- لبتر مداني ،**الأغواطصفحات من التاريخ والحضارة**، دار هومة، الجزائر، 2006، ص55.

[2]- المرجع نفسه، ص31.

[3]- مداني لبتر، مرجع سابق، ص55.

كثيرا ما تحضر في المناسبات الاحتفالية منتشرة في هذه المدينة والمناطق السهبية المجاورة ولازالت متداولة.[1]

أماعن اللباس التقليدي الأصيل فإننا نجده غير مختلف عما هو سائد في المدن العريقة ، وإن كان لباس المنطقة له خصوصية المنطقة السهبية والصحراوية فبالنسبة للرجل : هناك "البرنس" و"القشابية " "الجلابة" و"القندورة" و"السروال العربي" و"البدعية "الصدرية" والقميص والعمامة التي تختلف أحجامها ،[2] أما لباس المرأة فهناك ما يسمى "بالقنبوز" الذي هو حجاب سابغ لا يبرز الا عينا واحدة وكان يتخذ من القماش الأزرق ثم الأبيض وله نظائر قديمة في مدن أخرى كتلمسان "حجاب الفتاشة" وهناك الفستان والحولي والوقاية والخمري[3].

3/ المناسبات الاحتفالية: مما عرف به سكان الاغواط وعلى غرار المدن الإسلامية العريقة احتفاؤهم بالعديد من المناسبات ذات الطابع الاجتماعي أو الديني والتاريخي بطريقة متميزة من حيث التحضير الذي ينطلق أياما قبل حلولها ومن حيث الطقوس والمظاهر الاحتفالية بها وأهمها:

أ–المولد النبوي: الذي كان يحظى من جميع طبقات المجتمع بالاهتمام ، ففضلا عن المدائح الدينية التي تقام في كل مسجد ومحضر"كتاب" لمدة أسبوع على الأقل يحرص كل رب أسرة على أن يوسع في الإنفاق على أهل بيته في اللباس والأكل وشراء لوازم الاحتفال تعبيرا عن حب هذا المجتمع لنبي الأمة مُحَمَّد "ﷺ".

ب– عاشوراء: وتتميز بمظاهر احتفالية وطقوسية ولاسيما اتجاه الأطفال كما يحرص الكبار على صومها عملا بالسنة النبوية وعلى إخراج الزكوات والصدقات فيها[4].

[1]– المرجع نفسه، ص55.

[2]– نفسه، ص56. صادقي، مرجع سابق، ص272–273.

[3]– صادقي، مرجع سابق، ص274.مدني لبتر، مرجع سابق، ص56.

[4]– مدني لبتر، مرجع سابق، ص 57.

ج– شهر رمضان: الذي يعرف استعدادات كبيرة من طلاء وتنظيف البيوت وتجديد بعض أثاثها وتحضير بعض التوابل وبعض الأكلات مسبقا ، كما يعرف توسعا في الإنفاق مهما كانت المداخيل واجتماع أفراد الأسرة على مائدة الإفطار ، وتزاور الأسر في الليل ، وحرص الكل حتى بعض المفرطين على أداء صلاة التراويح بالمساجد ، أما بخصوص الأطفال فهناك عادة متفردة كانت تتمثل في قيامهم ببناء مصاطب في الأحياء يستغلونها طوال الشهر في التجمع لتناول ما يجلبونه من بيتهم من أطعمة الإفطار المتنوعة في نوع من التكافل وفي جو من المرح والأخوة، وكل طفل أو بنت يتخلف عن المشاركة يصبح عرضة للسخرية من خلال اهازيج محفوظة يرددها زملاؤه .

د–رأس العام : ويشمل كل من بداية السنة الهجرية والسنة الفلاحية ففي كل مناسبة من هذه المناسبات تحضر أطعمة خاصة وتؤدي طقوس معينة يعود بعضها إلى اعتقادات وممارسات قديمة مشوبة أحيانا بالخرافة، وتأسيسا لما سبق ورغم كل ما ذكر من هذه العادات وطرائق الاحتفال والإنفاق إلا أنها بعيدة عما نعهده الآن من غلو وإسراف وتبذير وبذخ مبالغ فيه. [1]

هـ–حفلات الزفاف: تتفق معظم المجتمعات على وجود مراحل للزواج منها ما يكون تمهيدا له ومنها ما يكون ضمنه ومنها ما يكون بعده، ومن المراحل التي يتصف بها الزواج في منطقة الأغواط، وذلك حسب رواية الرحالة Jean Pommerol جين بوميرول في كتابها :

Une femme chez les Sahariennes entre Laghouat et In Salah

الانتقاء ثم الخطبة والتمليك (السعفة)، ثم الدفــوع وتحضير جهاز العروسلتأتي بعدها الفاتحة، من ثم المرحلة الأخيرة للتحضير للزفاف ب حمام العروس والعريس وتحضير لباسهما، ثم ليلة الحنة، وليلة الدخلة والصباحية،ثم السبوع وهو "اليوم السابع ودق الوتد في اليوم الثامن.[2]

و–المعروف، الوعدة، الطعم: وهي عبارة عن لقاء سنوي يُقام تخليداً لمناقب بعض الأولياء الصالحين، يجتمع فيه مريدوهم وأحفادهم ومحبوهم، من أجل المشاركة في قراءة القرآن والأدعية و

[1]– المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[2]–Jean Pommerolop.cit,p-231. 251-

المدائح وإطعام الطعام وصلة الأرحام، وتقام على هامش هذه اللقاءات بهذه المناسبة أسواق واحتفالات شعبيّة[1] .

وهي ظاهرة عامة عرفها المجتمع المغاربي عامة والجزائري خاصة، وأهم ما يميز ظاهرة الوعدة أنها تجذرت في السلوك الاجتماعي و المخيال الشعبي ، لقد أصبح أدائها ملتبسا بكل السلوك الاجتماعي و أنساقه الثقافية و هو يتم بشكل لا شعوري أي بشكل لا يستدعي تفكيرا حول مغزاه أو مدى معقوليته بحيث أصبحت جزءا من الممارسة الشعبية الدينية ، أي أنها تمثل جزءا من نظام الدين في ثقافة المجتمع الجزائري ، وقد انتشرت في القرى والمدن حيث عمل الناس على إحيائها في مواسم معينة واستمروا في إقامتها،و هناك عادات أخرى كاتخاذ المزارات و التبرك بها و تعليق الخرق على أشجار السدر و البطم و تقديم الشموع و المباخر إلى الأضرحة[2].

وتعتبر الأضرحة من أهم المعالم الدينية المنتشرة في منطقة الأغواط، فنجد بمدينة الأغواط ضريح الولي سيدي الحاج عيسى، وهو بناء مكعب من الجبس الأبيض بقبة مخروطية الشكل، ونتوء مسنن في زاوية أما الداخل فمطلي بعاية مزخرف بكتابات عربية [3]، وضريح الولي سيدي عطاء الله، الذي يقع على ربوة صغيرة فوق قصر تاجموت وسط الأشجار، وهو عبارة على قبة مبيضة بالجير ومحاط بجدار صغير من الحجارة الجافة [4]، إضافة إلى ضريح "التجاني" بعين ماضي، المحاط بدار بوزنات منقوشة مطلية ومذهبة والضريح يعتبر تحفة فنية توحي بالأبهة والفخامة، صنع في تونس ثم نقل إلى

[1]- عدي الهواري، مرجع سابق، ص128.

[2]- مبارك الميلي، **رسالة الشرك ومظاهره**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص229. علي كبريت، مرجع سابق، ج1، ص74-75.

[3]E,Fromentin, **un été…**, op.cit, p151.

[4] دوك دي دوماس، المصدر السابق، ص49.

عين ماضي وركب قطعة قطعة [1]، وقد أعجب "ترومليTrumelet " بهذه البنايات الدينية قائلا: "لهذه القباب البيضاء المغروسة في وسط الصحراء والغارقة في ضخامتها والتي لها سمة العظمة والرائحة الدينية من ذا الذي لم ير هذه النصب للتقوى الإسلامية لن يستطيع أن يتخيلها مقارنة بكنائسها الصاخبة مقارنة بقبة في الصحراء وهي عبارة عن ستة أقدام مربعة وقبر بين جدران داعمة لقبة حولها آفاق تحيط فقط بالقبة الزرقاء يزوره الناس للتوسل به عند الله ويقدم زيارة ولو كانت خرقة من برنس"[2].

إن مصطلح الوعدة في اللغة العربية مشتق من فعل وعد و تعني تعهد بشيء ما أي أخذ على عاتقه شيء ما و الوعدة عبارة عن احتفال ديني يقوم به أشخاص من سلالة الولي و التابعين له حيث يأتون للزيارة بلوازم التنظيم و الوعدة كطقس نجدها في الجزائر تأخذ هالة روحانية تتمثل في شيء مقدس و في ممارسات تنم عن اعتقادات أقل ما يقال عنها أنها تكفير عن الخطايا و التوسل إلى الله لرفع المظالم، حيث عمل الناس على إحيائها في مواسم معينة و استمروا في إقامتها اعتقادا منهم أن عدم إقامتها قد تؤدي الى تأخير نزول الغيث أو زوال البركة فديمومة هذه الظاهرة ترتبط ارتباطا وثيقا بالواقع الاجتماعي للناس الذي يرتكز بدوره على الفلاحة المورد الأساسي للفئات العريضة من السكان.[3]

و في المعتقدات العامة و لقضاء حاجة فعلى الطالب أن يستنجد باسم الولي الصالح ليتم له ما أراد و هذا الفعل كثيرا ما يلجأ إليه الناس أثناء وقوع المصائب و الكوارث فيستنجدون بالولي الصالح سلطان الأولياء، لقد أخذ البعض من هذه العادات و التقاليد طابع القداسة و أصبح المحافظة عليها

[1]E,Fromentin, **un été…**, op.cit, p263.

[2] ترومليي، المصدر السابق، ص396.

[3]– صادقي، مرجع سابق، ص221.

من الأهمية بمكان بالنسبة لجميع أفراد القبيلة فالاحتفال السنوي الذي يقام على شرف شيخ الزاوية أو صاحب الضريح كثيرا ما يشكل ظاهرة مقدسة بالنسبة للقبيلة و التي لا يجب تركها بل إقامتها في الوقت المحدد مما يؤدي إلى ترسيخها في أفكار البسطاء كواجب مقدس تجاه الولي، إن من شأن هذه الاحتفالات ، تلعب دورا لا يمكننكرانه في التوازن النفسي لسكان معتادين على نمط اجتماعي معين وهكذا تترسخ الروابط الاجتماعية بين أفراد القبيلة أو الطريقة بفعل الروايات الشفوية والعادات الاجتماعية في إطار معياري مثالي.

الفصل الثاني: الاوضاع الاقتصاديق في منطقة الاغواط

المبحث الثالث : المشروع الاستعماري لاستغلال المحروقات في حاسي الرمل جنوب الأغواط

المبحث الثاني: منطقة الأغواط في المشروع الاقتصادي الكولونيالي

المبحث الأول: ملامح الحياة الاقتصادية بمنطقة الأغواط قبل اكتشاف الغاز الطبيعي

الفصل الثاني: الاوضاع الاقتصاديق في منطقة الاغواط

تعتبر منطقة الأغواط من المناطق الاستراتيجية في الجزائر على مر العصور، فهي بوابة الصحراء الجزائرية ونقطة تواصل بين جميع جهات البلاد، وهذا الموقع جعلها تتميز بدورها الاقتصادي بكونها همزة وصل بين المنطقة التلية والصحراوية بالإضافة إلى تعدد الأنشطة الاقتصادية التي مورست بها.

ولم تكن الحقبة الاستعمارية استثناء، فقد عرفت فيها المنطقة نشاطا اقتصاديا متنوعا، لكن التطورات التي حصلت بالمنطقة كانت جذرية على مستوى الأهمية والمجال المستهدف الذي يختلف كليا بين الفترة الأولى للاستعمار والفترة الأخيرة منه، فقد تحولت الأغواط من منطقة فلاحية ورعوية إلى أهم منطقة اقتصادية في كامل التراب الجزائري بعدما تم اكتشاف الغاز الطبيعي بحاسي الرمل، فتحولت إلى قبلة للشركات الرأسمالية الفرنسية.

المبحث الأول: ملامح الحياة الاقتصادية بمنطقة الأغواط قبل اكتشاف الغاز الطبيعي:

إن منطقة الأغواط تميزت بوضع اقتصادي يشبه إلى حد كبير أوضاع بقية الواحات المنتشرة في الصحراء الجزائرية، التي تتميز بمجموعة من النشاطات الاقتصادية، أبرزها الفلاحة الصحراوية ورعي الماشية، التي كانت تمارس على نطاق واسع من السكان، أما واحات الأغواط عرفت ممارسة الزراعة كنشاط رئيسي للسكان حيث تغرس الخضر والفواكه والحبوب خاصة مع وجود سد "واد مزي" الذي ساعد على إقامة زراعة بالمناطق القريبة منه ، كما تواجد بها حسب التقارير الفرنسية ما يزيد عن 15.000 نخلة[1]، بالإضافة إلى رعي الماشية في المراعي القريبة من الواحات للتواجد النسبي للأعشاب الفصلية، أما في فصل الصيف كان سكان الأغواط عموما وخاصة من منطقة عين ماضي

[1]-Georges Robert, **Voyage à travers l'Algérie**, **notes et croquis**, imprimerie de Rougier, Paris, 1891, P321.

يتجهون بماشيتهم إلى الهضاب العليا بحثا عن المراعي خاصة بنواحي تيارت بسبب الجفاف وعدم وجود مراعي صالحة للرعي في خذا الفصل[1].

لكن هذا الوضع عرف انقلابا تاما وأصبحت الأغواط عموما محل استهداف مباشر من قبل الإدارة الاستعمارية ليس من الجانب الزراعي بل في اتجاه جديد من الاستغلال يتمثل في البحث عن الموار الباطنية بالأرض، ولكون موقع الأغواط يقع في شمال الصحراء فقد كانت نقطة بداية عمليات استكشاف هذه الموارد الجديدة

1/الجانب الفلاحي:

أولا الزراعة: نشطت أنواع من الزراعات في المنطقة، حتى أصبح اسم الأغواط مقرونا بالبساتين الخضراء والحدائق الغناء، كما اشتهرت سكان منطقة الأغواط بأنظمة السقي التقليدية التي ساهمت في رفد النشاط الفلاحي.

أ)طرق السقي: تتلقى الأغواط مياهها من وادي مزي عبر سد يؤدي بالمياه الى الواحات، وقد انتعشت بعد الاحتلال زراعة البساتين التي بيع معظمها للملاك الذين انتزعت منهم ملكياتهم في الماضي ، كما تحسنت قنوات مياه الشرب في المدينة والسقي في البساتين حسب التقارير الفرنسية، وإن كان الأمير خالد يخالف هذا الرأي في تقريره حول وضع الأغواط.[2]

وقد أقام أهل الأغواط نظاما للري الذي كان من أسباب نشأته وجود وادي مزي كرافد مائي غزير، و هو ينطلق من السفوح الجنوبية لجبال العمور في فيضانات عارمة عند نزول الأمطار الغزيرة إلا أنه يختزن كذلك مياها جوفية تظهر هنا و هناك و خاصة قرب مدينة الأغواط حيث تنبجس

[1]-Corneille Trumelet, **Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864**, études sur les régions sahariennes, Imprimeur topographie Adolphe Jourdab, Alger,1879. P105.

[2]- الأمير خالد، مصدر سابق، ص54. مدني لبتر، مرجع سابق، ص47.

ينابيعه، و يقوم الفلاحون بتجميعها في شبه سد صغير يبنونه من رمال الوادي و جذوع الطرفاء و الديس، و من ثم تتدفق مياهه نحو بساتين الواحة في ساقية كبيرة حتى تصل إلى مفترق توزيع المياه عند مدخل الواحة الشمالية أطلقوا عليه اسم " القسمة " لأن عندها تتفرع المياه إلى ساقيتن كبيرتين تمون الساقية الأولى الجهات الشمالية الغربية، و الغربية و الجنوبية من المدينة و بساتينها و حقولها، بينما تؤدي الساقية الثانية نفس المفعول في الجهات الشمالية الشرقية، و الشرقية و الجنوبية الشرقية بما في ذلك الضايتين القبلية و الغربية و تتمكن المياه من الانسياب بسلاسة ودقة بفضل مهارة و خبرة المنشئين لها لتصل إلى أقصى نقطة فلاحية في المدينة و حتى خارجها، [1] وقد كانت المياه تقسم بدقة وانتظام كبيرين[2]، و نجد أن كل ساقية منها تتفرع إلى فروع لتصل المياه كل بستان و حديقة وفق توقيتات دقيقة منتظمة يحرص الفلاحون على التقيد بها حتى ينال كل واحد منهم " الدور" المخصص له كما كانوا يسمون الشخص المراقب لتوزيع المياه و الأدوار " الوقاف " لوقوفه على هذا الأمر و توقيف أي شخص يحاول تجاوز نصيبه أو التحايل في الحصول على المياه و كان لمجموع " الوقافين" في المدينة رئيس عليهم و يراقب أعمالهم، وكانت الأولوية لملاك الآبار والذين تقع في ممتلكاتهم.[3]

و على غرار " القسمة " الموجودة في شمال المدينة استحدث في مدخل الواحة الجنوبية مجمع للمياه بجوار موقع مدرسة مبارك الميلي حاليا كان يطلق عليه تسمية " السفريج" أي " الصهريج" [4] تتفرع منه سواقي لري الغابة الجنوبية، كما كان السكان يلجؤون إليه لغسل الثياب و الصوف و يتمون منه البدو كذلك بالمياه، كما كان يحدث أيضا بالنسبة " للقسمة" و الجدير ذكره أن السكان كانوا يعتمدون في التموين بمياه الشرب كلية على السواقي، و لم ينقطع التموين من السواقي بالنسبة

[1]- لبتر، مرجع سابق، ص47 .محمد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص230.

[2]- فون مالتسان، مصدر سابق، ج3، ص198.صادقي، مصدر سابق، ص253.

[3]- لبتر ، مرجع سابق، ص49. أنظر أيضا: صادقي، مرجع سابق، ص253.

[4]- Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat dignité fierté pour l' éternité**, IMPRIMERIE Rouighi, laghouat, 2014 , p 47..

لغالبية السكان حتى نهاية الخمسينات من القرن العشرين حيث تدهورت السواقي و تلوثت مياهها بفعل مجاري المياه المستعملة و انتشار استعمال المنظفات الكيميائية الملوثة السامة الأخرى.[1]

ب– أنواع المنتجات الزراعية: مارس الأغواطيون الفلاحة ضمن قطع أرضية يسمونها من الصغيرة إلى الكبيرة : الجنين – الجنان – البحيرة.[2]

لقد كان القصوريون يتعهدون أراضيهم بالسقي المنتظم، ويغرسونها بأشجار مثمرة تختلف في كثير من الأحيان عن تلك المزروعة الشمال، مثل النخيل في جنوب الأطلس الصحراوي، كما كان مناخ هذه المنطقة يسمح لهم بالزراعة البعلية (الزراعة المعتمدة على المطر) للشعير والقمح في أراضي العرش.

الخضر والفواكه: لقد كانت منتجات هذه البساتين تمثل موردا هاما ، وكانت توفر الخضر بكميات معتبرة ، مثل الجزر واللفت والبصل والبطيخ والباذنجال وغيرها ، كما كانت أشجار الفواكه تشكل غابة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، إذ كان الاخضرار يكسوها من الأعلى و كانت والنخيل والمشمش والخوخ والتين والسفرجل و أشجار الرمان ، هذه الأخيرة ، كانت بكميات معتبرة والتي لم يكن فيها أحدا مستثنى في أخذ حصته منها ، وكانت أشجار الكروم تنمو في شكل سلسلة تلتف على الأشجار من واحدة إلى أخرى ، وكان بنو الاغواط يصدرون كميات معتبرة من الهرماس (هو مشمش مجفف تحت أشعة الشمس ويستعمل في غذاء العرب على نطاق واسع) ويسوق في منطقة التل .

أهم الأشجار المثمرة أنواع العنب و الرمان، و المشمش و الخوخ و التفاح، و الإجاص، و البرقوق و هي من الأنواع الأصيلة محليا، و منذ نهاية الأربعينات أخذ الفلاحون يستجلبون أنوعا

[1]– لبتر، مرجع سابق، ص50.

[2]– نفسه، ص51.

أخرى من الشمال و توسعوا في عمليات التطعيم " اللقم" و رغم أهمية ذلك كانت له أثار سلبية حيث جلب معه بعض الأمراض و الآفات التي لم تكن معهودة.[1]

قد حاول الفلاحون استجلاب أنواع لم تكن منتشرة إلا أنها لم تلاق نجاحا كبيرا لعوامل مناخية، كما نذكر من بين أسباب تدهور الفلاحة في هذه الواحة شيخوخة الفلاحين المؤهلين و عدم اهتمام الأجيال الجديدة بهذا النشاط الشاق و غير المجزي ماديا بالنظر إلى غزو المنتجات المستوردة من مناطق الشمال، كما أن تجزئة البساتين على الورثة جعلها غير قابلة للاستغلال و بالتالي مهملة قاعا صفصفا و الكثير منها غزتها المباني.[2]

وقد عدد ترومليي أنواع الفواكه التي تزرع في الأغواط ومن بينها: الكرم والخوخ والرمان والبرقوق واللوز وغيرها، [3]كما أشار بول صوليه أن أراضي الأغواط تزرع فيها الخضر والقمح والشعير.[4]

حيث تمكن مزارعوها من تموين المناطق التلية بكميات كبيرة من الثمار بلغت 450 قنطار جلبت 40000 فرنك وشملت فاكهة المشمش، والخوخ، والتمور المتواجدة بواحات العسافية، والحويطة، وقصر الحيران، وتاجموت، والأغواط بسبب طبيعة التربة والمياه.[5]

النخيل والتمور: بسبب وقوع منطقة الأغواط في مجال مناخي (شبه قاري) وحيز جغرافي مرتفع كانت زراعة النخيل تتأثر بفارق درجة الحرارة، [6]كان السكان يمنحون أكبر اهتمامهم لزراعة

---

[1]- لبتر، مرجع سابق، ص51. مُحَمَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3، ص230.

[2]- لبتر، مرجع سابق، ص51.

[3]- ترومليي، مصدر سابق، ص562.

[4]- Paul soleillet,**l' Afrique Occidental Algerie Mzab Tidikelt**, ed el kaima , algerie.2013 , P33.

[5]- Ibid, p.34.

[6]- كاريت .إ ،**أبحاث حول الجغرافيا والتجارة في الجزائر الجنوبية– الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840.1841.1842. العلوم التاريخية والجغرافية**، تر: حمزة الأمين يحياوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.

النخيل على الرغم من تواضع نوعيته التي كانت اقل جودة ، ولم يكن ممكنا الاحتفاظ بها لوقت طويل مما يعرف في الأغواط بتمور "العولة"، لذلك كان التمر يستعمل في مختلف أنواع الأطعمة، كما كان إنتاجه الوفير من وقت إلى أخر يمنح فرصة للسكان لشراء المقتنيات، ويمنحهم أفضلية تؤهلهم لاستفادة من جلب الصوف والزبدة التي يحتاجونها، كانت الواحة تتوفر على 20.000 نخلة منتجة ، وملقحة ب 500 ذكر ، وقت جني التمر الذي يبدأ في النضج منذ شهر أكتوبر، حيث تكون الأمطار في هذا الفصل مهلكة لمحصول جيد ، إذ كان المثل الشعبي الشائع عند الأهالي يقول« يجب إن تكون أرجل النخلة في الأرض ورأسها إلى الشمس » ،كانت الرياح الشرقية و الشمالية خلال شهر مارس و أفريل في فترة اللقاح مرعبة ، وكانت النخيل التي نمت بفعل الزرع تمثل أحسن الأنواع ، بينما لم تكن المتوسطة منها تعطي سوى فاكهة رديئة ، بل يمكن اعتبارها غير منتجة ، وعندما يوضع الغرس في الأرض ، فيجب العناية به جيدا في السقي اليومي خلال شهر ونصف على الأقل، ثم يتعين سقيه بعد ذلك مرة واحدة كل يومين خلال نفس فترة السقي الأولى ، وبعد ذلك مرة في الأسبوع أثناء فصل الصيف ، و كل 20 يوما في فصل الشتاء ، لان ذلك كان يمثل الشرط الضروري لتكاثر جيد، ويبدأ النخيل في الإنتاج ابتداء من السن 8 إلى 10 سنوات ، لكننا نادرا ما نجده يتجاوز 100 سنة ، ذلك إن إنتاج النخلة بعد هذا السن لا يكون ذا قيمة ، لذلك يتم قطعها لاستعمالها كحطب لسقف المنازل ، ومع إن هذه الجذوع غير جيدة إلا أنها كانت مفيدة لبلد لم يكن يتوفر على موارد بديلة .[1]

تعتبر التمور من بين أهم منتجات واحات الأغواط ، وبمعدل إنتاج يتراوح ما بين 6 إلى 10 كلغ للنخلة الواحدة، و استنادا لهذه الأرقام ،كان يمكن حساب كميات الإنتاج التي تستخلصها الواحة ، ويوجد بالمنطقة أكثر من عشرين نوعا مختلفا، وهي ذات أصول عديدة فبعضها أصله من الأغواط مثل: تادلة (تاهدلت) وهي أحسن الأنواع، وكزيزة، وزرزة، وتبزاووت، وتيمبوكرت، وغرس أمبيتي، في حين أن بعض الأصناف أصلها من توات وقورارة مثل: تيمجوهرت (صنف ممتاز)،

، ج6، ص191.

[1]- Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat dignité**.. , Op.Cit, p138-139.

تادماما ، تين ناصر، أزارة، بينما نجد من أصناف منطقة الزيبان: سبعة بذراع، صبع لوصيف، زريقة، الحلوة، كنته، كسبة، كربوشت، بيض الحمام، دقلة نور التي لم تكن تتوفر إلا بكميات قليلة ، ذلك أنها كانت مطلوبة بكثرة بحكم جودتها وإمكانية تخزينها ، في حين أن التمور ذات الأصل الورقلي هي: عجينة ، والغرس، بينما نجد نوعا من المغرب الأقصى ألا وهو : بوفقوس، [1]وفي ظل النخيل تنمو العديد من الأشجار المثمرة مثل الكرم والخوخ والرمان وشجر العينة(البرقوق) وشجر اللوز والدالية (العنب).[2]

كان شراب اللقمي يستخرج من نسغ النخيل ،وقد كان مشتهى عند العرب ، بينما كان من يأخذ قيمة فاخرة منه يزخرف باحتشام قصور الأوروبيين ، وكان يكفى قطع رأس النخلة للحصول على شراب اللقمي ، مع العناية بوضع شق في القلب ، ثم يوضع الإناء في أسفل مكان التقطير ، حيث يبدأ الشراب في الانسياب ليصل إلى 10 لتر كل صباح ، وكان يمكن الحصول على الكمية المطلوبة خلال شهرين ، شريطة تبريد رأس النخلة كل يوم ، وهذا ما كان يمنع الشق من الانغلاق ومن الجفاف، غير أن هذه العملية إذا استمرت ولم تحظ بالعناية ،فانها ستكون مضرة للنخلة ، بينما إذا كانت محدودة في الزمن ، فإنها تقدم أحسن النتائج ، وتجدد حياة الأشجار المريضة ، وحينما كان يراد قطع انسياب الشراب ، كان يتم غلق قلب الشق بالرمال المبللة ، وكان يمكن استهلاك قلب النخلة في المقابل ، فمذاقه كان يقترب من القسطل أو قل من البطاطا الطازجة .[3]

ثانيا: تربية الحيوانات: اشتهرت منطقة الأغواط بتربية المواشيسواء تعلق الأمر بسكان القصور أو بالقبائل البدوية القاطنة في ضواحيها.

---

[1]_ صيقع أحمد ، **علم الأحياء لكنافات تنوخية شمال الصحراء**، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2013، 112.

[2]_ ترومللي، مصدر سابق، ص 562. ابن الدين الأغواطي، مصدر سابق، ص87.

[3]- كاريت، مصدر سابق، ج6، ص 194-195. الطيب العماري، **النخلة في البيئة الصحراوية قيمة اقتصادية ورمزية سوسيوثقافية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية، ص51.

وقد كانت قبيلة "لرباع" تعيش تحت الخيمة و كانت تربي الماشية التي تصطحبها لترعى صيفا في الهضاب العليا الواقعة في الشمال و القسم الجنوبي للتل نظرا لانتماء منطقة الأغواط، لمناخ شبه صحراوي بنسبة تساقط أمطار قليلة، و تتكون المراعي من أعلاف ذات دورة حياة قصيرة (الشيح، و نبات القندول و الرغل الملحي) تستطيع الضايات الحفاظ على المراعي النادرة للعديد من الأشهر، أثناء 'لعشابة' أظهر 'لارباع' التزاما منتظما بالانتجاع مقارنة بالقبائل الأخرى، غير أنّه مع مرور السنوات تحوّلت المراعي القديمة إلى حقول للحبوب ممّا أدّى إلى تقليص مناطق الكلأ ، و قد دفع تراجع عدد القطعان بسبب الجفاف و المرض بعض البدو الرحّل إلى الاستقرار في مكان واحد (حي 'قصر الفروج' بجنوب مدينة الأغواط)، أما فيما يخصّ الماء، فقد تمّ حفر الكثير من الآبار فكفى ذلك عددا كبيرا من القطعان كذلك، ، إنّ تربية الخروف ثروة لا يضمن بقائها سوى حياة البدو و التي إن تخلى عنها المرء فسيتعرض لمخاطر اقتصادية و اجتماعية رغم أنّ البعض رأى في حياة الترحال شكلا من الأشكال التي عفا عنها الزمن و من الضروري وضع حدّ لها، واجه بدو 'لارباع' أزمة نمو وضعت أسس وحدتهم القبلية على المحك.[1]

ثالثا الصناعة: لقد كانت الصناعات التقليدية منتشرة في القصور في شوارع وأحياء كثيرة كالحدادين وباعة الأسلحة وتجار المصوغ من يهود والصباغين والنجارين.

إن كون منطقة الأغواط منذ نشأتها الأولى كمركز حضاري واقع في قلب السهوب و قائم في أرض فلاحية جعلها تجمع ما بين الحضارة و البداوة، و بالنظر إلى أن الإنسان منذ القدم يسعى إلى التلاؤم و التكيف و التفاعل مع بيئته أخذا وعطاء يستمد منها المواد الأولية يصوغها وفق أشكال هندسية و فنية ليحقق بها أعراضا علمية، و يعبر بها عن مشاعره الإنسانية و تطلعاته الفنية و الروحانية فسكان مدينة الأغواط بالطبع لا يخرجون عن هذه القاعدة الحضارية، إذ نجدهم في مختلف

[1]- مُحَمَّد سويدي، مرجع سابق، ص169 وما بعدها.

إنتاجهم و مصنوعاتهم الأصلية يعتمدون في الأساس على الخامات المحلية التي توفرها لهم بيئتهم و أرضهم، سواء تعلق الأمر بالمواد الفلاحية أو الحيوانية فقد كانت أشجارهم و نخيلهم تمدهم بخامات يصنعونها لسد حاجاتهم في أشكال و أدوات متنوعة، فمنها يصنعون سقوف البيوت و ألواح الأبواب و معدات النسيج كأجزاء الأنوال (المناسج) على اختلافها و أدوات الفلاحة، ومن جريد النخل يصنعون مكانسهم وأسرتهم التي يطلقون عليها "السدة" ومن سعفها تصنع الحصر والحقائب اليدوية والقفاف وأغطية الرأس " المظل" والمروحيات اليدوية، ومن ليفها يصنعون الحبال وأدوات التنظيف، كما يستعملون عراجينها لصناعة السلال والأطباق [1]، كما كانت تربة أرضهم و حجارتها تمدهم بالخدمات الأولية لصناعة قوالب البناء و الآجر و لصناعة الجبس و الجير بواسطة أفران كانت مقامة على أطراف المدينة، أما الحيوانات التي تحفل بها السهوب المحيطة فتوفر لهم خامات الصناعات الجلدية و النسيجية المختلفة، و أما الصناعات المعدنية فإن موادها الأولية تجلب من مناطق توفرها لصناعة المواد الحديدية و النحاسية و الحلي.[2]

2/ أنواع الصناعات في المنطقة:

أولا **المنسوجات:** ومن أهمها البرانيس التي تصنع من الصوف أو الوبر، كما أن أنواعا منها تجمع ما بين الصوف و الحرير أو من الحرير فقط و هو ما يسمى (البرنوس الجريدي) بتشكيلات مختلفة تتفنن فيها النساجة الأغواطية، و كذلك القندورة التي تصنع من نفس الخامات، و هناك القشابية (الجلابة) التي تصنع من الصوف غالبا، و يخص الأطفال بألبسة مزركشة كانت تدعى الزقدونة أو الزرقوطة، وكانت رائجة وتستبدل بالحبوب في أسواق التل.[3]

[1]- كاريت، مصدر سابق، ج6، ص195.

[2]-لبتر، مرجع سابق، ص59. صادقي، مرجع سابق، ص253.

[3]- لبتر، مرجع سابق، ص60 .صادقي، مرجع سابق، ص271.

ومن المنسوجات المنزلية التي اشتهرت بها الأغواط : **الحائك:** الذي يستعمل كفراش أو غطاء و يكون عادة مخططا بالألوان و مرصعا ببعض الأشكال أحيانا، و **الجربي:** و هو نوع شبيه بالسابق من حيث الحجم و لكن يختلف عنه بكثرة الزخارف و الأشكال و أكثر رقيا و فنية و سعرا، وهو من أصل تونسي نسبة إلى جزيرة جربة،حيث تم استقدام حرفيين من تونس ، وقد تخصص هؤلاء في حرفة الطلاء الضروري للجربي ، وتعتبر صناعة النسيج(الجربي) واحدة من الصناعات الرئيسية الأكثر شهرة لبني الاغواط وهي الأغطية التي كانت تحيكها النساء والتي أخذت صناعتها انتعاشا جيدا،[1] **والزرابي:** و هي متنوعة و قد أبدعت أنامل النساجات الأغواطيات في هذا المجال و أظهرن براعة مشهودة في إنتاج الزرابي المرقومة أي المزينة بالأشكال و الصور المختلفة ذات الدلالات و الرموز الموحية في حاجة إلى دراسة تكشف عن أسرارها و رموزها، [2] وقد قدم حرفيون من جبل عمور لأجل حياكة السجاد المصنوع بالصوف ، والذي كان يحظى بطلب كبير ، وكذا الجلال (وهي أغطية الأحصنة) ، و هناك أنوع أخرى من المنسوجات الأقل حجما من مخدرات و حقائب.[3]

ثانيا: الصناعات المعدنية: أهم ما يذكر منها الحدادة التقليدية التي كانت تسد معظم حاجيات أهل المدينة و بواديها من الأدوات المختلفة سواء للاستعمال المنزلي كالسكاكين و السواطير أو للاستعمال الفلاحي بمختلف أصنافها أو الاستعمالات الحرفية و الصناعية الأخرى كأدوات النسيج و غيرها

و قد كانت بالأغواط إلى عهد قريب عدة ورش للحدادة تعمل بطرق و وسائل تقليدية قبل ظهور الحدادين المعاصرين المعتمدين على الكهرباء و أدواتها و إنجاز مصنوعاتهم المختلفة عن

[1]- دبوز، مصدر سابق، ج3، ص234. لبتر، مرجع سابق، ص 60.

[2]- لبتر، مرجع سابق، ص60.

[3]- نفسه، ص60. صادقي، مرجع سابق، ص272.

المصنوعات الحرفية القديمة، كما نذكر أن بعض الصانعين امتهنوا صناعة بعض الأسلحة و إصلاحها بصفة أخص.[1]

ثالثا **الخياطة:** و قد كانت قبل انتشار الملابس الجاهزة حرفة رائجة لكثرة الطلب عليها سواء لخياطة الثياب المنسوجة يدويا أو المنسوجة صناعيا فقد كانت الشوارع و الرواقات تعج بدكاكين الخياطين الذين كانوا ذوي مهارة في تفصيل الملابس التقليدية المختلفة، و فيهم من مهر بعد الاحتلال الفرنسي في التفصيل و الخياطة وفق الطرز الأوربية، و لم يبق من هؤلاء إلا نفر قليل.[2]

رابعا **الصناعات الجلدية:** توارث الأغواطيون و إلى عهد قريب عدة صناعات في المجال نذكر منها:

-صناعة الأحذية للرجال و النساء منها ما كان يسمى الريحية و الصباط و النعالة و البلغة و الصنديلة و التزمة (الجزمة) و التماق و البست (جورب جلدي للفرسان)، والجبيرة (محفظة الفارس) والتزدام (حافظة الأوراق النقدية) و كانت تصنع بكفيات و مستويات مختلفة.

-صناعة المجبود أي الجلد المطرز بالخيوط الذهبية و الفضية، و غالبا ما يستخدم في غطاء السروج و في علب البارود (العبار) و محافظ النقود و غيرها من تلك الصناعات الرفيعة التي اندثرت مع الأسف منذ أواخر الخمسينات، بعد أن كان بالأغواط شارع هام يسمى زقاق الشراكة (صناع المنتوجات الجلدية)، وكانت المدينة تتوفر على مصنع جلود، وهو معد لإنتاج الفيلالي(نوع من الجلد) الذي كانت جودته تضاهي وتنافس مثيله في المغرب الأقصى .[3]

[1]- لبتر، مرجع سابق، ص60-61.

[2]- المرجع نفسه، ص61.

[3]- لبتر، مرجع سابق، ص 61. صادقي، مرجع سابق، ص273.

خامسا صناعات أخرى: وقد تم من جانب أخر استقدام مختلف الحرفيين من مناطق متعددة مثل العمور والجزائر العاصمة، وقد أنشأ سكان ميزاب بالمقابل صناعة خزفية إضافة إلى النسيج، وقد كانت مرغوبة على نطاق واسع، أما اليهود الذين سكنوا الاغواط قبل الاحتلال فقد احتكروا صناعة الجلود والمعادن الثمينة وصناعة الفتائل المزخرفة بالذهب والفضة [1]، ولكن فون مالتسان ذكر في رحلته إلى الأغواط وجود صائغ عربي يحترف صناعة مختلف أنواع الزينة الفضية والنحاسية.[2]

ولكون المنطقة تتوفر على الملح في جبل عمور [3]، يقوم سكان المنطقة بصناعة البارود؛ حيث يجمعون التراب من الأرض أو من الملاط في القرى المهدمة ، هذا التراب في الأصل يتكون من مادة مالحة يوضع في صحن ويصب عليه الماء، ثم يغلى ذلك الماء ثم يؤخذ رطل منه ويخلط مع أربعة أرطال من الكبريت و أربعة أرطال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى، هذه العناصر المختلفة تخلط جميعا في غضون أربعة ساعات فتصير بارودا[4].

3/ التجارة الداخلية والخارجية لمدينة الأغواط:

عُرفت مدينة الأغواط على المستوى الداخلي بأسواقها النشيطة وحركتها الدؤوبة، ودخول مختلف السلع إليها ووفود المسافرين إليها في كل الأوقات وهو ما أكدته المبشر: "وأنّ البيع والشراء بأسواقها لا ينقطع والتجار و الخطار (المسافرون) لا يخلون من الطرق بكل ناحية ليلا ونهارا"[5]

---

[1]-Hirts George,Op.Cit , p137. Eugène Fromentin,Op.Cit, p 136
.أنظر أيضا: فون مالتسان، مصدر سابق، ج3، ص203. صادقي، مرجع سابق، ص241.

[2]- فون مالتسان، مصدر سابق، ج3، ص204.

[3]- الأغواطي، مصدر سابق ، ص 88

[4]- نفسه، ص 90-91. كاريت، مصدر سابق، ج6، ص198.

[5] - المبشر، ع 7، 15 ديسمبر1847، ص 1.

أشار فيرومنتين إلى الأنشطة التجارية في الأغواط أثناء رحلته فذكر لنا؛ بأنها تتوفر على شارع وحيد للباعة، حيث تفتح به دكاكين صغيرة لبيع الألبسة ولوازم الخياطة، والقماش ومحلات الخياطة يفتحها ميزابيون وورشات صغيرة يمارس فيها اليهود حرفة الحدادة وصناعة الحلي الفضية وهناك سوقان للأحلاف وآخر لأولاد سرقين لبيع الأغنام، الماعز، الدجاج، مختلف المنتجات الفلاحية والحاجيات الضرورية للسكان، كما أن حمام ابن سالم يكتسي طابعا تجاريا هاما يقصده الناس للاستحمام خاصة في المناسبات[1].

كما ذكر مالتسان بأنها كانت تحوي حوانيت عربية تباع فيها الحناء والكحل والتوابل ودكاكين تباع فيها الأقمشة وتعود ملكيتها لبني ميزاب، إضافة إلى دكاكين لإسكافيين جزائريين ومحلات حلاقة إضافة إلى مقهى فرنسي، وفنادق ودكان صغير للصباغة يملكها جزائري إضافة إلى المقاهي العربية التي ينطلق منها صوت الناي والطبل ليلا ونهارا.[2]

وقد جاء في بعض الرحلات من خلال تقرير للغرفة التجارية للجزائر سنة 1874 بأن الاغواط ،كانت بها مستودعات للرصاص والغذاء، فسكانها كانوا يمارسون تجارة المواد الغذائية وبعض المشروبات والتمر وتجارة البقالة واللحوم، فهي منطقة عبور للمغرب والسودان، حيث كانت التجارة تتم مع المغرب وورقلة ووهران وأنها منطقة مميزة رغم وجود الكثبان الرملية ، بها طريق جيد لا يستغرق أسبوع للوصل إلى العاصمة[3].

أما على المستوى الخارجي فقد ظلت القوافل التجارية تجوب المنطقة الممتدة بين الأغواط والتل من جهة والأغواط والصحراء من جهة ثانية وذلك لاقتناء ما تحتاجه عروش المنطقة (الأرباع،

---

[4] 137. Fromentin, op cit, p

[2]- فون مالتسان، 203-204. عن التجار الميزابيين الأوائل في مدينة الأغواط أنظر:

Kazi Hadj Mahmoud , **Laghouat et ses merveilles**.., Op.Cit, p 555-556.

[3]. Paul soleillet ,**Voyage de Paul Solleillet**, op. cit, P.33-34

الحرازلية، سيدي عطاالله، الأغواطيون) من حبوب (بر وشعير) ومختلف الأمتعة من غير الحبوب في جهة التل، ويسوقون بضاعتهم سواء المنتجة محليا أو المستوردة من جنوب الصحراء والمتمثلة عموما في التمر والصوف والملابس الصوفية المنتجة بقصورهم وريش النعام وبيضه... وتتم عملية التبادل التجاري بالمقايضة أو نقدا أي الصوف مقابل الحبوب أو مواد أخرى، [1] وتؤكد هذه المبادلات التجارية النظرية القائلة أن هذه القبائل لا يمكن لها العيش بدون التل، ومن يسيطر على التل بإمكانه السيطرة على الصحراء الصغرى.

فمن قبائل منطقة الأغواط التي كانت تمارس تجارة القوافل الفصلية، قبيلة الأرباع بكل فروعها القديمة والحديثة، حيث كان مركزهم منطقة الأغواط، ويستعملون قصورها (الأغواط، الحويطة، العسافية، قصر الحيران، تاجموت، تاجرونة، عين ماضي) وقصور وادي ميزاب (القرارة وبريان وغرداية) وقصور جبل العمور (الغيشة وتاويالة) كمراكز للتخزين، ومحطات للراحة، ويتعاملون مع أسواق بسكرة وتقرت وتماسين وورقلة ووادي ميزاب جنوبا وأسواق الغرب وصولا إلى تيارت و ثنية الحد وتيسمسيلت (أولاد عياد وجندل ومشرة) في الشمال الغربي، وهم ينطلقون إلى الشمال في الربيع ويعودون إلى الجنوب في الخريف، ويتاجرون في الحبوب والتمور ومشتقات الحليب والأقمشة والأسلحة.[2]

بينما كان مخاليف الصحراء (الجرب)ينصبون خيامهم في ضواحي بريان ويرتحلون طيلة السنة ويتاجرون في الكمأ والنبق(ثمر السدر) والخضيري (أو الخثيري ثمر البطم) [3] في حين أن إخوانهم أولاد عيدة (مخاليف لزرق) كانوا يبيعون مشتقات الحليب والخشب وتغيير العملة، أما أولاد يعقوب زرارة

[1]- المبشر، ع 30، 30 نوفمبر1848، ص 3. كاريت، مصدر سابق، ج6، ص162-163.
[2]- كاريت، مصدر سابق، ج6، ص240-241. أنظر الملحق رقم: 03.
[3]- كاريت، مصدر سابق، ج6، ص231.

فهم يتمركزون في الحويطة وجبل العمور ويتعاملون مع أسواق الغرب الجزائري ووادي ميزاب عبر وادي زرقون، ويتاجرون في الحبوب والتمور والألبسة.

أما بقية قبائل عمور فقد كانت تنتهج نفس النهج من التجارة وتقدم على أسواق الأغواط وقصورها (مثل أولاد ميمون، والعجالات وأولاد سيد الناصر، وكذلك الأحرار وأولاد سيدي عيسى الغرابة- شمالي العمور-) حيث تطرق أسواق ميزاب وتقرت وحد الصحاري، وهذه القبائل تتاجر في منتجات المغرب الأقصى والمنتجات الأوربية والأسلحة والحبوب والعبيد والسجاد و الخيول والإبل.[1]

وهناك من القبائل الصحراوية من تتخذ من قصور الأغواط محطات ومراكز تخزين وأسواق مثل: قبيلة سعيد عتبة من ورقلة، والشعانبة من متليلي، وهم يتاجرون في منتجات الصحراء، [2] أما قبائل القرارة فتتاجر في الأصواف والأغنام والحبوب، أما أولا عيسى (النوايل) فيتاجرون في الخيول والأسلحة والألبسة الصوفية والحبوب والتمور، في حين تقدم قبائل بوسعادة بالزيوت والأواني وخشب البنادق والقطران،[3] وقد كان باعة زواوة يطرقون المنطقة بصناعتهم التقليدية الفضية والخشبية إضافة إلى زيت الزيتون والعسل والفواكه المجففة.[4]

وقد أوردت جريدة المبشر بعض الأخبار عن هذه العمليات التجارية مثل:" إن الأسواق عامرة بالبر ولا زالت الأعراش القبلية تتسوق إليهم غاية وتبدل أرزاقها معهم مثل الصوف وريش النعام وبيضه وغير ذلك ومنذ سنتين لم يشاهدوا مبلغ عدد الصوف التي أتوا بها الأعراش المذكورة ..."[5]، و" ...قدمت قوافل من أولاد سيدي عطاالله لكيل الحبوب وبأيديهم بضائع بلادهم كالتمر والبراش وريش

[1]- كاريت: المصدر السابق، ج6، ص240-242.
[2]- نفسه، ج6، ص218.
[3]- نفسه، ج6، ص228-231، 234-235.
[4]- نفسه، ج3، ص385.
[5]- المبشر، ع 27، 15 أكتوبر 1848، ص 2.

النعام ونحو ذلك..." [1] وأيضا" ورد عرش الحرازلية والأرباع وأولاد سيدي عطاالله إلى عمالة المدية ...بقصد اكتيال الحبوب وبيعها في بلادهم ، وقد أتو بكثير من التمر وكسوة الصوف المصنوعة بقصورهم..."[2].

إن قدوم تجار منطقة الأغواط بمختلف أعراشها إلى التل أحدث حيوية وزيادة في النشاط التجاري سواء كانوا بمعية السلطة المحلية (خليفة الأغواط) أو لوحدهم ويعود بالفائدة على سكان المنطقة وحتى التجار الفرنسيين، وفي ذلك جاء في المبشر: " وبورودهم ازدادت التجارة والمعاملة بين أهل الصحراء وأهل التل..." [3]، و" ...ولا شك أن التجار الفرنساوية تحصل لهم هناك منافع جزيلة...."[4].

وقد أوردت جريدة المبشر أخبارا عن ظاهرة تعرض قوافل منطقة الأغواط للإغارة والسرقة بعد اكتيالهم الحبوب من التل، ونفس الفعل مارسته بعض عروش الأغواط مع القوافل التجارية والمدن مثل القرارة والزيبان وتقرت [5] وهذا الفعل مرده للكثافة والحاجة التي أصابت معظم مناطق الجزائر نتيجة السياسة الفرنسية المنتهجة.

المبحث الثاني: منطقة الأغواط في المشروع الاقتصادي الكولونيالي:

شهدت منطقة الأغواط مثل مناطق أخرى هزات وتحولات أحادية التوجه والمنفعة تصب في المشروع الاستعماري ، من خلال السياسات الاقتصادية التي كيفتها السلطات الاستعمارية مع إمكانيات ومقدرات المنطقة ، فالمشاريع التي أقامتها والدراسات التي قامت بها بغرض الاستفادة

[1]- المبشر، ع 37، 15 مارس 1849، ص 3.
[2] - نفسه، ع 95، 16 أوت 1851، ص 3.
[3] - نفسه، ع 49، 15 سبتمبر1849، ص 2.
[4] - نفسه، ع 95، 16 أوت 1851، ص 3.
[5] - نفسه، ع 9، 15 جانفي 1848، ص 2. المبشر، ع 86، 31 مارس 1851، ص 3.

القصوى من تلك المقدرات جعلتها تقتنع بأنه لا مناص سوى بتفعيل دور رجال الحكومة العامة بالجزائر من إداريين، موظفين، متخصصين في الحقل الاقتصادي.

فمنذ احتلال منطقة الأغواط وسقوطها في يد القوات الغازية 1852، اتضح للهيئات والسلطات الاستعمارية الأهمية التي تكتسيها هذه الأخيرة فلم تمر عشرية من الزمن حتى ظهرت بشكل أوضح في الكتابات الأجنبية من خلال الضباط العسكريين الذين يمثلون المدرسة التاريخية العسكرية، وفي التقارير الحكومية، وفي مداخلات ومحاضرات المتخصصين في الشؤون الاقتصادية في كل مراحل الحكم الفرنسي عسكريا كان أو مدنيا.

ولعل أبرز ما كتب عن المنطقة في المصادر الأجنبية هو قدرات الإقليم الرعوية بسبب موقعها الوسطي بين منطقة السهوب وأطراف الصحراء، فدراسات المفتش البيطري بالحكومة العامة السيد (ترويت) الميدانية في المنطقة أهلتها لأن تتبنى مشروعا رائدا كانت له إفرازاته الإيجابية على السلطات الاستعمارية من جهة، واستفادة تكاد تكون نسبية فقط للأهالي الذين تدربوا على الأساليب الحديثة التي أوصى بها هذا الأخير.

لم تكن السياسة الاقتصادية التي اتبعتها السلطات الاستعمارية الفرنسية في منطقة الأغواط مختلفة عما كانت تتبعه في بقية مناطق القطر الجزائري، وهي سياسة قائمة على أساس استثمار واحتكار كل ما هو مفيد لديمومة اقتصاديات الوطن الأم والاقتصاد الاستعماري في الجزائر، ومن هذا المنطلق، اتبعت تلك السلطات شتى السبل والاجراءات لتحقيق ما كانت تصبو إليه على حساب حقوق أصحاب الأرض، ولم تتوان السلطات الاستعمارية في تغيير أنماط النشاط الاقتصادي في المنطقة ، ووضعت أنفها ، إن صح التعبير، في مختلف النشاطات الاقتصادية التي ينفرد بها الإقليم محل الدراسة ألا وهو منطقة الأغواط وفي مقدمتها النشاط الرعوي وتربية الماشية ، و كل ما يرتبط بحياة المجتمع الأغواطي فضلا عن سياستها المالية التي كرستها في توجيه مسارات الاستثمار لصالح مشروعها الاقتصادي.

1/ **السياسات الاستعمارية في الجانب العمراني:** أشارت المصادر الأجنبية بأنه عند وصول بيليسسيه (PELLISSIER) إلى الأغواط كان طول المدينة 2000م، وبها 700 منزل مصنوعة من الطوب أبوابها قصيرة وأبرز منازلها قصر بن سالم الذي يعد بمثابة شبه قلعة بلغت مساحة حدائقها 1200 هكتار، أما اتساعها العرضي يبلغ ثلاثة آلاف متر وعدد سكانها 4000 نسمة.

لقد تحدث جل الرحالة بشكل مفصل عن الجانب العمراني للأغواط، فأتوا على ذكر أشكال البناء الذي يختلف من قرية إلى قرية، وطبيعة المادة المستخدمة في البناء وألوانها، فقد ذكر فرومونتان أنه وبالنسبة للوجه الخارجي لقرى وبلدات المدينة كلها محاطة بالأسوار لتحصينها، كما يذكر أنه يحيط بالأغواط سور مثلث ذو شرفات بها ثقوب تطلق منها القذائف وبرجان أحدهما في الشرق والآخر في الغرب[1] ، ونفس الشيء أتى على ذكره بول صولييه حين قال أن مدينة الاغواط كبيرة محاطة بسور وحولها تحصينات، لها أربعة ابواب وهي جميلة الشكل [2]، بالنسبة لتجموت يحيط بها أيضا سور معزز بأبراج صغيرة بها فتحات صغيرة تطلق منها القذائف، أما عين ماضي فتتميز أسوارها بالصلابة مزودة بشرفات وبها مدخلان باب صغير وآخر كبير [3]، وقد وصف بول صوليه مباني مدينة الاغواط وقال بأنها جميلة من أسوارها وفنادقها ومكاتبها ودكاكينها ومستشفياتها[4].

بعد الاحتلال الفرنسي للأغواط سنة 1852 قررت الإدارة الفرنسية جعل الأغواط مدينة عسكرية طبقا لمرسوم مارس 1871 القاضي بتقسيم الجزائر إلى منطقتين، شمالية : مدنية، جنوبية :

---

[1] 134. Eugène Fromentin, Op.cit, p

[2] Paul soleillet , L'Afrique-Occidentale, P13-14 .

[3] 137. Eugène Fromentin, Op.Cit, p

[4] 10- Paul soleillet , L'Afrique-Occidentale , P

عسكرية، لذلك اتخذت الأغواط كقاعدة عسكرية من أجل احتلال الجنوب الجزائري، وهذا ما جعلها تكون مدينة عسكرية بامتياز[1]، وقد تمثلت أبرز نقاط المشروع العمراني فيما يلي :

- إزالة أنقاض الأبراج المنهارة واستبدالها ببناء حصنين ضخمين مكانهما وهما حصن بوسكارين 1857 fort Boscaren وحصن موران 1856 fort Morand.
- إزالة الأسوار القديمة وإقامة أسوار جديدة أكثر اتساعا.
- إنشاء ثكنة عسكرية على مشارف المدينة .
- توسيع الشوارع حتى بلغت خمسة أمتار.
- فتح شارع كاسيين **Cassaigne** علىالواحة الشمالية.
- شق طريقين عريضين داخل العابة الشمالية والغابة الجنوبية : المقطع الظهراوي، المقطع الجنوبي.
- بناء النواة الأوروبية، حيث كان يتميز النسيج الجديد باتساع الطرقات وتعامدها واحتوائها على ساحات نذكر منها ساحة ديباراي، وساحة روندون، وساحة النجمة.

نشأ المركز الأوربي في الأغواط بشكل منظم وبنمط موحد حيث يتكون هذا النمط من بنايات ذات طابع أوروبي يصل ارتفاعها إلى طابقين على الأكثر، سواء كانت مخصصة للسكن أو للإدارة حيث تكون المساحة المبنية متوازية ومتراصة على طول الطريق وتخضع إلى تخطيط شطرنجي.

وقد قامالفرنسيون بهدم مباني الأغواط وأسوارها، ثم أعادوا من جديد بناء سور حجري ضخم استمر إنجازه عدة سنوات وسخر سكان المدينة للعمل به [2]، تميزت الأسوار الفرنسية بشكلها المنتظم وكانت تحتوي على مزاغل (فتحات لإطلاق النار)، بنيت بواسطة الحجر ويبلغ ارتفاعها حوالي خمسة

[1] – شتيح عز الدين، **إعادة توظيف المعالم التاريخيةبناء الأمس \وظيفة اليوم**، مذكرة ماجيستير، قسم الهندسة المعمارية والعمران، جامعة قسنطينة، 2011، ص 161.

[2] – مداني لبتر، مرجع سابق، ص 80.

أمتار، وبعد الاستعمار وبسبب التوسعات وقد تم إزالة بعض الأجزاء من الأسوار وخاصة الجانب الشمالي والشمالي الغربي، والغربي ولم يبق إلا بعض الأجزاء الواقعة في الجانب الجنوبي.[1]

إضافة إلى البوابات القديمة التي قام الاحتلال الفرنسي بتجديدها، أضاف عليها ثلاثة أبواب أخرى خاصة بالجهة الشمالية ليصبح عددها سبعة أبواب ،[2]وقدقام بانجاز هذا الأبواب السبعة ثلاثة من أكبر حدادين في الأغواط وهم : بوشريط قويدر (المعروف باسم قويدر الحداد)، خشني تيتي، خليفي يوسف،[3]وهذه الأبواب هي :

-**باب الدزاير** : 1859 ويقع في منتصف الصور الشمالي وسمي بذلك لأنه يؤدي إلى الجزائر، وتتألف البوابة من:

-جناحين جانبيين للمراقبة، حيث يحتوي كل مبنى على ثلاثة أبواب صغيرة على شكل أقواس نصف دائرية.

-الجزء المركزي هو عبارة عن بوابة على شكل قوس نصف دائري بنيت من الحجر الصقيل وطابعها المعماري مماثل للبوابة الشرقية[4].

- **باب النبكة** : يقع في الجهة الجنوبية الشرقية للمدينة، وقد تم بناءه في نفس مكان الباب القديم ثم بعد الاستقلال تم هدمه بسبب التوسعات.

- **باب الربط** : أدمجت هذه البوابة في السور الجنوبي للمدينة وهي عبارة عن قوس على شكل عروة سلة مبني بالحجارة، يعلو البوابة برجان للمراقبة مع ممر يربط البرجين الصغيرين بحصن بوسكارين

[1]-شتيح عز الدين، مرجع سابق، ص 161.

[2]- نفسه، ص 161.

[3]cit , p 93..Kazi Hadj Mahmoud,op.

[4]ibid, p 94..

على امتداد السور الجنوبي، وأخذت هذه البوابة اسمها من خلال دورها فهي تربط بين الواحات الشمالية والواحات الجنوبية وهو لا يزال على حاله لحد الساعة .

- **باب الواد (الباب الشرقي)** : تم بناءه سنة 1859 يقع في الجهة الشرقية للمدينة وبني على أنقاض الباب القديم وهو يطل على واد مزي، الباب عبارة عن قوس نصف دائري توج أعلاه بكورنيش وهو مبني من الحجر الصقيل، يتكون الباب من عمودين مربعين من الحجارة المصقولة يحملان عقد نصف دائري، قطره 3.20 م وتلتقي الحجارة المكونة للعقد على مستوى مفتاح القوس حيث كتب تاريخ بناء الباب، ويعلو العقد إفريز وهو شريط ناتئ من الحجارة به نحت زخرفي على شكل سيور، وعلى جانبي الباب يوجد ما تبقى من السور القديم الذي تتخلله فتحات واسعة من الجهة الداخلية للسور وضيقة جهة الخارج وقد جعلت للترصد وإخراج مواسير البنادق عند اللزوم، كما توجد على أعمدة الباب حوامل حديدية كانا مصراعا الباب الخشبية مثبتة بها.

- **باب الشطيط** : يم بناؤه على أنقاض الباب القديم وهو يقع في الجهة الجنوبية حيث يطل على الواحة الجنوبية.

- **باب الجدارمية أو العسة** : يقع في الجهة الشمالية الشرقية للمدينة، وقد أخذ اسمه هذا لوقوعه بالقرب من السجن الذي كان يقع على طرف أسوار المدينة.

- **باب عين ماضي (باب الحراق)** : يقع في الزاوية الغربية للأسوار واستمد اسمه من الطريق التي يفضي إليها، والتي تؤدي إلى قصر عين ماضي أما التسمية الثانية (الحراق) ويقصد بها القطيع من الغنم والماعز الذي كان يخرج من هذا الباب ليرعى.[1]

[1]- شتيح عز الدين، مرجع سابق، ص162

ونظرا لأهمية مدينة الأغواط وطابعها العسكري، فقد بنى المستعمر حصنين شيدهما على أنقاض البرجين القديمين للقصر وهما :

– برج موراند Fort Morand 1856 سمي بحصن **موران** نسبة إلى اسم القائد الفرنسي الذي لقي حتفه على أيدي المقاومة إبان الهجوم على الأغواط، الحصن هو عبارة عن قلعة صغيرة يتكون من قبو وطابقين وسطح، الحصن مزود بأدراج مراقبة في زواياه الأربعة ومزاغل (فتحات لإطلاق النار) في جدرانه الخارجية،ويبرز في الجهة الشمالية سطح مثلث الشكل يتم الوصول إليه بواسطة درجات ، وبأسفله اتخذ شكل قبو مقسم إلى ثلاثة أجزاء كان يستعمل كخزان للماء [1] .

في الجهة الشمالية هناك سطح على شكل مثلث توضع عليه المدافع، وهناك أيضا القبو المقسم إلى ثلاثة أجزاء يستعمل كخزان للمياه، أما الآن فيستعمل **حصن موراند** كمنصة لهوائيات الإذاعة المحلية ومتعامل الهاتف النقال.[2]

–برج بوسكارين1857 : يعتبر **البرج الغربي** من أحصن القلاع وأحسنها موقعا، حتى إن أول جنرال فرنسي قتل من أعالي هذا البرج، وسمي باسمه **برج بوسكارين**، الذي أصيب برصاصة في فخذه فوق الركبة، ولم ينج من البتر فتوفي متأثرا بإصابته[3] ودفن في البرج.

بعد احتلال الاغواط كان البرج الغربي ضحية التعمير الاستعماري فهدم ضمن معالم أخرى وبني على أنقاضه البرج الحالي وذلك سنة 1857 كما هو منحوت على صفيحة حجرية بمدخل

[1]– حملاوي علي، **نماذج من قصور منطقة الأغواط دراسة تاريخية وأثرية** ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006ص 123.

[2]. شتيح عز الدين، مرجع سابق، ص 163.

[3]– Général Dubarail, op.cit, p 185.

القلعة[1]. يقع البرج الغربي في الجهة الغربية من مدينة الأغواط على قمة **جبل تيزقرارين tizi grarine** والتي تعني أطول جبل، وهي تقسم مدينة الأغواط إلى قسمين (الواحات الشمالية/ الواحات الجنوبية)[2] يحده من كل الجهات الثلاث سفح الجبل بينما يحده جهة الغرب الممر الموجود فوق باب الربط بحي الغربية، وهذا الموقع الهام يسمح بمراقبة المدينة، عرف الحصن عدة تغيرات في وظائفه فاستعمل كثكنة عسكرية، وبعد ذلك كمستشفى عسكري، ثم مقرا لشركة البناء الوطنية (D.N.C)[3].

يمكن الوصول إلى الحصن عبر طريق متعرج مخصص للسيارات وسلالم مخصصة للمشاة، يتميز الحصن بطابعه التحصيني الدفاعي وبضخامة هيكله وسيطرته على البيئة المحيطة به فهو مكون من أربعة أجنحة حول فناء يحتوي على بئر تجمع مياه الأمطار فيه. في الجهة الغربية هناك خزان للمياه يمد جزءا كبيرا من المدينة بالمياه، وإلى جانبه النفق الذي يربط الحصن بأسوار وأبواب المدينة القديمة، كما يحوي الحصن ضريح الجنرال بوسكارين الذي قتل هناك أثناء اجتياح القوات الفرنسية للأغواط سنة 1852 والذي يحمل اسمه لحد الآن، كما يتميز حصن بوسكارين بـ :

- موقعه الاستراتيجي في المركز التاريخي لمدينة الأغواط.
- عمارته التي تتميز بالتنوع والضخامة .
- وجوده على أحدى قمم جبل تيزيقرارين حيث يمكن أن يرى من خلاله جميع أنحاء المدينة.
- المساحة الواسعة التي يمكن أن تستوعب وظائف عامة ومتعددة.

[1]- Mangin… p 359, 1894 , v 38, r. a,

[2]- kazi Hadj Mahmoud, op.cit, p 153.

[3] - شتيح عز الدين، مرجع سابق، ص 179.

- فضول السكان وضيوف الأغواط، وحتى السياح لزيارة هذا المعلم التاريخي (فائدة سياحية).

ويتكون الحصن من طابقين وأربعة أجنحة يتوسطها صحن، ويوجد في الجهة الغربية منه ضريح **بوسكارين**، وتضم الأجنحة مجموعة من الغرف كانت مخصصة لخزن العتاد ومنها ما هو للسكن، رسمت على جدران إحدى غرفها لوحات زيتية تمثل مناظر لقصر الأغواط زودت الجهة الجنوبية من الحصن بسور فتحت به مزاغل وثقب للترصد والمراقبة، ودعم الجناح الشرقي بأربعة أبراج، وقد بني الحصن أساسا من الحجر والجير بالنسبة للجدران الحاملة التي بنيت بنظام، حيث يتم تشييد البناء بالتناوب بين قطع الحجر واحدة في وضع والأخرى في وضع، أما بالنسبة للقناطر والأقواس والجدران البينية فبنيت أساسا من الأجر، أما الأسقف فقد بنيت على شكل قبيبات من الأجر والعوارض الحديدية، أما بالنسبة للأفاريز فبنيت باستخدام الأجر والقرميد [1].

2/ في مجال الطرق: لم يكن اهتمام السلطات الاستعمارية الفرنسية بمسألة الخدمات العامة من باب اهتمامها في مساعدة مجتمع الأهالي على الخروج من عزلته ، لا سيما في المناطق النائية والبعيدة عن الساحل ، وإنما ارتبط هذا الاهتمام بمشروعها الاستعماري الذي يقوم على أساس الاستغلال الواسع لخيرات هذا البلد بصفة عامة، والمنطقة بصفة خاصة . ومن هذا المنطلق، كان لا بد من الاهتمام بالأشغال العامة التي ترتبط بهذا التوجه. إيمانا منها بأهمية منطقة الأغواط الاستراتيجية بتوسطها للقطر الجزائري عبر الهضاب وشمال الصحراء، ومنذ احتلالها شرع منذ سنة 1854 في فتح طريقترابي يربط الجلفة بالأغواط لنقل قواتها العسكرية تبعتها تحسينات وبناء الجسور وإقامة خان القوافل بعين الإبل ووادي سدار وسيدي مخلوف وقلت السطل خلال الفترة ما بين (1853-1855)[2]وبعد ست سنوات وضع مخططا لتهيئة هذا الطريق [3] . ولما أدركت السلطات الاستعمارية

[1]- شتيح عز الدين، مرجع سابق، ص 179-180.

[2] . Revue de génie militaire ; librairie militaire BeyerLAVIRAULT,Paris, 1889, p.312 .

[3] . Ibid , p, 360

أهمية باقي جيوب الصحراء وما تؤديه من دور اقتصادي إنتاجا وتجارة راحت تكثف جهودها لاستغلال المنطقة .

أشارت المصادر الأجنبية بأنه عند وصول بيليسسيه (PELLISSIER) الى الأغواط كان طول المدينة 2000م، وبها 700 منزل مصنوعة من الطوب أبوابها قصيرة وأبرز منازلها قصر بن سالم الذي يعد بمثابة شبه قلعة بلغت مساحة حدائقها 1200 هكتار، أما اتساعها العرضي يبلغ ثلاثة آلاف متر وعدد سكانها 4000 نسمة [1].

هذا وقد انتقد صولاييه(PAUL SOLEILLET) منطقة الأغواط وطرقها المؤدية الى غات مرورا بورقلة والأبيض سيدي الشيخ ، ومن الأغواط عبر الميزاب و القليعة وعين صالح الى تومبوكتوبمالي[2]. و ذكر المتاعب التي كان يصادفها سكان المنطقة أثناء تنقلاتهم المكلفة حيث كانت الجمال والإبل الوسيلة الأنجع ، فالمسافة بين الأغواط وغرداية والمقدرة ب 168 كلم كانت تكلف 20 فرنك[3]. وأمام هذه الوضعية شرعت السلطات الاستعمارية في اتخاذ التدابير اللازمة لإنجاح المشروع الاقتصادي الرأسمالي الاستعماري،واستغلال المقدرات الاقتصادية للمنطقة، ففي سنة 1885 أقدمت على وضع الحجارة وتهيئة الطريق على مسافة 220 كلم [4].

وفي 1889 تحمس الكومندان رين (RINN) الذي طالب بالإسراع في إنشاء خطوط برية استراتيجية للتوغل نحو الصحراء ، أحدهما نحو غرداية ومتليلي و الآخر نحو بسكرة وتوقرت[5].

---

[1] . Souvenir d'un officier du 2eme régiment des zouaves, M.L, Michel LEVY frères éditeur, Paris, 1869, p.27

[2] . Paul SOLEILLET, Avenir de la France en Afrique,Challamel AINE, Paris, 1876, p.7

[3] . Ibid, p 36

[4]- G.G.A, Conseil Supérieur du gouvernement, Novembre/ Décembre 1886, imprimerie administrative GOJOSSO, Alger, 1886, p.159

[5]- Maurice WAHL, l'Algérie, 2 édition, Felix ALCAN éditeur, Paris, 1889, p.408

نبقى مع المشروع الخدماتي حيث أشارت المصادر الأجنبية بأن الميزانية المخصصة لمنطقة التراب العسكري انفقت خلال الفترة (1881-1884) قيمة 45000 فرنك لتهيئة الطريق الرابط بين الجزائر و الأغواط [1]، وارتبطت به أيضا أشغال تهيئة مست منطقة المصران بالقرب من خان القوافل بسيدي مخلوف، وتثمينا لهذا القطاع الخدماتي الذي طال الطرق المعبدة ، ذكر الجنرال آلان (ALLAN) بأن حركة السير والمرور في المنطقة تتطور يوميا في هذا الخط لذا يتطلب مبلغ إضافي ليفي بالغرض المنتظر والمقدر بنحو 280.000 فرنك، [2]ويشاطره الرأي الجنرال لويسل(LOYSEL) حاكم شعبة الجزائر الذي نوه بأهمية هذا الطريق من وجهة النظر العسكرية والتجارية [3].

وبتوسع المصالح الاقتصادية الاستعمارية في المنطقة ، طرحت في الجلسة المنعقدة يوم 07 جانفي 1900 فكرة إتمام مشروع السكة الحديدية الرابط بين البرواقية وقصر البخاري لاحتلال عين صالح وتمكين السلطات الاستعمارية من تموين الجيش في القليعة والأغواط [4]، وفي أواخر 1907 تم إنهاء الطريق الوطني رقم 01 الرابط بين مدينة الجزائر والأغواط في مسافته المتبقية وهي 54 كلم والتي كلفت الخزينة 5092.52 فرنك وتعبيد الطريق الرابط بين هذه الأخيرة وغرداية في شهر أكتوبر من نفس السنة على امتداد 174 كلم بما فيها تهيئة الطرق الداخلية للبلدية الأهلية للأغواط بغلاف مالي قدره 26610 فرنك، [5]دامت أشغاله سنتين كاملتين ما بين سنتي (1907-1909).

وفي إطار المشروع الاقتصادي الرأسمالي الكولونيالي، تحمس أعضاء الحكومة لأهمية توسيع طريق السكة الحديدية الجلفة / الأغواط لأهداف اقتصادية وأمنية نوجزها فيما يلي:

1. ضمان تجارة الأسواق الهامة في الأغواط والميزاب.

---

[1]-Ibid,, p.644

[2]. Ibid, p.646

[3]. Ibid, p.653

[4]- Journal général de l'Algérie et la Tunisie, Dimanche 21 juin 1900.

[5]- M. C. JONNART, Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie, imprimerie administrative, Alger1908, p.115,

2. العمل على توسيع مساحة استغلال الحلفاء.

3. التقليل من نفقات نقل الموظفين و العتاد والمواد الخاصة بالتموين.

4. ضمان شروط الأمن والاستقرار.

ومن المتحمسين لهذا المشروع أعضاء الوفد الوهراني الذين بدورهم أكدوا على دور السكة الحديدية بين تيارت والأغواط من بينهم ليسبون(LISBONNE) الذي أيد غودارد (GODARD) لضرورة المصلحة والمنفعة العامة وباركت اللجنة المالية بناء على اقتراح لجنة القروض فكرة استبدال خطي البويرة – سور الغزلان وخط الشلف – تيسمسيلت .[1]

وخلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918) صودق على المشروع أثناء الدورة العادية للحكومة العامة المنعقدة في 16 جوان 1915 الذي اعتبر من الخطوط الاستراتيجية بمنحه لشركة باريس- ليون-البحر المتوسط (P.L.M) ، ولكن هذا الطريق الحديدي لم ينجز.

3/ **في مجال تربية الحيوانات:** منذ أواخر القرن التاسع عشر ،كان لجهود الكومندان مارغريت (MARGUERITTE) في منطقة الضايات أثره في إنشاء السدود والخزانات لتجميع مياه الأمطار لعدة أشهر وحثه الأهالي على تهيئة الهضاب المحيطة بغرض الوقوف في وجه حياة الترحال التي يعرف بها سكان الإقليم.. [2].وفي هذا السياق، كشفت المصادر الأجنبية عن الأوابد من قبائل المنطقة التي كان عدد سكانها الإجمالي 1829 نسمة سنة 1889 يملكون مايلي من رؤوس الماشية.

الجمال	الأبقار	الأغنام	الماعز	المجموع
3128	1249	33274	10369	48020

[1]- CONSEIL SUP2RIEUR DU GOUVERNEMENT GENERAL DE L'ALGERIE, procès verbal des délibérations, session ordinaire du jeudi 29 juin 1911.p. 255

[2]-Bulletin de la société de géographie d'Alger, « Africa », imprimerie Adolphe JOURDAN, Alger , 1880, p.22

أما البدو الرحل فكان عددهم 4820 نسمة ويملكون ما يلي:

الجمال	الأبقار	الأغنام	الماعز	المجموع
12826	13	96706	19794	129338

من خلال هذه المعطيات يظهر لنا التفاوت في عدد رؤوس المواشي على اختلافها مما اقتضى تشجيع تربية الماشية والاعتناء بها بعد أن أدركت الإدارة الاستعمارية أهمية المنطقة في هذا النوع من الأنشطة التي أشاد بها العديد من المختصين . ففي عهد جونار(JONNART) انفقت الحكومة سنة 1905 قيمة 6531 فرنك وزادت في السنة الموالية حتى أصبحت 10260 فرنك ووصلت في 1907 نحو 14450 فرنك.[1]

دائما في إطار التحفيزات والمغريات المالية المقدمة من السلطة الاستعمارية العليا خصصت الحكومة العامة أغلفة مالية جيء بها لتشجيع تربية الماشية واتباع الطرق العلمية تتراوح بين 200-700/ف مخصصة لأحسن قطيع منتقى وأحسن مربي وأفضل قائم على الخصي، و الذي كشف عنها تقرير جاري ( ) البيطري بالأغواط حول المحفزات المالية لتشجيع تربية الأغنام[2].

ومن نتائج ذلك، احتلال الأغواط المركز الرابع في تربية الأغنام بعد كل من الجلفة، المشرية، سعيدة وذلك بفضل التحسينات التي جيء بها والخاصة بالقطعان بسبب المغريات المالية التي سبق وأن أشير إليها وتخليص الأهالي من عملية الجز التقليدي بواسطة المقص الذي يؤدي غالبا إلى جرح الماشية [3].ويتضح ذلك من خلال الجدول:

[1]- M. C. JONNART, Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie, imprimerie administrative, Alger1909, p.73,

[2]- M. C. JONNART, Ibid , p.150

[3]. Ibid, p.55

منحة مخصصة لأفضل قطيع	منحة مخصصة لأحسن مربي	منحة مخصصة لأفضل قائم على عملية الخصي	منحة مخصصة لأحسن الرعاة
1000/ ف	1200/ ف	500 / ف	400/ ف

تلهفت الادارة الاستعمارية وراء ذلك، ويبدو أن ظروف الحرب العالمية الأولى (1914-1918) وحاجة المتروبول إلى الموارد الحيوانية كانت وراء تحفيزات جديدة بينتها المصادر التي ذكرت أن قيمها تراوحت ما بين 100 الى 500 /ف توزع كالآتي:.

- 500/ف للمنتقين لأحسن السلالات.
- 500/ ف للمنتقين لأحسن النعاج .
- 400 /ف لأحسن الرعاة.
- 100 /ف لأفضل راع يحسن عملية الجز.[1]

وبسبب الجفاف والفترات العصيبة التي مرت بها البلاد سنة 1920، وانتشار داء التيفوس في أوساط الأهالي، حدث اختلال عميق بين أسعار الماشية وأصوافها أدى إلى تدخل السلطات الاستعمارية بغرض دفع المشروع الاقتصادي الكولونيالي، وسخائها المغلوط عبر بنك الجزائر لتقديم القروض لمدة تسع أشهر. فكان نصيب المنطقة محل الدراسة غلاف مالي بقيمة 700000/ف مخصصة لشراء البذور، فإلى غاية نهاية ديسمبر 1921 كانت ديون الأهالي بملحقة الأغواط بمفردها تبلغ 2.220.730/ ف[2]

[1]. LUTEAUD, gouverneur général, Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie, 1916,1917 et, 1918, p.74

[2]. Ibid, p.p.111.112

أمام هذه التجارب الناجحة وإن كانت في بدايتها، أبدت السلطات الاستعمارية اهتماما واضحا في الإرتقاء بالنشاط الرعوي وتطوير الثروة الحيوانية في منطقة الأغواط لا سيما وإن الإقليم كان يتوفر على كل الإمكانيات التي تجعلها قادرة على توفير منتجات عالية الجودة ورفيعة المستوىإذ أظهرت الدراسات التي قامت بها امكانية تطوير القدرات الإنتاجية في المنطقة التي تعد ثاني مقاطعات عمالة الجزائر بعد الجلفة لكن الدراسات تلك أظهرت أهمية إدخال تحسينات وتطوير على حرفة الرعي وتربية الماشية عبر انتهاج أساليب عملية وعلمية من أجل رفع المردود الاقتصادي لهذه الثروة.

ومن منطلق الاستفادة القصوى من هذه الثروة الحيوانية ، اقتنعت الإدارة الاستعمارية بضرورة إنشاء الحضيرة التجريبية لتربية الماشية بتادميت وذلك بعد أن أثيرت قضايا ترتبط بالقطاع الحيواني أثارها متخصصان وهما المهندس الفلاحي كوستون (COUSTON)، والمفتش بمصلحة تربية الماشية ترويت (TROUETTE) إذ نصح كل منهما باختيار العقار الذي توجد به المؤسسة العقابية لاعتبارات طبيعية كالموقع وتوفر المياه والعشب الملائم وامتدادها الترابي.[1].وأخذا بالتجارب التي أقيمت بالمنطقة من طرف جيسلين (GESLIN) مدير المؤسسة العقابية والبيطري دوران (DURAND) اتضحت إمكانية نجاح التجربة حيث أشارت المصادر الأجنبية بأنه في الفترة (1923- 1928) بيعت نحو 1780 خروف ، ووزعت على نقابات تربية الماشية واللجان الرعوية والخواص نحو 783 من الكباش المنتقاة و التي تنتمي إلى ثلاثة أصناف : الصنف الأول وهو صنف تادمايت ويتميز بنعومة أصوافه، والثاني صنف أولاد عيسى المعروف عند الأهالي بالرايمي والذي يتميز بلونه الأسمر الفاتح، أما الصنف الثالث والأخير وهو صنف زاغر الذي يعتبر من أهم الصنوف لدى قبيلة أولاد نايل.[2].

تقع هذه المؤسسة التجريبية بوادي تعظميت على بعد 14 كلم من الطريق الرابط بين الجزائر – الأغواط تتوسط الهضاب العليا وأطراف الصحراء تمتد على مساحة قدرها 3000 هكتار تتخللها

[1]. Ibid, p.217

[2]-Revue, l'éleveur nord-africain, n° 67, 05 octobre 1928,

الحلفاء ونبتة الأرطمازية (ARMOISEL') ومراعي مساحتها نحو 20 هكتار، وأراضي ذات جودة عالية قابلة للري تمثل 40 هكتار ، كل هذه الشروط كانت سببا في اختيارها..[1]

حققت هذه المحطة التجريبية عدة إنجازات باتباعها الأساليب العلمية الحديثة والمتطورة التي أوصى بها وكرسها الأخصائيون في البيطرة والفلاحة فارتفع عدد رؤوس المواشي وزاد وزنها إذ وصل وزن الكبش الواحد 58 كلغ.[2].

نظرا للنجاحات التي حققها المختصون في هذه المحطة والذي يعكس بطبيعة الحال نجاح المشروع الاقتصادي الكولونيالي ، صدر قرارا من الحاكم العام في نوفمبر 1928 يقضي بتقديمدروس الإتقان وتحسين تربية الماشية بحضور عناصر مختارة من خريجي المدارس الفرنسية وقدماء الجنود، والملاك، والراغبين في الاستفادة من التجربة والخبرة والطرق العلمية الحديثة لمدة أربعة أشهر ، يقضي فيه المستفيد شهر واحد بالمعهد الفلاحي الكائن بمدينة الجزائر أما الأشهر الثلاثة يقضيها في المحطة التجريبية وعند إتمام فترة التعلم والدراسة تسلم للمتفوقين تحفيزات مالية ينال فيها صاحب المرتبة الأولى 500 فرنك ويتبعه صاحب الرتبة الثانية بقيمة مالية قدرت ب 300 فرنك...ونتيجة لذلك بيعت أصواف هذه المحطة من طرف شركة شمال افريقيا للمبيعات العمومية في 19 جوان 1928 بأسعار كبيرة بلغت فيها أسعار الأصواف الدقيقة 1610 فرنك للقنطار و 1510 فرنك للأصواف الرقيقة وبسعر 1400 للأصواف العادية..[3]

ودعما لما نذهب إليه في مجال الأصواف ، في مقال له موسوم " الحياة الرعوية " أشار المفتش ترويت الى التراجع الكبير في الماشية التي أصابت الجنوب الوهراني الذي أدى إلى ارتفاع أسعار أصواف الأغواط وآفلو إذ بلغ السعر 180 إلى 200 فرنك لكل 16 كلغ بمعدل 12.5

[1].. LUTEAUD, gouverneur général, Op.Cit, p.220

[2]. F. VICREY , « Tadmit » in Revue , l'éleveur nord-africain, n° 59, 05 juin, 1928

[3]. TROUETTE, « Lafièvre aphteuse et la viande de boucherie , toujours au sujet des varrons , les laines de Tadmit » in Revue , l'éleveur nord-africain, n° 62é du 20 juillet 1928

فرنك/كلغ .[1]...وتواصلت نوايا الإدارة الاستعمارية من وراء مشروعها حيث ساهم كل من البيطري روكس (ROUX) و بوسلو (BOSSELUT) في عمليات التلقين من خلال الأشرطة الوثائقية عن حياة المربين وكل ما يرتبط بالماشية.[2].

تحليلا لنتائج التحسينات التي عرفها قطاع الماشية بالمحطة التجريبية بتعظميت ، خلص رجال الحكومة إلى الأخذ بالتجربة بهذه المحطة من خلال تسطير برنامج عمل اقتصادي لمدة عشر سنوات من خلال مطبوع المفتش ترويت الموسوم " تربية الضأن بمنطقة التراب العسكري " . وخلال الفترة الممتدة بين (1930-1940) زادت اهتمامات الحكومة العامة بهذه المؤسسة تدخل في إيطار البرنامج التكميلي للدراسات والتجارب ترتكز بالدرجة الأساس على:

- إنشاء بنايات جديدة بالمحطة ذات مرافق تتلائم وحاجاتها .
- بناء محطة ميكانيكية لطحن الحلفاء.
- إنشاء جناح خاص بالآليات البيولوجية الخاصة بالماشية.

إن كل هذه المشاريع التي تدخل في هذا البرنامج تعتمد على الميزانية المخصصة لمنطقة التراب العسكري.[3]..الشيء الذي يعكس الاهتمام الواسع والكبير لإنجاح هذا المشروع.

أشارت المصادر الأجنبية الى النجاحات التي شهدتها المحطة التجريبية لتدمايت من وراء جهود المفتش ترويت وإمرة الضابط السابق للشؤون الأهلية كوتونصو (COTTANCEAU) حيث نجح في إدماج خمسين من الأهالي في هذا الأسلوب الحديث التي لم تكن تعرفه المنطقة ببناء

---

[1]. TROUETTE, « Notes pastorales « inRevue, l'éleveur nord-africain, n°80 du , 20 avril 1929

[2]. L'éleveur nord-africain, n° 82, 20 mai 1929, p.1087

[3]. G. SOUBRIN « Programme d'action économique pour une période de dix ans a partie de 1930 » G.G.A, Les territoires du sud de l'Algérie, 5 eme partie, 1930, p224

نادي خاص بأهالي الأغواط بسبب التعليمة التي أصدرها الحاكم العام بيير باربديس (Pierre BARDES) كما ساهم أيضا بإعانة مالية قدرها 6000 فرنك وأكدت نفس الفكرة كل من صحيفتي " الجزائر الجديدة " و صحيفة (LE MUTILE).

ومن بين الدلائل التي نستدل بها ، دور الآغا دهيليس وعدد من مربي الماشية بهذه القبيلة في التأسيس لتعاونية الأصواف بالأغواط التي تتولى بيع هذه المادة الذي كان الهدف منها مواصلة تحسين قطاع الضأن عن طريق الإنتقاء فبلغ إنتاج الأصواف 100000 كلغ بيعت كلها من طرف هذه التعاونية..[1]..

4/**المشروع الزراعي**: اختلفت آراء العسكريين عند احتلالهم للأغواط حول أهميتها الزراعية، لكن فيما بعد اقتنع الكثير من أعضاء الحكومة العامة والكولون بإمكانية تطوير الإقليم زراعيا، فأشارت المصادر الأجنبية بأن واحة الأغواط تمتلك أغنى أشجار الثمار مثل: الكروم، التين، الرمان، وتوصف غابات النخيل بملكة هذه الثمار.

وبعد أن بسطت السلطات الاستعمارية سيطرتها على المنطقة ، أصدرت مرسوما في 05 سبتمبر 1883 خاصا بحكام المقاطعات لتشجيع الغراسة، وإنشاء المشاتل مع تقديم البذور في شكل هبات أو اعتمادات حسب المساحات المزروعة ، فحازت البلدية الأهلية للأغواط على 12400 فرنك لغرس الأشجار في منطقة الضايات الواقعة في جنوب الأغواط.[2]، وتضيف المصادر الأجنبية أيضا بأن واحات الأغواط تزدهر بها الأصناف المتوسطية كأشجار التين، والزياتين، والبرتقال، واليوسفية، والليمون بما في ذلك الأعناب. [3]..أما في ملحقة الأغواط كانت تسيطر فيها البستنة بشكل واضح حيث تمكن مزارعوها من تموين المناطق التلية بكميات كبيرة من الثمار بلغت 450

[1]. L'éleveurnord-africain, n° 06, juin 1925

[2]. G.G.A , P.V des délibérations du ….n p.215

[3]. Journée de l'arbre fruitière ,…p.78

قنطار جلبت 40000 فرنك وشملت فاكهة المشمش، والخوخ، والتمور المتواجدة بواحات العسافية، والحويطة، وقصر الحيران، وتاجموت، والأغواط بسبب طبيعة التربة والمياه.[1]

وتحليلا لهذه الوضعية التي كانت تتمتع بها المنطقة من خلال المصادر الفرنسية، تحمس رجال الحكومة العامة للمشروع الرأسمالي الاقتصادي الاستعماري لإنشاء محطة تجريبية لزراعة الخضار والفواكه وتربية الابقار..[2]، ويستند هؤلاء على تقرير بول صولييه الذي يذكر بأنه وجدت في إحدى الحدائق التي يمتلكها نائب رئيس البلدية دوكلير (DECLAIR) مجموعة هائلة من الأشجار المثمرة الأوروبية منتقاة من منطقة بيرتوي(PERTUIS) تنتج ثمارا بإنتاجية معتبرة كالكروم، والكرز، والخوخ، والبرقوق، والتفاح وتتكيف كل هذه الثمار مع مناخ الصحراء.[3]

أما الحبوب، فيسيطر عليها القمح والشعير اللذان يتباين إنتاجهما تحت تأثير عاملين أساسيين على الدوام وهما العامل الطبيعي، والعامل العسكري بسبب أحداث ومتطلبات الحرب العالمية الأولى حسب ما يبينه الجدول.

السنة	1910	1911	1914	1915	1916	1917	1918
القمح	7878	3874	2406	1956	2160	370	3486
الشعير	3835	5046	1260	849	935	690	1978

و للإشارة أن المنطقة كانت تعتمد على 4000 طن من الحبوب على اختلافها سنويا من الأسواق الجزائرية.[4]، إلى جانب ذلك، يذكر بأن المنطقة كانت تحتل الصدارة إنتاجا للهليون (Les Asperges) الذي يباع بكميات كبيرة في أسواق الأغواط والجلفة...بالإضافة إلى البرسيم الذي

[1]. Ibid, p.83

[2]. Ibid, p.84

[3]. Paul SOLEILLET, l'Afrique occidentale, avenir de la France en Algérie, Callamel AINE, Paris, 1876, p.12

[4]. Paul SOLEILLET, Ibid, p.129

تنتج منه منطقة الأغواط 1000 قنطار سنويا والذي يستعمل كعلف للأنعام في حال سقوط الثلوج.[1]

بعد مرور عشرون سنة ، وتقييما للتجارب التي قامت بها الإدارة الاستعمارية ، وعند انعقاد مؤتمر القليعة في شهر جانفي 1930 بمناسبة الذكرى المائوية للاحتلال، أشادت بعض آراء المستثمرين المتخصصين بالأهمية الاقتصادية التي تحظى بها منطقة الأغواط والواحات حيث جاء في مداخلة نومبلو (NOMBLOT) الأمين العام للشركة الوطنية للأشجار المثمرة بتصرف"... فإذا كان التطور الحاصل في الواحات بطيئا فإنه لا يمكن لنا في أي حال من الأحوال أن نيأس لأنه لو قارنا أربع واحات في الجزائر ، فإننا نلاحظ بأن الأغواط التي تعد مركزا مسيرا للتراب العسكري شهد تطورا ملحوظا أكثر من غيره من المناطق الأخرى أين توجد البساتين ، والحدائق المزروعة بشكل جيد بل حتى أن مزرعة مساحتها سبعة هكتارات من القمح بفضل جهودنا تجذب السكان الأهالي لزراعتها من خلال أساليبنا الحديثة...[2]

ارتبط القطاع الحيواني والفلاحي بالري، فشرعت الإدارة الاستعمارية في جملة من الإجراءات المرتبطة بالري، فعملت على جلب المياه خلال الفترة (1861-1878) ، وحفر ستة عشر بئرا في أحياء مدينة الأغواط..[3]..ولضمان نجاح الغراسة والزراعة كما أسلفنا سابقا ، والتي تدخل في إطار إنجاح مشروعها الاقتصادي الرأسمالي الكولونيالي، أشرفت مصلحة الري الفلاحي التابعة لوزارة الفلاحة على عمليات البحث عن المياه قصد استغلالها استغلالا حسنا طالت ضواحي وادي مزي بالقرب من الأغواط كلفها مبلغ 1165534 فرنك فاقت تكاليف سد الحميز بالمتيجة الذي كلف

[1]. M.C JONNART, Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie, imprimerie Adolphe JOURDAN, Alger, 1910, p.158

[2]. M. J lEMMET, « l'arboriculture fruitière dans les territoires du sud », in revue de la journée de l'arbre fruitière, comptes rendus, G.G.A, 31 mars 1931, p.98

[3]. Revue du génie militaire, librairie militaire,BeyerLEVRAULT, Paris, 1931, p.312

خزينة الدولة 18086.72 فرنك ويفوق حجم الإعانات المالية المخصصة لوادي سلي المقدرة ب 4000 فرنك ، وبني مراد 3826.5' فرنك ووادي الفضة 53000 فرنك..[1]

وفي مطلع القرن العشرين ، وضع شارل جونار الحاكم العام سنة 1907 برنامجا خاص لإنشاء عدة مواقع لتجميع المياه بملحقة الأغواط في كل من عين الحامية، وحاسي ذيبة بقيمة مالية حددت ب 6500 فرنك وإنشاء خمس خزانات بسعة كبيرة مخصصة لاستقبال المياه الجارية بضاية تينسافين ومقدر بوسندة ومقدر التين تطلب كل منها 13000 فرنك.[2].

تواصل هذا البرنامج ما بين (1907- 1909) حين تمت تهيئة السدود في التراب التابع للبلدية الأهلية للأغواط مثل العسافية، وفي تراب البلدية الممتزجة حيث خصصت ميزانية البلدية إعانة قدرها 15000 فرنك ...وفي خلال فترة إدارة الحاكم العام ليتو (luteaud) استكملت أشغال الري بإنشاء سد الفاتح على طرف وادي مزي وبقبيلة مخاليف الأزرق ...وتواصلت أيضا أثناء الحرب العالمية الأولى (1914-1918) لكن بأموال البلدية ومواردها ، ونعتقد بأن ذلك ارتبط بالظروف الجديدة ألا وهي الحرب ومتطلباتها فشقت قناة بتاجموت طولها 380 م وبئر بالباردة وأخرى بوادي الحمار..[3]

وأخيرا، يمكننا القول بأن المشروع الاقتصادي الرأسمالي الكولونيالي لا حدود له، واتضح ذلك من خلال الممارسات والسياسات المغلوطة المتبعة والتي سخرت فيها السلطات الاستعمارية كل ما أوتي لها من الوسائل لاستغلال كل المقدرات الاقتصادية التي كانت تزخر بها المنطقة لا سيما تلك المتعلقة بأهم نشاط اقتصادي فيها ألا وهو القطاع الحيواني، وبذلك أثبتت التجربة التي طبقتها المؤسسة التجريبيةلتعظميت أهمية الأغواط التي زاوجت بين تربية الأغنام والتجارة بالأصواف في الداخل وفي الخارج عبر ميناء مرسيليا.

---

[1]. G.G.A, P.V des delibérations, (1881-1884), p.215

[2]. M.C. JONNART, Op.Cit, p.121

[3]. LUTEAUD, Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie (1914-1915), p.152

المبحث الثالث : المشروع الاستعماري لاستغلال المحروقات في حاسي الرمل جنوب الأغواط:

1/الحركات الاستكشافية الفرنسية للموارد الباطنية بالصحراء: انطلقت عمليات الاستكشاف الأولى والتي في شمال الصحراء عموما والأغواط على وجه الخصوص من قبل بعض الرأسماليين الفرنسيين الذي تقلو دعما كبيرا من الدولة الفرنسية لأجل هذا الغرض، خاصة في الفترات الأولى للاستكشاف الممتدة زمنيا بين سنتي 1946 إلى غاية 1956 وذلك نظرا للأخطار الكبيرة التي كانت تواجه المتوغلين في عمق الصحراء، ولهذا فقد أنفقت الحكومة الفرنسية ما نسبته 72% من تكاليف تلك الحملات بما قيمته 30 مليون فرنك على مدار تلك العشرة سنوات، وقد يظهر هذا الرقم كبيرا للغاية، لكن ما يفسر كبره هو النمطين الذين استخدمتها الحكومة الفرنسية بباريس لتمويل الحملات الاستكشافية، فالنمط الأول كان عن طريق استخدام رؤوس الأموال العمومية وذلك تأسيس شركات حكومية عمومية "كمكتب البحث البترولي" أو عن طريق الحكومة العامة للجزائر التي يتراسها الحاكم العام باسم الدولة الفرنسية الذي يدخل كمساهم في راس مال الشركات الخاصة التي عرفت وضعيتها المالية تراجعا وضعفا فيتم تدعمها بغرض الاستكشاف كما تستفيد الشركات من الحماية الأمنية الفرنسية أثناء مزاولة نشاطها مخافة الاعتداءات المحتملة من الجزائريين أما النمط الثاني فكان عبر الرأسماليين الخواص الذين كانوا يعتمدون على قروض بنكية لبعث فرق الجيولوجيين للاستكشاف، وقد لوحظت ريادة معتبرة للقروض لصالح عدّة شركات فرنسية بغرض الاستكشاف ما بين 1959 و 1960 وذلك بعد أن تواترت الأخبار عن نجاح بعض العمليات الاستكشافية وإيجاد جيوب بترولية في الصحراء الجزائرية، زيادة على التمويل الذاتي لعمليات الاستكشاف من قبل الشركات العاملة في هذا المجال من قبل عن طريق توجيه أرباحها لعمليات استكشافية جديدة.[1]

[1] Robert Fosset, Pétrole et gaz naturel au Sahara, **Annales de Géographie**, T71, N385, 1962, P295-296.

2/ البعثات الاستكشافية بناحية حاسي الرمل:

لم يكن الولوج إلى الصحراء الجزائرية عموما ومنطقة حاسي الرمل على وجه التحديد بالأمر الهين على مستكشفي البترول والغاز، يضاف لها المشكل نقص المعدات التقنية والتعداد البشري لما يشوب هذه العملية من مشاق جسدي كبيرة، إضافة إلى صعوبة التمويل في المرحلة الأولى سرعان ما زال هذا العائق نهائيا بعد سنة 1956 إذ عرفت عمليات تمويل البعثات الجيوفيزيائية من الجيولوجيين وماسحي الأراضي دعما غير محدود من كل الجهات العامة والخاصة بسبب لارتفاع فرص النجاح، والتغير الكبير الذي ستعرفه الميزانية التجارية للشركات والخزينة العمومية الفرنسية بعد بداية الإنتاج[1].

وعليه فان بداية الحملات الاستكشافية بالأغواط عموما قد تركزت على منطقة حاسي الرمل بالدرجة الأولى، ففي سنة 1957 انطلق مجموعة من الخبراء والجيولوجيون الفرنسيين إلى الصحراء الجزائرية عبر بعثة علمية تابعة للجنة "فرنسا-إفريقيا الشمالية" المتواجد مقرها بمدينة ليون، وهذا بالتنسيق ومشاركة خبراء واقتصادين من جامعة ليون [2] لإعداد تقارير لعمليات الاستكشاف بنواحي حاسي الرمل بقيادة الجيولوجيان J. Savary . وP. Pièces اللذان توصلا إلى اكتشاف الغاز الطبيعي عبر هذه الحملة [3] بكمية هائلة قدراها بـ 100 مليار م [3] وسمي الموقع

[1] Jean Majorelle, Etat des recherches de pétrole en France et Outre- Mer, **Bulletin de l'Association de géographes français**, N267-268, A34, 1957 P9.

[2] André Allix, Sahara et pétrole 1957, **Revue de géographie de Lyon**, vol. 32, N4, 1957, P269.

[3] Informations – Communications,**Bulletin de la Société préhistorique de France**, tome 58, N1-2, 1961, P49.

المكتشف بقاعدة "ترياس"(la base du trias)، وكانت هذه القاعدة الجديدة الهامة منطلقا لعمليات استكشافية جديدة بالمنطقة[1] تم الكشف عنها في سنة 1958م[2].

وبعد هذا الاكتشاف الأولي عرفت المنطقة غزواً للشركات الفرنسية من كل حدب وصوب، ومنها شركات البحث والتنقيب، "كشركة بحث واستغلال بترول الصحراء". La Compagnie de Recherche et d' Exploitation du Pétrole du Sahara، (C.R.E.P.S.) ، والشركة الفرنسية لبترول الجزائر La Compagnie Française des Pétroles d'Algérie (CF. P. A.) , والشركة الوطنية للبحث واستغلال بترول الجزائر، La Société Nationale de Recherche et d' Exploitation du Pétrole d' Algérie(S.N. R.E.P.A.L.). ، مطعمة بالشركات المالية القابضة التي كانت تمول برؤوس الأموال شركات البحث بالصحراء بنسب متفاوته، أهمها مؤسسة "فينارب" (Finarep) التي بلغ رأسمالها 14 مليار فرنك، والتي كان لها حضور مالي في 17 شركة تعمل بالصحراء الجزائرية في مجالات متعددة كالأشغال العمومية والنقل أو الطاقوية[3].

3/انطلاق إنتاج الغاز بحاسي الرمل:

وبعد نجاح عمليات الاستكشاف ستعرف حاسي الرمل بدايات الإنتاج محدثة بذلك طفرة اقتصادية كبيرة في الجزائر المستعمرة على صعيد النظام الاقتصادي الاستعماري ليس في ناحية الأغواط فحسب بل في كل الجزائر، فقد انتقل اهتمام الإدارة الاستعمارية من سطح الأرض ومخرجاتها الزراعية

[1] Jean Majorelle, Etat des recherches de pétrole en France et Outre- Mer, **Bulletin de l'Association de géographes français**, N267-268, A34, 1957, P8.

[2] Alain Beltran. Gaz de France et le secteur gazier depuis 1940, **Flux**, N8, 1992, P34.

[3] Robert Fosset, op. Cit, P296-297.

كالرزاغة النقدية (كروم، تبغ...الخ) إلى الاهتمام بقطاع بذر أرباحا لا يمكن مقارنتها باي حال من الأحوال باي نشاط اقتصادي آخر مورس بالجزائر منذ الغزووالى غاية اكتشاف البترول والغاز

وعليه فقد تولت مجموعة من الشركات عمليات إنتاج الغاز الطبيعي ونقله وتسويقه في فرنسا والعالم وعلى راس هذه الشركات "شركة استغلال الهيدروكاربير لحاسي الرمل"، (S.E.H.R) وهي احدى فروع الشركة الوطنية الفرنسية لبحث واستغلال البترول بالجزائر ، والشركة الثانية هي الشركة الفرنسية لبترول الجزائر، (C.F.P.A)وذلك في الفترة الممتدة من بداية الإنتاج سنة 1961 إلى غاية نهاية الستينات أي بعد الاستقلال استنادا إلى اتفاقية ايفيان[1].

وكانت الشركات قبل انطلاق الإنتاج قد انطلقت بالتنسيق مع مديرية الأشغال العمومية الاستعمارية في ربط مدينة حاسي الرمل بمدينة أرزيو بأنبوب غاز منذ منتصف شهر فيفري لسنة 1959[2]، وفي مطلع سنة 1961 تمكنت الإدارة الاستعمارية من إيصال الغاز الطبيعي إلى مينائي أرزيو بوهران وميناء الجزائر العاصمة بتاريخ 22 ماي 1961[3]، وهو على شكل غاز الميثان السائل[4]، لتبدأ عملية ضخ الغاز وكانت سعة الضخ قد بلغت 500 مليون م^3، على أن تصل القدرة الإنتاجية في مطلع سنة 1962 إلى 1.5مليار م^3، خاصة مع ظهور دراسات علمية وتقنية على هذا الغاز أظهرت أن له أهمية بالغة من حيث سعراته الحرارية إذ وجد به ضعف السعرات الحرارية لغاز المدن الذي كانت تتغدى به المدن الفرنسية إلى غاية 1962، والأكثر من ذلك أن سعره كان اقل بمرتين

[1] La France va recevoir du méthane liquide en provenance du Sahara, **L'information géographique**, vol 26, N2, 1962, P73.

[2]L'actualité.,**Annales de Géographie**, T 69, N372, 1960, P212.

[3] Georges Grelou, Afrique, **Annales de Géographie**, T70, N380, 1961, P440.

[4] Mutin Georges. Le commerce extérieur de l'Algérie en 1964, **Revue de géographie de Lyon**, vol. 40, N4, 1965, P361.

من الغاز المستعمل حينها [1]، ليستمر ارتفاع نسب الإنتاج بعد سنة 1962 لتصل قدرة الضخ السنوي إلى 20 مليار م[3]، في حين أن الإنتاج الفرنسي حينها يبلغ 2.5 مليار م 3، ناهيك عن الفروقات النوعية بين المنتجين[2]

ولاستكمال ضروريات ضخ غار حاسي الرمل في السوق الأوروبي أنشأت الإدارة الاستعمارية بأرزيو مركب البتروكيمياويات[3] دي الوظائف المتعددة على رأسها تمييع الغاز القابل للنقل البحري إلى أوروبا، وإنتاج الأسمدة الآزوتيه وعدة مواد بتروكيميائية مختلفة، إضافة لوحدات تخزين، ومصنع للأمونيوم[4].

وبالتوازي مع انطلاق الإنتاج فان عمليات التنقيب لم تتوقف لان استراتيجية الإدارة الاستعمارية في السنوات الأولى ارتكزت على عمليات الاكتشاف وتحديد كمياته والامتدادات الجغرافية التي يتواجد بها والحصول على تقديرات الاحتياطي، وانطلاق عملية الإنتاج في اقرب وقت ممكن، ولهذا فقد تم الإعلان عن اكتشافه من نواحي جديدة بحاسي الرمل ليرتفع حجم الاحتياطي في سنة 1961 على 800 مليار م[3] من الغاز الطبيعي، أي ما يعادل 800 مليون من الغاز الطاقوي المميع، بنفس جودة وخصائص الغاز الذي اكتشف في البداية[5].

---

[1] **Annales de Géographie**, N372, Op. Cit, P212.

[2] Service cartographique du Figaro. Le transport en Europe du gaz saharien, **L'information géographique**, vol 23, N3, 1959. P127

[3] Isnard H. L'Algérie ou la décolonisation difficile, **Méditerranée**, A10, N3, 1969, P337.

[4] Troin Jean-François, Laurent R. Aspect de l'infrastructure économique de l'Algérie, **Méditerranée**, A3, N3, 1962 P64.

[5] Données numériques sur la production et les réserves des gisements de pétrole sahariens. Création d'une économie de marché en Afrique, **Annales de Géographie**, T70, N380, 1961 P445.

وقد انعكس هذا المستوى المرتفع لإنتاج الغاز بحاسي الرمل على فرنسا بصورة كبيرة في عدة مجالات فعرفت خدمة توصيل الكهرباء تطور كبير في اغلب المدن الفرنسية خاصة في الإنارة العمومية التي تستخدم الغاز، مع انخفاض تكاليف هذه الخدمة العمومية، فقد كانت فرنسا من قبل تشتري الغاز الطبيعي منذ ظهوره من منطقة "غرونيغن" بهولندا شمالا وتستخرجه من بعض النواحي من أراضيها كضواحي باريس، ومن منطقة "لاك"(lacq) بالجنوب الغربي الفرنسي بالقرب من الحدود الفرنسية الإسبانية[1]، وكانت فرنسا في سنة 1961 تستهلك 20 مليون م^3، ومع بدء الإمداد من حاسي الرمل عمدت الحكومة الفرنسية إلى إدخال الغاز لعدة مدن فرنسية جديدة لم تكن مزودة من قبل كمدينة ليون ونانت وبالتالي تضاعف حاجيات السوق الفرنسي للغز الطبيعي، فباريس وضواحيها كانت تستقبل 3.2 مليون م^3، من الغاز الصافي المنقى يوميا في سنة 1961، بما يعادل استهلاك سنوي بـ 1.16 مليار م^3، أما ناحية ليون وسان تيتيان وغرونوبل فتستهلك 3.4 مليون م^3 يوميا، أي 1.241 مليار م^3 سنويا، ولهذا التزايد الرهيب في الاستهلاك المحلي وارتفاع أسعار الغاز السوفياتي أولت الإدارة الاستعمارية اهتماما بالغا بغاز الصحراء الجزائرية عموما والغاز الطبيعي لحاسي الرمل على وجه الخصوص[2].

4/الأهمية الاقتصادية لمنطقة حاسي الرمل: وتكتسي حاسي الرمل أهمية بالغة لكون الغاز المكتشف في الجزائر إلى غاية سنة 1962 تركز بالدرجة الأولى بها بخلاف البترول الذي تواجد في عدة مناطق من الصحراء الجزائرية على راسها حاسي مسعود، والمناطق القريبة منه مثل "حاسي بلقبور" و"قاسي الطويل" أو البعيدة كعين صالح [3]. ولكون موقع حاسي الرمل الاستراتيجي في شمال الصحراء، وقريب من الساحل ب 450 كلم فقط مم يسهل عملية النقل والإشراف على الإنتاج،

[1] Grelou Georges. L'actualité.,**Annales de Géographie**, T71, N384, 1962, P206

[2] Pierre George, Pétrole, gaz naturel, pétrochimie dans le monde, **Annales de Géographie**, T68, N368, 1959 P354.

[3] Robert Fosset, Op. Cit,,P284.

وهذا اذا ما قُرن بالاكتشافات التي كانت في المستعمرات البعيدة ففرق كبيرا في تكاليف الإنتاج والنقل، وتزامن هذا الاكتشاف مع نجاح الفرنسيين من استغلال أول بئر بترولية بحاسي مسعود ووجدوا أن هذا النوع من أجود الأنواع الذي يمكن استخدامه لتشغيل محركات الديزل بصورة مباشرة، وهو ما دفع بالإدارة الفرنسية إلى زيادة التمويل للبعثات الاستكشافية في الصحراء الجزائرية عموما وحاسي مسعود وحاسي الرمل على وجه الخصوص[1]

وعلى المستوى العالمي ففي نهاية الخمسينات وبداية الستينات كانت لهذه المنطقة أهمية عالمية كبيرة قياسا بالمساحة التي تتربع عليها 80 كلم في 45 كلم، والاحتياطي المحتمل إيجاده إلى غاية تلك الفترة، والذي يفوق 2.000 مليار م^3، في حين الاحتياطي المؤكد كان قد وصل إلى 450 مليار م^3

ورغم هذا الكم الهائل من الاحتياطي فقد اكتفت الإدارة الفرنسية باستغلال تسعة آبار فقط لإدارة الإنتاج خاصة في ضل قوة التدفق الهائلة للبئر الواحد بحاسي الرمل مقارنة بغيره من آبار مناطق أخرى من العالم، والتي نبينها في الجدول الموالي:

الموقع	حجم إنتاج البئر الواحد يوميا بـ م^3
الولايات المتحدة الأمريكية	11.000
ناحية "لاك" بجنوب غرب فرنسا	500.000
حاسي الرمل	1.000.000

المصدر: Robert Fosset, Op. Cit, P284

[1] Jean Majorelle, Op. Cit, P8.

إن الملاحظ من هذا الجدول الفارق الكبير في مردودية البئر الواحد وقوة التدفق الهائلة بين منطقة حاسي الرمل والمناطق الأخرى [1]، وحسب الدراسات التي أقيمت فان الاكتشافات المتتالية لحقول الغاز بحاسي الرمل جعلت من هذه المنطقة تكتسي أهمية متنامية على المستوى العالمي قياسا إلى قدرتها الإنتاجية التي يمكن أن تفوق 20 مليار م^3 سنويا، والاحتياطي الذي يضمن التزويد حتى 20 سنة من ذلك التاريخ(1961) وقد صنفت في المرتبة الثالثة عالميا من بين المناطق الأكثر غنى بالغاز في العالم في تلك الفترة [2]، فضلا عن أن حاسي الرمل خصوصا والصحراء الجزائرية عموما ستجعل الشركات الوطنية الفرنسية تحتل حجما اكبر من حجمها آنذاك ضمن مصاف الكارتل العالمي الذي يسيطر على إنتاج النفط والغاز في العالم كشركة British petroleum، البريطانية وشركة Shell الأمريكية[3].

كما أن التحاليل الفرنسية في المخابر بينت أن غاز حاسي الرمل من النوع الرطب، متعدد المشتقات بخلاف الأنواع الموجودة في الأسواق العالمية فقد تم اشتقاق غاز "الميثان" منه بنسبة 83% الذي يستخدم مصدر للطاقة ، وغاز الآيتان بنسبة 7.9%، وغاز "البروبان" بنسبة 2.10%، وغاز البوتان بـ 0.98%، والآزوت بنسبة 5.30%الذي يستخدم كسماد زراعي، وثاني أكسيد الكربون بنسبة 0.22%.[4]

---

[1] Yvan Jonchay, L'infrastructure de départ du Sahara et de l'Organisation Commune des Régions Sahariennes (O.C.R.S.). **Revue de géographie de Lyon**, vol 32, N4, 1957, P281.

[2] Berthonnet Arnaud. L'industrie électrique en Algérie : le rôle des sociétés électriques et plus particulièrement d'EGA à partir de 1947.,**Outre–mers**, T 89, N334-335, 2002, P349.

[3] Robert Fosset, Op. Cit, P284.

[4] Ibid, P288.

أما في الجانب التسويقي فقد كان سعر الغاز يقارب الأربعة فرنك فقد بلغ 3.85 فرنك/م^3 سنة 1961، يشمل هذا السعر الاستخراج وخدمة النقل [1]، وهو رقم كبير للغاية، فاذا عرفنا مما سبق ذكره أن انطلاق الإنتاج في حاسي الرمل كان بطاقة 500مليون م^3 في سنة 1961، فان الأرباح الإجمالية وصلت إلى 1.925.000.000 أي ما يقارب 2 مليار فرنك وهو رقم أرباح لم ولن تصله عشرات الشركات المتواجدة بالجزائر حينها والتي تعمل في قطاع الصناعات المنجمية وهي مجتمعة[2] فما بالك بالشركات الزراعية أو التجارية أو الخدماتية التي يكون هامش الربح فيها قليل، كما أن القدرة الإنتاجية لحاسي الرمل ستعرف تزايدا في السنة التي تليها حتى تصل إلى مستوى 1.5 مليار م^3 حسب أهداف الإدارة الاستعمارية، وهو ما سيزيد من تضاعف الأرباح المترتبة عن زيادة الإنتاج[3]

إن هذا الرقم من الأرباح كفيل أن يبين لمدا المفاوضات الجزائرية الفرنسية كانت تتعطل دائما بسبب قضية لصحراء الجزائرية وتمسك فرنسا بفصل الشمال عن الجنوب، ويبين أيضا استحواذ قضية حقوق الاستكشاف والتنقيب عن الموارد الباطنية واستخراج البترول والغاز الطبيعي بالجزائر على فصل في اتفاقية ايفيان، خاصة وأن التوجه الاقتصادي الذي ظهر في الخمسينات الذي يعتمد على مواد الطاقة، وادراك الخبراء الفرنسيون لافتقار فرنسا لهذه المواد بأراضيها واستيرادها بمبالغ ضخمة من دول أوروبية مجاورة كهولندا، جعل التوجه السياسي الفرنسي يصب في اتجاه ضمان الإمداد بالطاقة وهو ما انعكس على نمط علاقتها مع المستعمرات وأصبحت الاتفاقيات الاقتصادية مع الدول بحاجة

[1] Ibid, P295

[2] **Crédit foncier d''Algérie et de Tunisie**, Société anonyme. Siège social, Alger, Siège administratif, Paris, Succursales et agences en Algérie-Tunisie- Maroc, Imprimerie Chaix, Paris, (1924-1925), P 209

[3] Jacqueline Beaujeu-Garnier, Problèmes pétroliers, **L'information géographique**, vol 24, N4, 1960, P167.

إلى تعديلات تضمن امتيازات آنية ومستقبلية افضل، وتغيرت أهمية المستعمرات والنواحي لدى الاستراتيجيين الفرنسيين من الاهتمام بسطح الأرض إلى ما في باطنها، وتحولت الصحراء الجزائرية عموما من مكان خالي من التواجد الكثيف للمستوطنين والإدارة الاستعمارية إلى اهم منطقة بالجزائر، وأصبحت الصحراء الجزائرية عموما بما في حاسي الرمل وحاسي مسعود من مواد طاقوية خط احمر بالنسبة للساسة الفرنسيين ومنه جاء مشروع فصل الصحراء عن الجزائر.

لقد حولت الرأسمالية الفرنسية منطقة حاسي الرمل الرئة الثانية التي يتنفس بها الاستعمار الفرنسي بالجزائر بعد حاسي مسعود، بسبب مواردها الباطنية، ومن حيث تغير الخط الرئيسي للسياسة الاقتصادية الفرنسية المتمسكة بسطح الأرض بغية استيطانها واستغلال سطحها زيادة على استغلال المناجم، إلى استغلال الغاز الطبيعي والعمل على استكشافه وإنتاجه الأمر الذي جعل منطقة الأغواط تتحول من منطقة زراعية ورعوية إلى منطقة منتجة لأهم مصادر الطاقة وهو الغاز، متأثرة بالتغيرات التي عرفها العالم في منتصف القرن العشرين الذي كان متجها نحو موارد الطاقة الباطنية، الأمر الذي جعلها مستهدفة فوق العادة من قبل الإدارة الاستعمارية بحركة التدافع الرأسمالي للشركات مستهدفة المزيد من عمليات التنقيب كمرحلة أولى ثم إنتاجه، وتسويقه بالتنسيق مع الإدارة الاستعمارية كمرحلة ثانية.

لقد لعبت حاسي الرمل دورا محوريا في مسار الثورة من خلال التمسك الفرنسي بالصحراء الجزائرية عامة بسبب موارد الطاقة الجديدة وهو ما أطال أمد حرب التحرير وكان سببا في تعثر المفاوضات بين جبهة التحرير وفرنسا، كما كان لموارد الأغواط حضور قوي في اتفاقية إيفيان الراسمة لملامح العلاقة الاقتصادية بين الجزائر وفرنسا بعد الاستقلال.

الفصل الثالث: الثقافة الاغواطية بعد الاحتلال

المبحث الاول: الثقافة الشعبيّة

المبحث الثاني: الثقافة الدينيّة التقليديّة

المبحث الثالث: الثقافة الاستعمارية

المبحث الرابع: محاولات الاصلاح

الفصل الثالث: الثقافة الاغواطية بعد الاحتلال

إن البحث في الوضع الثقافي في الجزائر عموما وفي منطقة الأغواط خصوصا، خلال سنوات الاحتلال، ينطوي على صعوبات جمة من جهة، وعلى تقدير كبير لكل جهود المقاومة الثقافية التي خاضها الجزائريون آنذاك، فالأمة حينها لم تكن مهددة في أرضها فحسب، بل في ذاتيتها أيضا، لذلك نجد فعاليات الثقافة الوطنية خلال هذه الفترة متواجدة حيث لم تصل معاول الاستدمار، مما يبرز مدى تشبث الجزائري بثقافته، حتى لو أرغم قصرا على التنازل عن أرضه، فهو لا يتنازل عن الزاوية والجامع وعن اللغة والدين والمتصفح للكتابات التاريخية التي تناولت الفترة، وفي الثقافة الشعبية لتلك الحقبة سيدرك سياسة التحطيم التي مارستها فرنسا، في مواجة سياسة المقاومة الثقافية التي خاضها الأغواطيون.

المبحث الأول: الثقافة الشعبية:

يعتبر الأدب الشعبي مجالا جديرا بالعناية والاهتمام، وقد دعا الكثير من الدارسين إلى هذا المطلب ويكفي أن نشير إلى بعضهم، فهذا (توفيق المدني) يقرر بلا تردد بأن اللغة المستخدمة في عاميتنا (أي : في منطقة الأغواط) هي أقرب اللغات العامية إلى الفصحى، ويقول في هذا الشأن: "أما اللغة العامية الدارجة، فيجب علينا أن نعيد هذا القول بأن العربية العامية الموجودة بشمال إفريقيا عموما وخاصة في الهضاب العليا والصحراء الجزائرية، وفي أواسط وجنوب البلاد التونسية هي أفصح لغة عربية عامية موجودة على وجه الأرض، لأن أغلب عباراتهم نحو: 98% هي عبارات قرآنية فصيحة، إنما تنطق بدون إعراب، بل إني أستطيع أن أؤكد بأن العربية العامية في بلادنا هي أفصح كثيرا أو أقرب إلى لغة القرآن من العامية التي يتكلمونها في اليمين، وحتى في كثير من أنحاء الحجاز، وقد رأيت بنفسي بعض عوام اليمن، وبعض عوام الحجاز، وقد تفاوضت معهم مليا فكنت أرى أن أغلب العبارات العامية التي يستعملونها بعيدة كل البعد عن اللغة العربية الفصحى..."[1].

[1]- أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص142.

1/الشعر الشعبي: كان الشاعر الشعبي مندمجا " في وضع مفعم بالأحداث، ووجود مناخا صالحا للتعبير عن عواطفه ووجدانه بلغة سهلة وأسلوب بسيط، لا يتطلب معرفة الكتابة وإتقان اللغة المعربة..."[1].

وقد أكد ابن خلدون أن الشعر الملحون لا يقل شاعرية عن الشعر الفصيح، إذ يقول: "لا عبرة بقوانين النحاة في ذلك، وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعار هذه، ما عدا حركات الإعراب في أواخر الكلام فإن أغلب كلماتهم موقوفة الآخر، ويتميز عندهم الفاعل والمفعول والمبتدأ أو الخبر بقرائن الكلام، لا بحركات الإعراب...، ويضيف قائلا: أن الإعراب لا مدخل له في البلاغة، إنما البلاغة مطابقة للكلام المقصود لمقتضى الحال..."[2]

فالشاعر الشعبي يجب أن يلم بكل جوانب الحياة التي يعيشها، "وبالرغم من ثقافته المحدودة، وعدم مجاراته الشاعر الرسمي في التجديد والتطور، فإنه يملك القدرة الذهنية ما يمكنه من تطويع الألفاظ العربية وتمرينها للأسلوب العامي..." [3] هذا إلى جانب تقليده لكل أغراض الشعر: مدحا ورثاء وهجاء وحماسة...إلخ، مع الاختلاف في الرؤية، والتباين في الأسلوب، والاختلاف في التصوير "... فالشاعر لم يكن يتفنى في اختيار القوالب الجميلة، بل يقولها بطريقة تلقائية لا أظن أحدا يعارض في أن الصورة الصافية الدقيقة للأدب الشعبي هي التي تضم الأدب الذي يعبر عن مشاعر الشعب وأحاسيسه، فالأدب الذي يصدره الشعب يعبر عن وجدانه، ويمثل تفكيره، ويعكس اتجاهاته ومستوياته الحضارية..."[4].

---

[1]- د. التلي بن الشيخ، **منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990، ص29.

[2]- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، ط4، بيروت- لبنان، د.ت، ص58.

[3]- د.حسين نصار، الشعر الشعبي العربي، منشورات بيروت- لبنان، ط2، 1980م، ص11.

[4]- د. التلي بن الشيخ، دور الشعر الجزائري في الثورة 1830-1945 ، المؤسسة الوطنية للكتاب والفنون المطبعية، وحدة الرغاية، 1983، ص7.

ويكفي أن نشير إلى أن الشعر الشعبي قد صور حياة المجتمع بصورة ملفتة للنظر سواء استقراره أو ارتحاله، فهو الديوان الجامع لكل شؤون حياة الإنسان البدوي الشعبي، ولا يتسع المجال للخوض في كل هذه المجالات، ويبقى الباب مفتوحا أمام الدارسين للعناية بكل ما أبدعه الشاعر الشعبي.

-أبرز شعراء المنطقة: بما أن الشعر الشعبي ديوان حياة الإنسان، لعصور مختلفة، والمتوارث جيلا بعد جيل، بالرواية الشفهية، يسجل فيه كل ما عاشه في حياته وما صادفه في معاناته اليومية. لذا يجب إحياء هذا التراث وتسليط الضوء على أعمال شعرائنا الغزيرة، لربط ماضينا المجيد بمحاضرنا للشرق، وهناك مجموعة كبيرة من الشعراء في المنطقة وعلى رأسهم:

1-الشاعر عبد الله بن كريَو: [1]هو عبد الله بن القاضي الحاج مُحَّد بن الطاهر التخي المعروف بابن كريو، ولد الشاعر خلال سنة 1871م بمدينة الأغواط وهو لا يفتأ يذكرها مباهيا بإنتماءه لها وبأن عائلته تعد من أعرق العائلات التي استوطنت المدينة.

تعلم الشاعر في مسقط رأسه فحفظ القرآن الكريم، وقرأ الفقه والأحاديث النبوية ومتن ابن عاشر على يد مشايخ المدينة، كما أنه اهتم باللغة العربية وأتقن قواعدها فأمسى صاحب لسان لذيق ولفظ أنيق، لطيف الكلام، ولأنه ينتسب إلى دار علم نشأ تنشئة متينة في العلوم القانونية الإسلامية كما أظهر الشاعر ميولا إلى علم النجوم والفلك والفلسفة والطب وغيرها من العلوم، وقد تتلمذ ابن كريو على يد خبرة علماء المدينة في تلك الحقبة أمثال الرحالة ابن الدين الأغواطي والعالم مُحَّد العربي، وقد أهلته ثقافته الواسعة إلى تقلد مهنة القضاء مقتفيا أثر والده الذي سبقه إلى الولوج هذا الميدان إذ شغل منصب باش عدل في الأغواط لمدة ثلاثة عقود ونيف.

وقد لمع نجم الشاعر في أوساط الجماهير، وراجت قصائده بين المدن والقرى خاصة تلك التي تحكي قصة حبه مع فاطنة الزعنونية، ولعل هذا ما ألب عرش الزعانين عليه فسعوا إلى الكبد له والحفاظ على شرفهم، إلى أن تم إبعاده إلى خارج المدينة كما يبعد البعير الأجرب، كما أن شاعرنا قد

[1]- د.إبراهيم شعيب، التوخي لجمع أشعار عبد الله التخي، ط1، مطبعة السلام، الجزائر، 1998، ص19.

عرف بميله إلى مجالس اللهو والمجون، وهذا لا يمنع من أن الشاعر قد رجع عن كل ما اقترفه، وتوجه إلى ربه معترفا بذنبه طالبا عفوه ومغفرته.

وقد عاش الشاعر مع محبوبته قصة رومانسية، تذكرنا بقصص الحب في الجاهلية، إلا أن البيئة التي ترعرع فيها ابن كريو ترفض مثل هذه الأخلاق، وظل مجنون الزعنونية، وفيا لحبها إلى أن وفته المنَية سنة 1921م تاركا وراءه أدبا رائعا، جسَد فيه تاريخ المنطقة بما تضمنه من عادات وتقاليد وثقافة نابعة من الروح الإسلامية والعربية التي تشبع بها الشاعر.

1-الشاعر شهرة بلخير: هو بلخير بن الورنوقي بن مُحَّد بن شهرة، ولد خلال سنة 1895م ببلدية الأغواط، ينتسب إلى قبيلة السكاسكة (الأرباع) ، حياته بدوية في جميع أشكالها وضروبها، حياة الحل والترحال صيفا في التل وشتاء في الصحراء، سعيا وراء مراعي الأنعام.[1]

كما قام برحلتين إلى الأرض المقدسة لتأدية فريضة الحج، الأولى سنة 1962م، والثانية 1973م، وقد تركت هذه الرحلة في نفسه إحساسا مرهفا، فقال في ذلك شعرا جميلا، يهوى الشاعر الفروسية وركوب الخيل والصيد وقرض الشعر، وبقي غريبا عن منطقة الأغواط مدة 22 سنة بتيارت، ومدة 8 سنوات بورقلة.

ثم رجع إلى مسقط رأسه، هذه الغرَبة بعثت في نفسه الحنين والشوق إلى منطقته وقال فيه شعرا كثيرا، وله مشاركة فعلية إيجابية في الثورة المسلحة، أثناء رئاسة فرحات عباس، أخذ الشاعر ثقافته الأولية في الكتاتيب القرآنية المتنقلة بالبادية، وحين بلغ الشاعر أشده تأثر ببعض الشعراء المشهورين مثل عبد الله بن كريو والشيخ السماتي وسي بيطار من أولاد سيدي الشيخ، وبتأثره بهؤلاء الفحول تكونت لديه ملكة شعرية رائعة وأصبح يقرض الشعر بكل طلاقة وسهولة.

[1]- ورنيقي الشايب، لمحة عن الشعر الشعبي الجزائري، منطقة الأغواط ، مجلة الثقافة الشعبية،المجلد 11، العدد 42 31 يوليو/تموز 2018 ، 36.

وكانت هناك مناظرات شعرية تقوم بين هؤلاء الشعراء، وقد حدث أن أعترف ابن كريو بقيمة شعر شاعرنا، إذ قال له يوما: "خنقتني بشعرك" كما قال له الشيخ السماتي: "أنا أهوى شعرك" وهذا إنما هو اعتراف وشهادة تتجلى من خلالها جودة شعر شهرة بلخير وقيمته العالية.[1]

3-الشاعر ابن حرزالله بن الجنيدي: [2]هو الشيخ ابن حرزالله بن الجنيدي بن الشاهد المولود سنة (1829م-1901م) من عرش الحرازليَة، نشأ ببادية الأغواط، وكان أبوه من سادة القوم، شبَ الشاعر كغيره من فتية القوم دون أن يدخل كتابا، ورغم ذلك تفجرت فيه روح الشاعر بلا حدود، تعلق قلبه بالشيخ عبد القادر الجيلاني، حيث قال فيه من الشعر الكثير، كثر ترحال الشيخ في أنحاء الجزائر، كان الشيخ زاهدا، حضر جهاد مدينة الأغواط مع المجاهد ابن ناصر بن شهرة، وقد سجل ذلك شعرا، وجاهد مع أولاد سيدي الشيخ.

ونجد الكثير من أبناء المنطقة يحفظون من أشعاره ولا يزالون يرددونها، وذلك لمتانة شعره كالمعدن الثمين، يزداد قيمة كلما كان عتيقا، وله ديوان شعر في مختلف الأغراض وللشاعر معنى جميل يتغنى فيه بفرسه، ولشدة حبه لهذه الفرس وتعلقه، يتمنى لو أنه لا يفارق صهوتها حتى في نومه، متمنيا أن يرى نفسه في نومه ممتطيا لها.[3]

4-الشاعر دهينة دهينة بن الحاج عيسى (1885-1966):هو من أولاد بوزيان ولد بالأغواط، نشأ عصاميَا تعلم العربية والفرنسية والعبرية واللهجة الميزابية، اهتم بعلم الفلك ونال شهادة في هذا العلم عن طريق المراسلة، من فرنسا سنة 1928م، اشتغل بالتجارة مثل أخيه الحسين وانتسب لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

[1] ورنيقي الشايب: مرجع سابق، ص 38.

[2]- ديوان الشيخ ابن حرزالله بن الجنيدي، جمع الأستاذ، الشاهد مسعود، الجزائر، 1994، ص161.

[3]-الشايب ورنيقي، مرجع سابق، ص 37-38.

وهو تلميذ الشاعر ابن كريو حيث كان متزوجا ابنة عمه، ويذكر أنه أحرق شعره اثر مرض سنة 1925م، كما حكى ذلك تلميذه السيد مصطفى العمري، وما بقي من شعره يدل على فحولته، وقد أثبتنا للشاعر قصيدة طويلة منها مقتطف يحكي عن حادثة عاصرها، والقصيدة تنضوي في غرض النسيب.[1]

1 - الشاعر مُحَّد بن كركبان (1898م- 1949م)

ويعرف كذلك بمحمد الأغواطي من قبيلة أولاد عيسى (الأرباع)، ولد بمدينة الأغواط له شعر جيد لا يزال شفويا، كان يعمل خبازا، وتوفي في أواخر الأربعينيات بالأغواط، نقلنا بعض قصائده عن الحاج البشير صاروط، وعن مصطفى العمري، وعن السيد رحماني معمر، والمرحوم مُحَّد عطية.[2]

ثانيا: الغناء: أمَا الغناء فالملاحظ أن مجالسه قد عرفت ازدهارا كبيرا، إذ برزت في هذه الفترة مغنيات كثيرات، من بينهن المغنية –حابة- وعاصرتها مغنية أخرى هي –عائشة سيرَو- اللتان سجلتا الغناء بواسطة طريقة تسمى –القدوس- وهي طريقة سبقت الأسطوانات، أما عن الصوت الرجالي، فلا يمكن أن تزور الأغواط ولا تسمع بالرجل الذي كان يستنطق العود، إنه الفنان:

1-الري مالك:[3] ولد سنة 1900م من أبوين كريمين، حيث حفظ القرآن الكريم تعلم العربية والفرنسية بالإضافة إلى موهبته كعازف عود فذ، وكان صاحب صوت جميل صقله في الحلقات الدينية التي كان يصطحبه أبوه إليها، إذ كان والده منتسبا للطريقة الموساوية، أما عن لقب الرَّي مالك فهو لقب أطلقه عليه ملك المغرب – مُحَّد الخامس- إذ كان الفنان من ندمائه.

[1]-المرجع نفسه، ص39.

[2]-نفسه، ص40-41.

[3]- لزهر لبتر، **العودة إلى الأغواط ألف سنة بعد بني هلال**، دار الفارابي – الجزائر، 2002، ص27.

–رحلاته:[1]كان الرَّي مالك قد أقام عند أخيه بالجزائر العاصمة واستغل فرصة تواجده بها لتعلم فن الموسيقى، وكثيرا ما كان يرتاد المرحوم محي الدين باش تارزي.

وفي سنة 1926م، شدَّ الرحل نحو المغرب الأقصى، حيث أقام به مدة 12 سنة تعلم فيها فن الموسيقى الأندلسي على يد معلمين أجلاء، وكون فرقة خاصة للغناء كانت تنتقل بين المدن المغربية، كما أنه زار تونس وليبيا وسوريا ومصر، التي تعلم فيها الضرب على العود على يد الفنان سي الطاهر، ولم يعد إلى الأغواط إلا في سنة 1938م، وبعد عام من ذلك استدعي لأداء الخدمة العسكرية، وقد كانت أمه على فراقه فألف أغنية "يا أمي ليه تبكي عليا" يخاطب فيها أمه التي مرضت بعد ذهابه، وتوفيت ولم يسمع بخبر وفاتها إلاَ بعد ستة أشهر.

فرَ من الخدمة العسكرية ولجأ غلى إحدى الدول المشرقية، وانتهز فرصة تواجد خالته بدمشق فقصدها مما أتاح له الفرصة أن يلتقي بكبار الفنانين السوريين، أمثال عبد القادر الحجار.

ثم رجع ثانية إلى الأغواط في سنة 1942م، وفي هذه السنة تشرف الفنان بلقاء الشاعر مفدي زكريا وكان ذلك بتلمسان حيث عرض عليه الأخير أن يرافقه إلى العاصمة، وفيها بدأ يعرض فنَه في محل كان منحه إياه الشاعر مفدي زكريا، ورغم بساطته إلاَ أنَه كان قبلة الفنانين ولم يلبث أن عاد إلى مسقط رأسه 1942م.

ومع اندلاع ثورة التحرير المباركة أبى إلى أن يضع فنه في خدمة النضال، من أجل الحرية فكان يقيم حفلات يغني فيها أغاني سياسية تحريضية، مثل "أحب عيشة الحرية، أنا العربي ولد العربية"، إلاَ أنَ هذه الأغاني لم ترق للسلطات الاستعمارية فحاولت اعتقاله، إلاَ أنَه أفلت منها في آخر لحظة.

وبعد استرجاع السيادة وبالضبط سنة 1963م قصد الإذاعة التلفزيون الجزائري لتسجيل بعض الأغاني فأوصدت الأبواب في وجهه، مثلما فعل مع الفنان سي الحاج مُحَّد العنقاء،

[1]– إصدارات المركب الثقافي لبلدية الأغواط، **إحياء ذكرى الفنان مُحَّد الرَي مالك**، أكتوبر، 1992، ص5.

أسس سنة 1965م فرقة للرقص الفولكلوري، مثلت الجزائر بمهرجان أقيم في مصر، وفي 1966م أسس فرقة الأمل للموسيقى والغناء، وفي 1974م التحق بمدرسة أشبال الثورة كمدرس للموسيقى وظلَ الفنَان وفيا لفنَه، إلى أن توفي في 1983/09/27.[1]

1 – الجودي المبروك:[2]

هو العواد الساحر أو صاحب الأصابع السحرية من مواليد 1918م في حي الضَلعة بالقرب من مقر الزاوية الشاذلية من أب يدعى "عيسى" والأم "فاطمة بنت الحاج البشير بلحاج" هو الابن الوحيد الذي بقي من مجموع إخوة توفوا كلهم.

لم يتلذذ بمعرفة معنى الأبوة، لأنه ببساطة فقد أباه وهو ابن ثلاثة سنين، فتكفل به أعمامه الذين لم يبخلوا عليه بالحب والحنان اللذان هما سببا اكتمال النفس، التحق بأخواله وهو بدورهم فتحوا له صدورهم ولم يتقاعسوا على تأمين العيش له، ولأنَ روح الفنان ترفض أن تبقى محبوسة في أغلال الصدر وتتوق إلى الحرية وإلى السياحة في هذا الفضاء المترامي الأبعاد، أبى سي الجودي إلاَ أن يحقق هذه الرغبة الجاثمة على النفس وأصبح يرافق خاله إلى البستان، فتارة تراه يعمل بجد ونشاط يردد كلمات بصوته العذب الرقيق، إنَه يؤثر الصمت الذي يناجي الضمير ويعيه القلب يتلذذ بسماع موسيقى الطبيعة.

ولأنَ الابن نسخة أبيه، أراد الفنان أن يقتفي أثر الوالد فاحترف النجارة التي كانت مصدر إلهامه وإبداعه فصنع آلة العود دون أن يعلمه أحد، حيث أنَه استلهم صورة هذه الآلة من فيلم مصري في زمن السينما الجوالة سنة 1933م فحاول في المرة الأولى صنعها لكنه لم ينجح، لأنها كانت مجرد تجربة، لكن المحاولة الثانية كلَلت بالنجاح.

---

[1]– إبراهيم خميلي، **الفنان الموهوب جودي محمَّد 1900،1983**، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2013، ص9 وما بعدها.

[2]– الشايب ورنقي، مرجع سابق، ص 42. مجموعة من المؤلفين، مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط، جمع وتنظيم وتنسيق – خالد بوزياني، مطبعة السلام ، الأغواط، ص56.

ولم تتوقف مخيلة الفنان عند هذا الحد، بل راحت تدفعه دفعا إلى التفكير في اصطناع الجديد ما دامت القوة موجودة والأمل منبسط، فاستجاب الفنان لنداء النفس وتركها على سجيتها، فانطلقت تدغدغ أصابعه الذهبية لتخرج منها آلات موسيقية في غاية الجودة فهذا العود وتلك الكمان ومرة الماندولين وتارة القانون وآلات أخرى انتشرت في أرجاء الجزائر بل اتسعت شهرتها لتصل إلى انجلترا، وأمريكا، وفرنسا، وبلجيكا، والمملكة العربية السعودية.

شارك الفنان الجودي في عدة معارض منها أول معرض أقيم فالجزائر سنة 1954م حيث تحصل على الميدالية الفضية وشهادة شرفية.

في سنة 1955م شارك في معرض العشرية الثقافية في سوريا كممثل للصنَاعة التقليدية المحلية في هذا المعرض، وتحصل على شهادة شرفية.

كما نال في نفس السنة الميدالية الفضية في مسابقة لاختيار أحسن حرفي جزائري نظمتها محافظة الجزائر الكبرى، ولأَن جذوته لم تعرف الخمود، راح يطمح إلى الظَفر لكل مستلزمات الموسيقى، من تأليف للكلمات وتلحين لها، فألف مجموعة من الأناشيد الوطنية مثل: "صلاة لنبي الحبيب" و "الأنوار سطعت في الوادي" و "نيل المران في الجزائر بالأمل".

كما أنَه يعتبر من السبَاقين إلى تأسيس فرقة الثريا سنة 1945م، رفقة صديقه الرَي مالك وقد كانت هذه الفرقة تحيي الحفلات الدينية والوطنية في ربوع الوطن، ولأن معظم أناشيدها كانت من وحي الثورة منعت من مواصلة عملها الجهادي بدرجة أولى، وتمَ إغلاق مقرها الرسمي بالأغواط سنة 1948م، فعاد الفنان إلى محله المتواضع لصنع الآلات الموسيقية[1].

[1]- لزهاري لبتر، المرجع السابق، ص23.

المبحث الثاني: دور الزوايا و الطرق الصوفية وأثرها الثقافي في الأغواط:

1/ الوضع الثقافي ووسائل التعليم: كان سكان المنطقة يرون التعليم عندهم من بين الاهتمامات الأولية بالرغم من فقرهم و ضيق الحاجة لديهم ، فقد كانوا يبعثون بأطفالهم إلى الكتاتيب ليتعلموا القراءة و الكتابة و حفظ القرآن الكريم و ذلك امتثالا لحث الدين على التعليم ، كما ينطلق من تقاليد الجزائريين الراسخة و هي احترامهم للإنسان المتعلم و تقديرهم للعلم في حد ذاته ، و هذا ما يفسر لنا كثرة انتشار الكتاتيب و المساجد و الزوايا عبر كافة أنحاء القطر الجزائري عامة و الأغواط خاصة [1]، لقد كان لهذا التعليم رغم بساطته و قلة إمكانياته تنظيما محكما سواء ما تعلق بالجانب التربوي البيداغوجي أو التسيير القانوني و المالي ، فقد كان هناك توزيع و جدول زمني للحصص التعليمية يراعى فيها توزيع الحصص على المتلقين في ساعات الصباح و ساعات أخرى بعد الظهر مخصصة للمراجعة لتثبيت الحفظ و ترسيخه ، بعدها تخصص أوقات للمراجعة بعد العصر ، كما كان هناك توزيعا لأيام الأسبوع بين القراءة و التعلم و الاستراحة . كان أساس التعليم في الزوايا و الكتاتيب هو الدين ، فحفظ القرآن الكريم كان عمدة التعليم و كانت القراءة و الكتابة تابعة لهذا الحفظ ، كما كان تعلم بعض العلوم الأخرى مثل علم الحديث و الحساب يهدف إلى غرض ديني هدفه معرفة الفرائض و قسمة التركات بين الورثة [2] و يعتبر أي نظام تعليمي في الوقت المعاصر هو نتاج مستمر لسنوات عديدة من التجارب التعليمية الفاشلة أو الناجحة في آن واحد ، فكذلك الحركة الإصلاحية في الجزائر عامة و الأغواط خاصة قد جاءت نتيجة التجارب السابقة [3] .

أما الجانب القانوني لهذا التعليم فقد كان له عرف و تقاليد تحكمه ، حيث يبدي المتعلم فيه الطاعة لمعلمه و شيخه ، و يحترم نظام التعليم من حيث التوقيت و الأجرة و الانتقال من مستوى إلى

---

[1] –حسان صحبي ، النظام التربوي الاستعماري في الجزائر ، ط1 ؛ رياض العلوم للنشر و التوزيع الدار البيضاء ، الجزائر ، 2005 ، ص 39.

[2]– أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ، ص 315.

[3]– أبو القاسم سعد الله، " مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830 –1954 دراسة مركزة على الجزائر " ،مجلة الثقافة عدد 79 يناير – فبراير 1984 ، ص 80

آخر ، لقد كانت هذه الأمور تحترم تلقائيا حتى و إن لم يحددها نص قانوني مكتوب أو مقيد ، أما بالنسبة للمصاريف أو الميزانية التعليمية فقد كانت تجمع إما من تبرعات السكان أو من هبات الأوقاف التي كانت في شكل عقارات و أراضي أو دكاكين و ديار و غيرها كثير ، و كانت تستعمل في أغراض كثيرة منها العناية بالعلم و العلماء و الطلبة الفقراء و العجزة و اليتامى و أبناء السبيل ، ومن أهم أغراضه العناية بالمساجد و المدارس و الزوايا و الأضرحة [1].

و يشرف على الوقف شخص معين يسعى إلى استغلال المؤسسات الموقوفة لصالح الكتاب أو المدرسة أو الزاوية . و بفضل نظرة الأهالي المقدسة للعلم و نظامه و أوقافه عم التعليم و انتشر و شمل كل أإرجاء القطر الجزائري بمؤسسات متنوعة.

زخرت مدينة الأغواط بوجود عدة فقهاء إبان القرن الثامن عشر ، بن ناصر الدرعي الذي دون أخبار رحلته إلى البقاع المقدسة على رأس موكب حجيج من المغرب ، وكان ذلك في كتابه المعروف بالرحلة الناصرية ، فذكر فيها :" أن فقهاء الأغواط في تاريخها مُحَّد بن كسيمة أو كسمية ، و أحمد بن إدريس ، ومُحَّد بن خليفة و عبد الرحمان الفجيجي ، و إسماعيل العينماضوي ، و أن كبير عين ماضي في تاريخ الرحلة هو السيد أحمد الدهصاء ، و أولاده عبد الرحمان ومُحَّد و الزروق و فقيهها أبو حفص ، ومُحَّد بن عيسى مؤدب الأطفال ، و في تاجموت أحمد بن بركة ، و كذلك كان في الأغواط مُحَّد بن أحمد بن يحي ، ومُحَّد و أحمد ابنا بوزيان "[2]

إذا درسنا هذه الوثيقة نستنتج من العدد المذكور لهؤلاء الفقهاء حرف الجر (من) الوارد في بداية جملة ابن ناصر يفيد و يدل لغة على التبعيض أي إمكانية وجود فقهاء آخرين لم يأت ابن ناصر على ذكر أسمائهم ،كما يمكن أن يكون العدد المذكور لهؤلاء الفقهاء مرتفعا إذا ما قيس بعدد السكان آنذاك ، ومما تجدر الإشارة إليه أن ابن ناصر قد توجه إلى البقاع المقدسة مرتين ،كانت الأولى سنة

[1]– أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ص 230 .

[2]– أبو القاسم الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم مُحَّد رؤوف القاسمي الحسني المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية رغاية ، الجزائر ، 1991 ، ج 2 ص 417 .

1685م و الثانية سنة 1709 م ، و قد مر في كلتا الرحلتين بمدينة الأغواط ، إلا أنه اكتفى بتدوين تفاصيل سفره الثاني في مؤلفه الذي أسماه الرحلة ، و للاستدلال على حدوث هاذين السفرين إلى الحج نذكر ما يلي :

أشاد ابن ناصر بأهل بلدة عين ماضي حين مروره بها في سفره إلى الحج سنة 1709 م ، و قد أشار بصريح العبارة أنه مر بهذه البلدة في حج ست و تسعين أي سنة 1096 هـ الموافق لسنة 1685 م .

أما أبو القاسم الحفناوي الذي كتب كتابه تعريف الخلف برجال السلف بتشجيع ووحي من جونار ، يقول [1] : في رسالة بخط الشيخ أحمد بن طالب مفتي مدينة الأغواط في التاريخ ما نصه :" مشاهير فقهاء الأغواط هم مُحَّد بن المشري من عرش أولاد السائح ، له ثلاثة تآليف هي (الجامع) و (مواهب المنان) و (نصرة الشرفاء) وكانت وفاته سنة 1224 هـ (1809) م في عين ماضي محل إقامته ، و سحنون بن الحاج أحمد توفي سنة 1233 هـ (1818م) ، و عبد الرحمان بن مُحَّد المتوفي سنة 1183هـ(1769 م) و إسماعيل بن الحاج عبد الرحمان المتوفي سنة 1221هـ(1806م) ، وبلقاسم بن أحمد المتوفى سنة 1236هـ(1820م) ، و الحاج مُحَّد التومي المتوفى سنة 1237 هـ (1821م) ، و أحمد بن سحنون المتوفى سنة 1253هـ(1837م) ، و النوي بن قرين المتوفى سنة 1261هـ(1845 م) ، والحاج عبد القادر بن الحاج مُحَّد المتوفى سنة 1268هـ(1851م) ، و سليمان بن سعد المتوفى سنة 1268 هـ (1851م) ، ومُحَّد بن إسماعيل المتوفى سنة 1269هـ(1852م) ، وبلخير بن المبروك المتوفى سنة 1269 هـ (1852 م) ، والشيخ زين الدين المتوفى سنة 1314 هـ (1896 م) ، قال : و هؤلاء كلهم ليس منهم من له تأليف كبير أو صغير في فن من الفنون رحمهم الله أجمعين ، و الحقيقة أننا لا نساند هذا الكم لسببين اثنين : أولهما أنم البحث في تاريخ مدينة الأغواط لا زال سطحيا ولم يكشف النقاب عن كل ما تختزنه بعض الزوايا المحلية مثل الزاوية التيجانية ، و رغم ذلك فقد تم معرفة بعض العناوين لمؤلفات الشيخين أحمد بن سحنون و

[1]- أبو القاسم الحفناوي ، المرجع نفسه ، ص 416 .

الشيخ ابن الدين [1]اللذين جاء ذكرهما ضمن القائمة المذكورة أعلاه ، والتي حكم فيها على أعلامها بما أشرنا ، و سنأتي على ذكر أهم مؤلفاتهما فيما بعد ، و هذا ما يعزز من احتمال ممارسة عملية التأليف من طرف بعض الفقهاء الآخرين .

ثانيهما أننا لا نستبعد أن يكون ابن الطالب ،الذي بعث بالرسالة إلى الحفناوي ، قد أصدر حكمه المذكور من أجل مغالطة الإدارة الاستعمارية التي كانت تسعى بكل جهودها إلى إتلاف التراث الثقافي ومصادرته

ومن هنا يتبين لنا أن مدينة الأغواط كانت مليئة بالعلماء والفقهاء الذين تلقوا تعليمهم الأولي حتما داخل المدينة ومن معلمين محليين وكانت ثقافتهم التقليدية تمنعهم من هضم الحضارة الجديد التي جاء بها الفرنسيون ،كما تحول البعض منهم إلى محاربين أو مناضلين [2]، وفضل البعض الآخر منهم الهجرة إلى مناطق تلائم تكوينهم سواء في الداخل أو الخارج

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : أين كان يمارس هذا التعليم ؟ وهل كان نقليا أم عقليا ؟

وللإجابة على هذا التساؤل نلاحظ أن مدينة الأغواط بحكم موقعها الجغرافي ومكانتها العلمية والسياسية فقد كانت محطة لتفاعلات أغلب الطرق الصوفية التي كانت تمارس التعليم داخل الزوايا ، وكان لهذاه الأخيرة دور إيجابي في التعليم خاصة ، فإلى جانب وظيفتها الدينية كانت تمثل معاهد لتعليم الشبان وتنوير العامة [3] ، فكل عالم من زاوية كان بمثابة مدرسة متنقلة ومكتبة مفتوحة ، وحركته

[1]– أورد الحفناوي في تعريف الخلف اسم الشيخ زين الدين ضمن فقهاء الأغواط و لا يوجد فقيه بهذا الاسم في المدينة ، و بالتأكيد هو الشيخ ابن الدين .

[2] – الشيخ أحمد بنبلحاج بن أبي القاسم بن علي بن معمر بن عبد الجليل شقيق السيد عبد الرحمن الفجيجي من عرش المغاربة ، كان من مريدي الطريقة الناصرية ثم أخذ الورد مباشرة عن الشيخ سيدي موسى بن حسن زعيم الطريقة الموساوية ، واستشهد معه في انتفاضة الزعاطشة سنة 1849 إلى جانب الشيخ بوزيان ، أنظر حول الموضوع :
بشير بديار " أعلام الثقافة بمنطقة الأغواط خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري " مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط أعمال الملتقى الأول لاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الأغواط 14-16 أفريل 1998 ص 114

[3]– أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي مرجع سابق ، ص 268

كانت تشكل ما نسميه اليوم بوسائل الإعلام وتبادل الخبراء والكتاب ونحو ذلك من وسائل الاتصال العلمي [1].

2/أهم الزاويا والطرق الصوفية:

أولا: الزاوية القادرية : تنسب هذه الزاوية إلى الصوفية القادرية التي كانت من أولى الطرق الصوفية التي ظهرت في العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري والتي سميت نسبة إلى مؤسسها الشيخ محي الدين أبو مُحَمَّد عبد القادر الجيلاني أو الكيلاني [2]بن أبو صالح موسى الحسني نسبة إلى مدينة الجيلان بالقرب من بغداد ، و كان سيدي الغوث هو أول من أدخل هذه الطريقة إلى الجزائر ، و هي قديمة في مدينة الأغواط ، لكننا نجهل اسم أول من أدخلها إلى هذه المدينة و في أي تاريخ كان ذلك بالتحديد ؛ لكن من أبرز روادها في هذه الفترة المدروسة نذكر الحاج بالعربي موتح الذي كان مقدم على رأس هذه الطريقة بإيجازة من شيخها في تونس ، و الذي لم يترك أي مطبوع أو مخطوط ما عدا أنه ينسب إليه إعادة بناء قبة أو مقام الشيخ عبد القادر سنة 1896م بالأغواط ، أما ابنه الحاج الطيب بن الحاج العربي فقد ولد سنة 1854 م و آلت إليه رئاسة الطريقة القادرية بعد وفاة أبيه ، و قد جدد هو الآخر بناء القبة المذكورة آنفا سنة 1929 م و كانت وفاته في السنة الموالية أي سنة (1930[3]، ولم يترك هو الآخر أي مطبوع أو مخطوط ما عدا أن هذه الطريقة تحمد على مساهمتها في بعث النهضة التربوية و الثقافية في الأغواط ، و ذلك لعلاقتها الوطيدة بالشيخ عبد العزيز بن الهاشمي الذي يؤول إليه الفضل في استقدام الشيخ الزاهري للتدريس في مدينة الأغواط ، و سنذكر ذلك لاحقا في الفصل القادم .

---

[1]- نفس المرجع ، ص444

[2] ولد الشيخ عبد القادر الجيلاني سنة 471هـ /1078 متوفى في مدينة الجيلان عن عمر يناهز 90 سنة في 8 ربيع الثاني 561 هـ /11فيفري 1166م للاطلاع أكثر حول الطرقة القادرية أنظر :

R,P, Louis petit ,Les confréries musulmanes Ed ,Librairie Bloud et Barral , Paris 1899, p10 ,Et voire aussi Louis Rinn ,op ,cit ,pp173 ,174 .

[3] عطا الله طالبي ،" صور من الحياة الثقافية في مدينة الأغواط بين القرن 18م – 20م "، مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط ،أعمال الملتقى الأول لإتحاد الكتاب الجزائريين فرع الأغواط 14-16 أفريل 1998 ، ص 24.

ثانيا : الزاوية الناصرية : تعتبر أحد فروع الطريقة الشاذلية و هي تنسب إلى مؤسسها الشيخ مُحَّد بن ناصر الدرعي المغربي ، وهو والد الشيخ أحمد بن ناصر صاحب الرحلة الناصرية ، و قد حاول السلطان المغربي مولاي مُحَّد الشيخ توفي سنة 1030هـ/ 1621 م استغلال هذه الطريقة لبسط نفوذه و سلطته في عدة مناطق [1] .نعتقد أن الأغواط كانت ضمن مخططاته ، إذا ما علمنا أن هذه المدينة قد تعرضت للسيطرة المغربية سنة 1708 م في عهد السلطان مولاي عبد المالك ، ومما تجدر الإشارة إليه هو أن الشيخ أحمد بن ناصر صاحب الرحلة قد مر بالأغواط أثناء حجه إلى البقاع المقدسة مرتين الأولى سنة 1685م و الثانية في سنة 1709 م ، و قد أرخ خاصة لهذه الرحلة الأخيرة ، و استطاع أن يكسب أتباعا و مريدين لطريقة والده ، ومن مشاهير هذه الطريقة نذكر الشيخ سيدي الحاج عيسى و حفيده ابن الدين و الشيخ أحمد بن الحاج و البشير بن التاوتي و غيرهم .ومن بين أهم المؤلفين في هذه الطريقة نجد الحاج ابن الدين الأغواطي الذي ألف الرحلة المسماة برحلة الأغواطي في شمالي إفريقية و السودان و الدرعية كتبها في حوالي 1828م ،و قد ترجمها عن العربية إلى الإنجليزية ويليام ب . هودسون قنصل أمريكا بالجزائر ، و المراسل الأجنبي للجمعية الملكية الآسيوية (لندن) ، طبع بمؤسسة الترجمة الشرقية سنة 1830 م لندن ، ترجمها من الإنجليزية إلى العربية الدكتور أبو القاسم سعد الله [2] ، كما تم العثور على بعض المؤلفات التي تنسب كذلك للشيخ ابن الدين و هي : الإبريز المنسبك في تفضيل الآدمي على الملك ، رسالة الكواكب الدرية في جواب من سأل عن الحقيقة المحمدية تقييد أو شرح على فصوص الحكم [3].

---

[1]- Louis Rinn , op. cit 278, 279

[2]- أبو القاسم سعد الله ،أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ،1990 ، ج 2 ، ص 243-268 .

[3]- بشير بديار ، مرجع سابق ، ص 117-118 .

أما البشير بن التاوتي فقد نسخ هو الآخر جزءا تفسير القرآن الكريم للعلامة الخازن ، جاء في صفحته الأولى (تم نسخ هذا الجزء من طرف البشير بن التاوتي الأغواطي نشأة و المالكي مذهبا و الأشعري عقيدة و الناصري طريقة) [1]

ثالثا: الزاوية التيجانية : تنسب إلى الطريقة الصوفية التي أسسها الشيخ أحمد بم مُحَّد بن المختار بن سالم التيجاني (1737- 1815 م) امتد تأثير هذه الطريقة إلى الأغواط بحكم الموقع القريب لعين ماضي من الأغواط و كثرة تردد الشيخ التيجاني على المنطقة خاصة حين تأسيسه لزاويته وذكره الخاص سنة 1781 [2]ببوسمعون .

ومن أبرز أعلام هذه الطريقة بالأغواط نذكر : الفقيه السيد أبو عبد الله مُحَّد بن المشري الحسني السايحي التقرتي الدار ،كان من خاصة الخاصة من أصحاب الشيخ التيجاني ، اتخذه إماما في الصلاة و كاتبا له يقوم مقامه في الرسائل و الأجوبة ، ومؤلفا لما سمعه أو عليه أملاه ، من بين أهم ما ألفه ، كتاب الجامع لما افترق من العلوم في جزأين ويسميه البعض بالكناش لأنه يحوي أغلب أمالي الشيخ أحمد التيجاني ، وكتاب نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء ، لازم الشيخ التيجاني نحو ثلاثين سنة وتوفي بعين ماضي سنة 1224هـ (1809م) [3]

كما نجد السيد أبو عبد الله سحنون بن الحاج الأغواطي ،كان من علماء الطريقة التيجانية المرجوع إليهم في علمي المعقول و المنقول ، وكانت الحجاب : ولدي الشيخ سحنون مُحَّد و أحمد ضمن فقهاء الطريقة التيجانية ، و يضيف إليهم أبو العباس أحمد بن معمر الأغواطي المعروف بابن سالم و الذي كان من أفاضل الخاصة للشيخ التيجاني ... كما يذكر كذلك الشريف سيدي عيسى بن خراز الأغواطي و السيد أحمد بن إسماعيل الأغواطي الذي يصفه بالفقيه الأستاذ العلامة النقاد ذو

[1]- عطا الله طالبي ، مرجع سبق ذكره ، ص 34،35 .

[2]- غادر الشيخ أحمد التيجاني عين ماضي بصفة في حوالي سنة 1213هـ/ 1798 م و استقر بمدينة فاس بالمغرب ، إنظر : - Arnaud,op. cit, p 471 .

[3]- أحمد بن الحاج العياشي سكيرج ،كشف الحجاب عمن تلاقي مع الشيخ التيجاني من الأصحاب ط3؛ المكتبة الشعبية بيروت ، لبنان 1408هـ/ 1988م ، ص 149،150.

البصيرة المنورة و النفس المطهرة ، و الذي كان يشتهر بحسن تلاوته و تجويده للقرآن العظيم حتى انفرد بعلم التجويد ، كما يذكر السيد أبو عبد الله مُحَّد بن سلامة المضاوي و السيد مُحَّد بن مُحَّد بن جغنون و أخوه السيد أحمد الأخضر الأغواطي [1].

ونتأسف أن أحمد بن سكيرج مؤلف كتاب كشف الحجاب اهتم أكثر بذكر الأشخاص الذين التقوا مع الشيخ أحمد التيجاني دون أن يركز على ما ألفوه من كتب في التفسير أو في علوم القرآن الكريم ما عدا البعض . وعلى الرغم من ذلك استطاع بعض الأساتذة المهتمين بتاريخ المنطقة كشف اللثام عن بعض الكتب التي لا زالت عبارة عن مخطوطات وتنسب إلى الشيخ ابن المشري مثل : مواهب المنان لأعيان الصوفية و الإخوان ، روض المحب الفاني فيما تلقيناه من أبي العباس التيجاني ، السراج الوهاج اقتطاف ياقوتة المحتاج في الصلاة على سيد المعراج ، شرح الرسالة الفقهية (شرح رسالة أبي زيد القيرواني) [2] .

ثالثا: الزاوية العزوزية : وهي طريقة صوفية تفرعت عن الطريقة الرحمانية ، وتنسب إلى الشيخ مُحَّد بن عزوز المولود بالبرج قرب مدينة بسكرة ، وقد خلف هذا الشيخ أولاد نذكر منهم : الشيخ لحسن الذي كان خليفة للأمير عبد القادر في منطقة الزيبان و الشيخ مصطفى العدو اللدود للفرنسيين منذ 1849 و إليه يعود الفضل في تأسيس الزاوية الرحمانية الرحمانية بنفطة و التي كانت مأوى للاجئين و المطرودين من الجزائرين ، أما الشيخ المبروك فقد انسحب إلى مدينة الأغواط و أسس بها الطريقة العزوزية (الرحمانية) منذ خمسينات القرن التاسع عشر بعدما ضايقه الفرنسيون في منطقة الزيبان ، و قد ساهمت هذه الطريقة مساهمة معتبرة في المجالين الديني و الاجتماعي كقيامها بتحفيظ القرآن الكريم و إيواء الفقراء و المحتاجين ، و بعد تولي الشيخ الأزهاري رئاسة هذه الطريقة

[1] أحمد بن الحاج العيشي سكيرج ، مرجع سابق ، ص519 .

[2] بشير بديار ، مرجع سابق ، ص 107-109 .

في حوالي 1903 م حرص على تعميم التعليم و استقدم الشيخ مُحَّد العاصمي للتدريس في مدينة الأغواط [1]

رابعا: الطرق الصوفية الآخرى : تتميز مدينة الأغواط بأهمية موقعها بوصفها ملتقى القوافل الآتية من السودان الغربي ، و بذلك انتشرت بها عدة فروع للطرق الصوفية الأخرى مثل الطريقة الدرقاوية التي تفرعت عن الطريقة الشاذلية ، وقد بدأ في نشر تعاليمها في المنطقة الشيخ موسى بن حسن المصري [2] حين حلوله بها سنة 1829 م و لذلك أصبحت تسمى فيما بعد بالطريقة الموساوية ، فقد تردد على حلقاته العديد من فقهاء و أعيان المدينة نذكر منهم المشايخ قازي بن البوزياني و أحمد بلحاج و بوهلة مُحَّد و غيرهم [3].

كما انتشرت في الأغواط الطريقة السنوسية التي تنسب إلى مؤسسها الشيخ مُحَّد بن علي السنوسي (1790 م/ 1859م) ،فقد برزت هذه الطريقة أكثر بين سنتي 1822 م و 1830 م ، و استقر شيخها بالأغواط مدة قصيرة إلا أنه رحل منها إلى مسعد و قابس نحو المشرق العربي [4]؛ و رغم هذه الإقامة القصيرة في الأغواط إلا أنه استطاع أن يكون مريدين لطريقته في المدينة ، إذ نجد أن الطريقة السنوسية مفتوحة لجميع المريدين والمقاديم من الطرق الأخرى ، فهي لا تلزم أتباعها بأن يقطعوا انتماءاتهم السابقة بالطرق الأخرى [5].

و قد تراجع دور الزوايا في المنطقة بسبب سياسة الاحتواء التي اعتمدت عليها السلطة الاستعمارية ، و كذلك إغلاق العديد من مدارسها و طرد معلميها ،كما أنها سنت قانونا يمنع تنقل

---

[1]- عطا الله طالبي ، مرجع سابق ، ص 30

[2]- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية ،ج1 ، مرجع سابق ، ص137

[3]-عطا الله طالبي ، مرجع سابق ، ص28

[4]- رحل الشيخ السنوسي من الأغواط نظرا للمنافسة العنيدة و القوية للطريقة التيجانية انظر :

- Dupont et Coppolant , les confreies religieuses musulmanes Ed = jourdan , Alger, 1897 p 64

[5]-Ibid p 26

الأشخاص من مكان لآخر بدون رخصة ، فكان ذلك عقبة في وجه طلبة العلم . و باسم سياسة الدمج حددت المدارس القرآنية بدقة و روقبت مدراس الزوايا واغلقت وازعجت ..... وتناقص عدد معلمي القرآن والمدرسين ، ومنذ ذلك الحين تقهقرت معرفة اللغة العربية ، إذا كانت لا تدرس [1]كما منع فتح المدارس العربية وبخاصة منذ صدور قانون 18 اكتوبر 1892 الذي يقضي بعدم فتح آية مدرسة إلا برخصة من السلطات الفرنسية ، ولكي هذه الرخصة تم وضع عدة إجراءات منها :

-الاستعلام عن صاحب الطلب ،أي معرفة كل ما يرتبط بحياته وانتماءاته .

-قبول عدد محدود جدا من التلاميذ في هذه المدارس .

وفي 24 ديسمبر 1904 صدر قانون يمنع فتح أية مدرسة لتعليم القرآن إلا برخصة من السلطات[2] ، وإذا ما سمح بفتحها تبعا للشرط السابقة فإنه يمنع عليها تدريس تاريخ الجزائر وجغرافيتها.

وعندما استولت سلطة الاحتلال على الأوقاف حرمت المساجد والمدارس من موردها الأساسي الذي كان يمونها ،فتضائل ردودها ثم انعدم في جهات كثيرة ، إلا في الحالات التي تدخل فيها السكان للتكفل بحاجيات المعلم الذي أصبح يتعاقد مع العرش أو الدوار فيما يدعى : مشارط .

المبحث الثالث: السياسة الثقافية الفرنسية في الأغواط :

1/ محاربة الثقافة المحلية: إن كل استعمار استيطاني يعد بالضرورة استعمارا ثقافيا يهدف إلى محاولة طمس الهوية الوطنية للبلد المستعمر (بفتح الميم) وفي هذا الصدد فإن لمحة عابرة عن التخريب الهمجي الاستعماري لمدينة الأغواط حين اجتياحها تؤكد لنا هذه الحقيقة الأليمة، وذلك عندما قامت سلطة الاحتلال بالعبث في المساجد وتحطيمها، وفي هذا الصدد قامت سلطة الاحتلال الفرنسي بالعبث في المساجد وتحطيمها مثل تحطيم مسجدي بوطة وسيدي العربي ، أو تحويل البعض إلى

[1]- شارل روبير أجيرون ، تاريخ الجزائر المعاصرة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ص 106ص107.

[2]-رابح تركي، التعلم القومي والشخصية الجزائرية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري، 1985، ص168.

كنائس ومستودعات مثل مسجد الأحلاف الذي حول إلى كنيسة ، وبعد تشييد كنيسة جديدة استلمته البلدية الاستعمارية وجعلته مستودعا إلى أن اشتراه الخليفة جلول وأعاد تحويله ثانية إلى مسجدا [1]، أو تحويل البعض إلى مستودعات [2]، كما سارعت أيضا إلى تأسيس كنيسة [3] وسط المدينة لتنفيذ الأغراض التنصيرية والتبشيرية بها، على غرار ما انطلق العمل به في منطقة القبائل وبعض المدن الصحراوية[4].

لم تكن الصحراء في عمومها محل اهتمام كبير من قبل المعمرين الفرنسيين إلا في مطلع القرن العشرين ، وذلك نظرا إلى طبيعتها الطاردة المفقرة والموحشة ووضعيتها الأمنية الثائرة ضد الزحف الفرنسي وضعف الوسائل التي تمكن الإنسان من استغلالها ،فشرعت لها الإدارة الفرنسية ما يسمى بنظام أقاليم الجنوب المتميز بطبيعته العسكرية واستقلاله المالي عن الشمال الجزائري [5] ،إلى جانب شروع هذه السلطات في فترة مبكرة في إنشاء أول مدرسة سنة 1864م لتسريب الثقافة واللغة الاستعمارية، وافتتاح أخرى للبنات سنة 1906م تحت إشراف الأخوات البيض[6].

ومن نافلة القول إن هذه المدارس تعد النواة الأولى لنشر السموم التثقيفية التغريبية، وسخرت من أجل تمريرها بعض النشاطات التي تبدو إنسانية الهدف، مثل فتح مستوصف مجاني للأهالي والذين

[1]–عطا الله طالبي ، مرجع سابق ، ص 37.

[2]- Jean Melia : op.cit, p113 -

[3]– بدأ العمل في إنجاز هذه الكنيسة منذ أواخر القرن 19م ليتم في مطلع هذا القرن 1900م، وظلت هذه الكنيسة على امتداد التاريخ الاستعماري، وما بعد استرداد الاستقلال، إلى أن تم تحويلها في أواخر 1970م وبدايات 1980م إلى مكتبة ثم إلى مركز للدائرة الأثرية بهذه المدينة.

[4]– خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830م–1871م مطبعة دحلب– الجزائر، سنة 1977م، ص155.

[5]– الحاج موسى ابن عمر ، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1945 –1962 منطقة ميزاب : دراسة نموذجية للسياسة الفرنسية وتوجهاتها الاستعمارية ، مذكرة نهاية السنة الثانية ماجستير ،1993/1992 ، مكتبة قسم التاريخ ،081 م م ص 5.

[6]- George HIRTZ op.cit, P42.

سمح لهم كذلك سنة 1906م باقتناء حاجياتهم الصيدلانية من المستشفى العسكري. [1] وغيرها من الإجراءات المماثلة لهذا المجال والتي ستصدم بسهام الوعي الوطني.

كما قامت سلطة الاختلال ، بعد تمكنها من المقاومة في الأغواط في 4 ديسمبر 1852 ،بملاحقة الشخصيات البارزة والعلماء والفقهاء وتصفية الكثير منهم ، وعلى سبيل الحصر نذكر افتخار النقيب دي براي Dubarailفي مذكرة بذهابه لاغتيال قاضي مدينة الأغواط [2] .

وإضافة إلى تلك الأساليب المستعملة قامت فرنسا بطمس الطابع العمراني المحلي للمدينة ، و ذلك بتأسيس القلاع و الثكنات و التحصينات المختلفة التي لا زالت قائمة إلى اليوم شاهدة على الهمجية الاستعمارية ،كما قامت بتأسيس كنيسة منذ مطلع القرن العشرين هدفها نشر المسيحية و التبشير على غرار ما انطلق العمل به في منطقة القبائل و بعض المدن الصحراوية الأخرى [3]

2/التعليم الفرنسي في الأغواط: لم يكن الجنوب بمنأى عن المراسيم و النصوص القانونية التي أصدرتها سلطة الاحتلال في مجال التربية و التعليم ، لقد مر التعليم الأهلي في الجزائر بمرحلتين هامتين من 1830 إلى 1904 :

-المرحلة الأولى : تمتد من 1830 - 1867 تميزت هذه المرحلة بانعدام التعليم التبشيري الأهلي رغم وجود التعليم التبشيري الموجه لأبناء الأوربيين ، إلا أنه لم يستطع استقطاب اهتمام الجزائريين لكي يرسلوا أبناءهم إلى مدارسه ، و يعود عزوفهم إلى طبيعة التعليم المقدم ، إذ يفرض على التلاميذ دراسة مادة التربية الدينية المسيحية إلى جانب التراتيل الدينية التي يقوم بها التلاميذ كل يوم ثلاثاء و سبت، كما كانت تعلق على جدرانها صور الصليب و الصلبان ، ففي 16 أفريل 1853 م صدر مرسوم ينص على إنشاء مدارس عرفت باسم المدارس الكاتشية catechistes ذات التوجه

[1]- ibid, p41.

[2]-Dubarail , op ,cit,pp24-76

[3] الحاج موسى ابن عمر ، مرجع سابق ، ص 26

المسيحي [1]، هدفها العمل على تمسيح الأهالي ، فقد نعت الكاردينال لافيجري الأمة الجزائرية بالأمة الكافرة [2]لتركها المسيحية و اعتناقها الإسلام ، ففي نظره يكفي التحدث للجزائريين عن دينهم القديم حتى يعودوا إليه تدريجيا ، و يعتبر هذا المرسوم بداية لأول عمل رسمي للنشاط التبشيري عبر التراب الجزائري ، كما أنه إكمال لمشوار الاحتلال بأسلوب آخر ، فقد جاء على لسان الجنرال لموريسيار Lamoriciere: " لقد قدم البارود و الحربة ما عليهما من واجبات ، الآن جاء دور المسيحية لتكمل المشوارالذي بدأناه " [3] ، و لقيت الكنيسة كل المساعدات المادية و المعنوية من طرف الضباط العسكريين ، و هذا يدل على تكامل سياسة القهر و البطش و سياسة التبشير و التمسيح ، فهما صورتان لعملة واحدة ، وجه يحمل البارود و الحرية ووجه يحمل الكنيسة و المدرسة .

– المرحلة الثانية : 1867 –1904 تميزت هذه المرحلة بتعيين المطران لافيجري أسقفا جديدا على الجزائر ، و هو الذي أشهر سيفه ضد الإسلام و لوح بعلم التبشير المسيحي وكان متحمسا لخدمة مصالح فرنسا الاستعمارية في الجزائرية عامة و منطقة القبائل و الصحراء خاصة .

و في سنة 1856 دشنت أول مدرسة في مدينة الأغواط ، و كانت أول مدرسة في الجنوب ، كانت في سنواتها الأولى مقتصرة على أبناء المعمرين و اليهود ، ثم فتحت أبوابها إلى أبناء المنطقة خاصة أبناء العائلات الكبيرة الموالية للاستعمار ، كما تم فتح مدارس فرنسية أخرى مثل سنة 1863

[1] الكاتشية : تعليم ديني ابتدائي ، مقدم خاصة إلى الأطفال ، إذ قال أحد المبشرين الملقنين لهذا النمط من التعليم :" إذا حدث أن مات كل القساوسة ، فإن المسيحية ستبقى حية بواسطة هؤلاء ". أنظر :

– مُحَّد الطاهر و علي ، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 دراسة تاريخية تحليلية منشورات دحلب ، الجزائر 1997 ص 73 .

[2] يعتقد لافيجري أن إسلام الجزائريين سطحي ، يكفي دعوتهم إلى دينهم القديم حتى يرجعوا إليه ، انظر

–مُحَّد الطاهر و علي ، نفس المرجع ،ص 61,62 .

[3]– serge Jouin et Marcel Lesne et Louis Rigaud et Jacques Simon , L'ecole en Algerie :Preface de Jacques Berque , Centre sociaux educatifs De La Regence aux 1962-1830 Nourredine Saadi Publisude , Alger , 2001 p . 28

في كل من الأغواط المدينة و عين ماضي [1] ، و ابتداء من 1859 أنشأت أخوات الإحسان les sœurs de la charite مدرسة بالأغواط كانت في البداية تستقطب الأيتام [2] ومنذ 1868 نقل الآباء البيض مراكزهم التبشيرية إلى الأغواط وتم إنشاء مدرسة خاصة بالأخوات البيض les sœurs blanches و عممت في ورقلة سنة 1873 ، و توقرت سنة 1878 و القليعة أو المنيعة سنة 1880 ثم البيض سنة 1890 [3] ، و رغم الإدعاءات الفرنسية و طرحها لفكرة المساواة بين الفرنسيين و الجزائريين ، و إصدارها لقانون 1944 الذي ينص على إجبارية التعليم علة كامل التراب الجزائري [4]، إلا أن الواقع كان يعكس صورا أخرى منافية لما يشاع ، فلم تشهد مدينة الأغواط بناء مدرسة جديدة أخرى منذ 1920 إلى غاية بدايات الخمسينيات من القرن العشرين أي سنة 1952.

رأى الفرنسيون أن اللغة العربية هي إحدى أبرز مقومات الشخصية الجزائرية ، وز أن بقاء هذه اللغة يعني بقاء الشخصية الوطنية للجزائريين ،التي تناقض حضارتهم و تعرقل أهدافهم و مشاريعهم ، ولهذا عملوا للقضاء عليها بمختلف الطرق ، و لتفكيك المجتمع الجزائري و فصله عن ماضيه ليسهل ضمه و دمجه ، وبذلك رأى الفرنسيون أن تعليم اللغة الفرنسية لأبناء الجزائريين هو السبيل السهل للسيطرة عليهم [5]

[1]-George Hirts , Laghouat , Les Larbaa , Les Mekhalifs , La Zaouia Tidjania Essai sur evolution sociele et politique de la region de Laghouat Ed . Marseille 1989 pp 11-12

[2]- Odette petit , op . cit .p 44

[3] محمد الطاهر و علي ، مرجع سبق ذكره ، ص 115

[4]- Eliaou gaston guedj , L'enseignement indigene en Algerie au Algerie au cours – de la colonisation 1832-1962 Ed . des ecrivains , paris , 200 p 129-131

[5]-Yvonne Turin , op . cit pp211-213

فقد كانت المواد المدرسة في هذه المدارس هي دراسة اللسانيات اللغوية للقرآن الكريم دون الإشارة الديانة الإسلامية بتاتا ، لأن ذلك مخالفا لقرار 14 جويلية – 6أوت 1850 [1] ، و كان ذلك مخصصا للأقسام التي تدرس في الفترة الصباحية ، أما دراسة اللغة الفرنسية فكان خاصا بالأقسام المسائية ، ومعظم المواد المدرسة أدبية كانت أو عملية و تقنية تعطى باللغة الفرنسية ، وكان الشرح يتم باللهجة الدارجة التي تطعم في كثير من الأحيان بالكلمات الفرنسية ، و كان ذلك عن قصد و نية مبينة غرضها محاربة اللغة العربية و العمل على القضاء عليها [2]

كما تجاهلت هذه المدارس تاريخ الجزائر العربي الإسلامي و ركزت على تاريخ الجزائر تحت الحكم الروماني و في العهد الاستعماري فقط، بالإضافة إلى ذلك لم تكن هذه المدارس تدرس جغرافية الجزائر بل استبدلتها بجغرافية فرنسا بهدف قتل الروح الوطنية .

كما أسس المبشرون أنماط عديدة للتعليم التبشيري في الأغواط مثل التعليم المهني الموجه للذكور و الموجه للإناث [3] ، فقد كان الأول يشمل جانب نظري يتضمن القراءة و الخط و مبادئ الحساب و التاريخ و جغرافيا إفريقيا و اللغة العربية و الغناء و الموسيقى ، أما الجانب التطبيقي فيشمل معارف في صناعة القفف و النجارة و البستنة ، و يغلب عليه الطابع الزراعي و كل ما يحتاج إليه المزارع من معارف في ميدان النجارة و الحدادة و الإسكافية و البناء و الزراعة و تربية الحيوانات ؛ أما النمط الثاني فقد كان يعلم البنات فنون التدبير المنزلي وما يحتويه من أشغال الإبرة و الترقيع و الطبخ و أشغال الصوف و الزرابي و غيرها . فقد فتحت أول مدرسة لصناعة الزرابي ببسكرة ثم تلتها مدرسة الأغواط [4]، كان يوجد في هذه المدارس سنة 1925 حوالي ثلاثين حرفة و ثمانين تلميذة ، وصل عددهن سنة 1929 إلى حوالي 150 بنت تمارس مهنة النسيج لكن تراجع هذا العدد إلى 85 بنتا

[1]- Eliaou gaston guedj , op cit , pp 59-60

[2]- صحبي حسان ، مرجع سابق ، ص 20 . -Eliaou gaston guedj , ibid , pp 70 ,71

[3]- فتحت مدرسة للبنات تحت إشراف الأخوات البيض سنة 1906 ، كما تم فتح مستوصف مجاني للأهالي في نفس السنة يسمح باقتناء الحاجيات الصيدلانية من المستشفى العسكري . انظر : إبراهيم شعيب ، مرجع سابق ،ص 13

[4]- مُحَمَّد الطاهر و علي ، مرجع سابق ، ص126

سنة 1951 [1] ، و يهدف هذا التعليم إلى تكوين زوجات قادرات على الاعتماد على أنفسهن إذا ما تنصرن و كذلك التأثير على غيرهن من النساء.[2]

كانت المدارس الفرنسية بالأغواط تابعة إداريا لوزارة الحربية إلى غاية صدور قرار 4 أفريل 1907 ، حيث أصبحت الأغواط تابعة إلى قطاع الجنوب ، و بذلك يمكن أن نستنتج أن هذه المدارس التي كانت إداريا تحت إشراف وزير الحربية ، لم تكن مدارس بالمعنى التربوي البيداغوجي ، بل كانت مؤسسات ترويض تحقق سياسة الإدماج و التبشير المسيحي ، وكلها تصب في خانة الاستعمار ، حتى أنها لم تكن بعيدة في شكلها الهندسي ولا في تنظيمها الإداري عن السجون إلا في التسمية و بعض الإجراءات المخففة كساعات الدخول و الخروج ، كما كانت بمثابة مصيدة للعناصر المناهضة للاستعمار ، و هذا ما يفسر عزوف بعض العناصر من سكان المنطقة عن هذه المدارس ، كما فضل أهاليهم عيشة البادية و الترحال بعيدا عن أعين الاستعمار ، وكانوا يصطحبون معهم في الغالب معلم قرآن أو ما يعرف عندنا في المنطقة بالطالب أو المؤدب .

إن هذه المدارس كانت تخضع للتفتيش من قبل عسكريين ، قائد القطاع العسكري أو قائد المكتب العربي ، كما أن بعض معلميها كانوا عسكريين مثل ما نلاحظه من خلال الملحق في كل من مدارس عين ماضي و الحويطة و العسافية و قصر الحيران و حاسي الدلاعة ، أما التمويل المالي فكانت الحكومة الفرنسية عن طريق الحاكم العام تمول هذه المدارس [3] ، أما عندنا أصبحت الأغواط تابعة للقطاع العسكري في الجنوب سنة 1907 ، أضحت هذه المدارس ممولة من الضرائب المرسومة على الأهالي ، و كانت هذه التمويلات تهتم أكثر برواتب المعلمين و مستحقاتهم أكثر مما تهتم ببناء مدارس أو أقسام جديدة ، رغم الزيادة السكانية في الأغواط و قصورها المجاورة، مع العلم أن

[1]- Odette petit , op cit ,pp 54,55

[2] محمد الطاهر و علي ، نفس المرجع ، ص 127

[3]- Odette petit

المكاتب العربية التي كانت تعارض سياسة تعليم الأهالي انتهجت فيما بعد سياسة أكثر ليونة مع هذه المدارس و ذلك بتقديم ألبسة و مساعدات متنوعة للتلاميذ الأكثر فقرا.

و لم تختلف السياسة التعليمية الفرنسية في الأغواط عن باقي المدن الجزائرية الأخرى سواء في عهد الجمهورية الرابعة أو الخامسة ، فقد أدخلت عدة تعديلات على البرامج التعليمية بفضل قرار 27 نوفمبر 1944 الذي يسمح للتلاميذ باكتساب قدرات كافية من المهارات اللغوية و الحسابية ، كما أنه تم ربط التنظيم الإداري و البيداغوجي و ساعات الدوام الدراسية و العطل الأسبوعية و الموسمية و الدراسية بنفس التنظيم المعمول به في فرنسا ، كما أكد القرار على إعادة النظر في منهاج التاريخ و الجغرافيا و أوصى بأن تعطى بأسلوب حذر يخدم أهداف تربوية سطحية تشوه الانتماء الاجتماعي و الثقافي و الحضاري للمتعلم ، كما تم إقرار برنامج المحادثة Leçon de langage الذي يعتبر أنجح وسيلة لتفريغ المتعلم من ثقافته القومية ، و إحلال محلها ثقافة غربية [1].

ومنذ مطلع الخمسينات شرعت سلطة الاستعمار في بناء عدة مدارس في كل من حي الشطيط إحداها للذكور و الثانية للإناث ، كما تمت توسعة مدرسة وسط الأغواط ، و غرض ذلك هو مواجهة الحركة الإصلاحية التي بدأت تستقطب الشباب و مواجهة التيار الوطني ، و ظلت هذه السياسة متواصلة في عهد الجمهورية الخامسة كذلك .

كان هدف السياسة الثقافية الفرنسية هو إنشاء جيل من سكان المنطقة يخدم الاستعمار الفرنسي لا بأبدانهم فحسب ، بل بعقولهم و أرواحهم أيضا ، و بذلك يسهل استيعابهم في المجتمع الأوروبي ، و كذلك توفير بعض الموظفين البسطاء للعمل في الإدارات المحلية و بعض المعلمين و غيرهم .

لكن من جهة أخرى رفض سكان الأغواط للسياسة الاستعمارية وتم التعبير عن هذا الرفض بأشكال وصيغ متعددة وبمواقف مختلفة ، أدركت فرنسا أن هذا الرفض لا يعني رفض الثقافة الفرنسية

[1] حسان الصحبي ، مرجع سابق ، ص 108

، كثقافة إنسانية تتفاعل بها الأمم حضاريا ، بل كان هناك إدراك للمقاصد الواضحة للنظام الاستعماري وايديولوجيته الهادفة إلى السيطرة والاستغلال، وعندما تشبث السكان بثقافتهم وشخصيتهم العربية الإسلامية ، اعتبر المستعمر الفرنسي ذلك بمثابة عداء ورفض للثقافة الفرنسية .

ومن هذا المنطلق تحرك سكان الأغواط الناجون من المنون المحتم في محاولات لاستعادة مساجدهم، أو تأسيس أخرى والتي نذكر منها:مسجد التاوتي سنة 1864م ومسجد الموساوية سنة 1864م ومسجد الشيخ ابن الدين سنة 1892م ومسجد سيدي عبد القادر سنة 1898م.[1].

ومن ملاحظة بسيطة في تواريخ تأسيس هذه المساجد يتبين لنا أنها لأسست بعد اقتراف الاستعمار لجريمته الشنعاء بالأغواط ،تعتبر بمثابة ردة فعل مباشر للتعبير عن تشبثهم الأصيل بمقاوماتهم الدينية والوطنية ،كما حافظت إلى حد ما الطرق الصوفية والزوايا المتواجدة بكثرة بالأغواط ، كالقادرية والتيجانية والموساوسية والطيبية وغيره، على اللسان العربي من خلال قصائدها الدينية ، والتي كثيرا ما كانت تحفظ على ظاهر القلب من قبل مريدي هذه الطرق . كما نذكر إلى جانب الزوايا ، والكتاتيب القرآنية إذ كان الإقبال عليها كثيرا ، فكثر حفاظه وانتشرت بموجبه القراءة والكتابة العربية ....بل كانت المدن المجاورة للأغواط تبعث بأبنائها إلى هناك لحفظ القرآن في كتاتيبها ، وكذا تعلم فقه العبادات من كتاب ابن عاشر الذي يحفظ التلاميذ أبوبه مع فهم قليل لمسائله [2]

وعلى غرار هذه الرافد المعطاءة والمضادة للحركة الثقافية الاستعمارية يمكن أن نذكر بعض العلماء القلائل كأحمد بن الطالب مفتي الأغواط في المسائل التاريخية والشيخ ابن الدين بن سيدي الحاج عيسى و مُحَّد العربي ، هؤلاء حازوا بأفضلية السبق في المحافظة على اللغة العربية وعلم الحديث والفقه ،بل حتى الدراسات العلمية كالفلك بالنسبة للشيخ مُحَّد بن العربي [3] . كما أن هذه الرواكز

[1] إبراهيم شعيب ، مرجع سابق ، ص 14 .

[2] – مُحَّد علي دبوز، مصدر سابق، ج3 ص252،253.

[3] ابراهيم شعيب ، مرجع سابق ، ص ص 14،15.

الثقافية المتواضعة ستكون فاتحة لأوليات نهضة تربوية وسياسية منذ بدايات القرن العشرين بالرغم من الأغلال الاستعمارية المعروفة.

المبحث الرابع: النهضة الثقافية في الأغواط 1900–1954:

1/ بواعث الانتعاش الثقافي والتربوي: هناك عدة عوامل ساهمت في ظهور الحركة الإصلاحية في الأغواط ،أهمها حلول بعض المثقفين بالأغواط ، مثل الشيخ عمر بن قدور [1] الذي نفي إلى الأغواط سنة 1914 م مع بداية الحرب العالمية الأولى و بقي فيها إلى غاية 1920 تاريخ رجوعه إلى مدينة الجزائر ، و كان ومن أدباء الجزائر المصلحين الذين تركوا أثرا بليغا في الحركة الإصلاحية بالمنطقة ، فقد انتهز هذه الفرصة للدعوة و الإصلاح و النهضة العلمية .

كما نجد من بين العلماء الذين سكنوا مدينة الأغواط سنين عديدة الشيخ مُحَّد العاصمي [2]الذي حل بها أثناء الحرب العالمية الأولى و كان يلقي دروسا في اللغة العربية في منزله الخاص سنة 1915 م ، و قد أظهر تفان و إخلاص في أداء مهمته التربوية مما جعله يكسب مودة تلامذته فأحبوه و تعلقوا به ، كما وفد على مدينة الأغواط عدة شخصيات أخرى مثل السيد دحمان بن الساسي الذي حل سنة 1919 ، و السيد أيوب بن الحاج سعيد البليدي الذي حل بالمدينة منذ 1909 ، كما كان للشاعر الصحفي الأمين العمودي زيارة للأغواط في الثلاثينات و اتصل بثلة من أبنائها [3] .

---

[1]– ولد عمر بن قدور سنة 1886 بمدينة الجزائر ، زاول تعليمه الأول بالجزائر ثم رحل إلى المشرق العربي ، حيث أكمل دراسته ، و بعد عودته إلى الجزائر سنة 1908 أصبح ينشط في جريدة الأخبار , ثم أنشأ سنة 1913 جريدة الفاروق ، و عند اندلاع الحرب العالمية الأولى اتهم بميلة السياسي لتركيا فنفي إلى الأغواط و أصبح من أتباع الطريقة التيجانية إلى غاية وفاته سنة 1932 بالجزائر . أنظر : زهير إحدادن ، أعلام الصحافة الجزائرية دار إحدادن للنشر و التوزيع ، حسين داي ، الجزائر 2002 ج 2 ص 12 –13 .

[2] الأديب مُحَّد العاصمي 1882 –1951 ولد بنواحي بلاد القبائل و درس بزاوية الهامل ، ثم انتقل إلى الأغواط أثناء الحرب العالمية الأولى ، و بقي يدرس فيها وقتا طويلا ، و اختار زوجة له من الأغواط .

[3] مُحَّد علي دبوز ، مرجع سابق ، 235 .

و قد بدت بوادر هذه الحركة الإصلاحية تظهر بمجرد وصول الثلة الصالحة من الأدباء منذ القرن العشرين ، و قد أثمرت مجهوداتهم مع السكان في إنشاء جمعية خيرية سنة 1920 [1]، كان الهدف منها الوقوف إلى جانب الفقراء و المعوزين ومساعدتهم ، وكان رئيس هذه الجمعية الخيرية هو السيد حسين بن هدروق ميموني و كاتبها السيد الحسين بن الحاج عيسى دهينة و أمين مالها السيد محمود بن عبد الله ، و أعضاؤها البارزين السادة أحمد بن مُحَّد بن عبد الرحمان و دهينة بن الحاج عيسى ، و دحمان بن الساسي و غيرهم ممن لم نذكر و قد عرف رجالات الحركة الإصلاحية بالمنطقة بغيرتهم على مقومات هويتهم و الوقوف في وجه المحاولات الفرنسية، وعملوا على توحيد الشتات و تجاوز النعرات العروشية التي كان الاستعمار يذكيها ، و بفضل هذه الجهود المبذولة تم إرساء اللبنات الأولى لمدرسة عربية أصيلة عصرية .

إثر زيارة تفقدية قام بها الشيخ الصالح مُحَّد الهاشمي بن إبراهيم [2] إلى فرع الزاوية القادرية بالأغواط ، إذ أتيحت له الفرصة بأن يحتك بأبناء المنطقة خاصة المتعطشين للعلم منهم ، و لما لمس فيهم صدق نواياهم و استعدادهم للنهضة ، أخذ على نفسه عهدا بأن يساعدهم على بناء مدرسة عصرية ، و لتوثيق هذا الذين الذي قيد الشيخ به نفسه كتب وصية لابنه عبد العزيز [3] يحمله فيها المسؤولية إنشاء هذه المدرسة .

---

[1] Ali Merad ;Le reformisme musulman en Algerie de 1925 a 1940 Essai d histoire religieuse et sociale 2 Ed , les editions El Hikma 1986 pp 175-180 .

[2] الشيخ مُحَّد الهاشمي بن ابراهيم بن أحمد الشريف من قبيلة البوازيد لبازيد التي كانت تقطن المناطق الممتدة بين طولقة و بسكرة ، كان مقدما على الطريقة القادرية ببسكرة ، ثم انتقل بعد ثورة الزعاطشة سنة 1849 إلى نقطة بتونس حيث أسس زاوية كانت مأوى للثوار الجزائرين . انظر :

- مياسي إبراهيم ، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص 221-226

[3] - عبد العزيز مُحَّد بالهاشمي 1898-1962 ،درس بجامع الزيتونة وساهم في إقامة مسجد أو مدرسة في عدة مدن جزائرية أقام بها ومنذ أكتوبر 1937 تحول من الطرقية إلى الحركة الإصلاحية ،وعين عضوا إداريا في الجمعية أنظر : عمار هلال ، مجلةالثقافة العدد 3+6101 ،ص124 -عمار هلال ، " الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي " ، مجلة الثقافة العدد 95 1986/11/10 ص ص 273-289.

ولما تولى الشيخ عبد العزيز بن مُحَّد الهاشمي رئاسة الزاوية القادرية خلفا لوالده ،كان أولوياته تنفيذ وصية أبيه فحل بالأغواط واتصل بأعيان المدينة من تجار وعلماء ومشايخ واطلعهم على وصية واله ، وطلب منهم ، خاصة من أعضاء الجمعية الخيرية ، أن يقفوا إلى جانبه ويساعدوه في تحقيق حلم لطالما راود سكان الأغواط على أن تكون نفقات هذا المشروع من ماله الخاص ، فاستقبل هذا الطلب بحماس شديد ، وانطلقت الأشغال وكانت وتيرة العمل متسارعة إلى أن تم بناء المدرسة سنة 1926 ، والتي كانت ثالث مدرسة على المستوى الوطني بعد مدرستي قسنطينة وسيق .

كان الشيخ مُحَّد السعيد الزاهري [1] أول من حظى بشرف التعليم في هذه المدرسة ، مباشرة بعد أن أنهى تعليمه في حامع الزيتونة بتونس ، ونظرا للكفاءة التي أظهرها سواء في القدرات العلمية والأدبية التي كان يكتسبها أو المنهجية التي اتبعها في تلقين الدروس والتعامل مع تلاميذه فعرفت المدرسة إقبالا كبيرا ، وخشية أن يلحقها ما لحق الكثير من المدارس الحرة التي كان مصيرهاالغلق أو المصادرة ، استعمل رجال الإصلاح في المنطقة مبدأ الحرب خدعة ، مدعين أن هذه المدرسة مجرد كتاب قرآني يجمع أكبر عدد من التلاميذ الراغبين في حفظ القرآن الكريم ، إلا أن الحقيقة كانت غير ذلك فالمدرسة كانت تدرس العلوم العربية من قراءة وخط ومبادئ النحو والتاريخ العربي الإسلامي وبعض المحفوظات في الأدب وغيرها من العلوم التي كانت محظورة أثناء الاحتلال ، ولقد انطلت هذه الحيلة على السلطات الفرنسية فأبقت عليها ، مما حفز الشيخ الزاهري أن يواصل عمله بإخلاص وتفان ، فنشأت بينه وبين تلامذته علاقة حميمة .

ولما أحرزت المدرسة نجاحا باهرا بفضل كفاءة الشيخ الزاهري والمصلحين من أبناء المنطقة ، وترجم هذا النجاح العدد الهائل للتلاميذ إذ تجاوز السبعين تلميذا ، رأى السكان أن المدرسة بحاجة

---

[1] مُحَّد السعيد الزاهري السنوسي 1899 -1956 ، ولد في قرية ليانة ببسكرة ، أديب وشاعر وكاتب وصحفي ، من زعماء الإصلاح في الجزائر ، درس على يد الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، ثم أكمل دراسته بجامع الزيتونة . انحاز منذ سنة 1937 إلى حركة حزب الشعب، أصدر جريدة الجزائر في سنة 1925 والبرق في سنة 1927 والوفاق في سنة 1938 والمغرب العربي في سنة 1947. له إنتاج وافر في صحف ومجلات الشرق العربي، منها الرسالة، والمقتطف والفتح، من كتبه الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير. أنظر :عمار هلال، مجلة الثقافة العدد 101، مرجع سابق، ص118.

إلى معلم آخر يشد أزر الشيخ الزاهري ويتقاسم معه المهمة التربوية والتعليمية ، فأشار عليهم الشيخ عبد العزيز الهاشمي باستحضار الشيخ مبارك الميلي ، الذي وفد على الأغواط في البداية كزائر ومراقب للجو السائد فيها سنة 1926 [1] ، فاستهوته المدينة وسكانها الطيبون الذين اغتنموا فرصة هذه الزيارة ليعرضوا على الميلي فكرة التدريس رفقة الشيخ الزاهري ، فسارع إلى تلبية دعوتهم.

-**الشيخ مبارك الميلي [2] في الأغواط** : في سنة 1926 انتقل الشيخ إلى الأغواط ليقود نهضتها الحديثة ، ومكث في الأغواط سبع سنين إلى غاية 1933 ، كانت من أخصب مراحل حياته ويعتبرها الأغواط حتى انهمك الشيخ مبارك الميلي في المطالعة والبحث والتدريس والتعليم وتأسيس المشاريع والخيرية والدعوة إلى الإصلاح الديني والاجتماعي .

بدأ الميلي مهمته التعليمية التي لم تكن صعبة ، لأن العقول كانت مهيأة لاستقبال هذا العالم الجليل ، فعكف على تلقين العلوم التي سبق و درسها الزاهري لتلاميذ المدرسة ، و أضاف عليها مادة التاريخ .

و نظرا لنمط الجديد الذي أدخله الميلي على المدرسة و الذي استهوى أبناء المنطقة ، راح الأولياء و الصالحون منها يكرمونه و يذللون له الصعاب و يساعدونه على أداء عمله ، و بذلك توطدت العلاقة بينه و بين الأهالي و التلاميذ ؛ كان الشيخ الميلي لا يمل من الدعوة إلى الخير ،

[1] – مُحَّد السعيد الزاهري ،" الشيخ مبارك والشيخ عبد العزيز " الشهاب عدد 49 23أوت1926 .

[2] – ولد الشيخ مبارك الميلي بن مُحَّد الهلالي الميلي سنة 1898 في دوار أوالد مبارك من قرى الميلية في أسرة متوسطة تدعى عائلة الحاج رابح ، فقد والديه وهو لا يزال صغيرا فشب على الاعتماد على النفس والصبر على المكاره ،كفله جده الحاج رابح ، وبعد وفاة جده كفله عماه سي علاوة وسي أحمد ، وأدخلاه كتاب القرية فحفظ القرآن وتعلم مبادئ الكتابة والقراءة عن مؤدبه الشيخ بن سي الأخضر اليسري فكان له أثر طيب في توجيه وتربة مبارك الميلي، ولما بلغ الرابعة عشر من عمره شد الرحيل إلى ميلة لمواصلة دراسته ، حيث وجد فيها الرجل المحسن مصطفى أبو صوف الذي أكرمه وأحسن إليه وضمه إلى عئلته ،وأدخله إلى زاوية من زوايا التعليم ، وما لبث أن التحق بمعهد ابن باديس الجامع الأخضر بقسنطينة حوالي سنة 1919 ومكث فيها سنة ينهل العلم على يد شيخه ابن باديس ، فكان من أنجب التلاميذ مما أدى إلى إعجاب أستذه الذي أشار عليه بالذهاب إلى تونس ، والتحق بجامع الزيتونة حيث بقي هناك ما يقارب الثالث سنوات إلى أن تحصل على شهادة التطويع ، ثم رجع قافلا إلى قسنطينة ليكون سندا إلى شيخه ابن باديس في التدريس بالمعهد الباديسي .

فبالإضافة إلى ما يقوم به في المدرسة نهارا ، تجده يكثر من الدروس الليلية ، خمس ليال في الأسبوع ، بمسجد الأخلاف أو الخليفة [1] أولا ، ثم انتقل إلى مسجد العتيق [2] يعظ العامة و يرشدهم و يلقي دروسا في الفقه و التفسير و السيرة و الحديث و الأخلاق ، فهدب النفوس وزاد الإقبال على حلقاته التي كان يركز فيها على دروس التفسير لأنها ألصق بالنفوسو أبلغ أثرا، لا سيما تفسير السور المكية و المسائل الإعتقادية ،فكانت رسالة الشرك و مظاهره [3] فيما بعد ثمرة لها و زبدة أبحاثه فيها ، ولم يقتصر عمله على الأغواط فحسب بل كان ينتقل إلى الجلفة و آفلو من أجل نفس المهمة .

ولما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 كان الشيخ مبارك الميلي من السياقين إلى الانضمام إليها ، ورغم ذلك لم يتهاون في مهمته الاصلاحية ،فقد استطاع أن يخصص وقتا للتأليف ، وقد ساعده على ذلك جو الأغواط الهادئ فألف كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث بمساعدة بعض العارفين للغة الفرنسية أمثال السيد دهينة ،ويعتبر أول كتاب ألف باللغة العربية حول تاريخ الجزائر ،وقد أعجب به الأستاذ شكيب أرسلان حتى قال فيه: "وأما تاريخ الجزائر فوالله ما كتب أضن في الجزائر من يفري هذا الفري ، ولقد أعجبت به " [4]،وبفضل تضافر الجهود أصبح للمدينة صدى نهوض إصلاحي كبير قال عنه الشيخ توفيق المدني ما يلي :" والأغواط اليوم مركز تجاري وعظيم ويصنع بها الحرير والصوف بصفة متقنة ،وبها نهضة إسلامية عربية يرجى لها كل خير وتعلق عليها الآمال "[5].

وينقسم تلاميذ المدرسة إلى صنفين : تلاميذ لا يدرسون إلا في هذه المدرسة أيلا يذهبون إلى مدارس الفرنسية ، إذ سبق وأشرنا أنه بمجرد أن وطأت أقدام الاحتلال الأغواط أنشأ فيها ثلاثة

---

[1] وهو المسجد الذي حولته فرنسا عند احتلال الأغواط إلى كنيسة ، واشتراء الخليفة جلول و أرجعه مسجدا مرة ثانية

[2] مسجد العتيق ، وهو أقدم مسجد في الأغواط ، أقدمت السلطات الفرنسية عند احتلال الأغواط على مصادرته ، و عاث فيه جنودها عبثا و فسادا ، إلى أن تمكن السكان من استعادته مقابل دفع مبالغ مالية مالية باهظة .انظر : عطا الله طالبي ، مرجع سابق ، ص 37 .

[3] مبارك الميلي ، رسالة الشرك و مظاهره مكتبة النهضة :الجزائر ، 1966 .

[4] نبيل أحمد حلاق ، العلامة مبارك الميلي في الذكرى الستين، 2005/04/24. أعلام بلادي صوت الجزئر.

[5] أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر دار المعارف : القاهرة 1963 ص152 .

مدراس ابتدائية ، فهذا الصنف من التلاميذ لم يسعفه الحظ أن يلتحق بهذه المدارس ، أو أن أوليائهم كانوا يخشون عليهم أن يجردوا من عروبتهم وتمسخ عقولهم ،ولكن بعد أن فتحت المدرسة العصرية العربية بالمدينة هرعوا إلى ضم أبنائهم إلى صفوفها ، هؤلاء التلاميذ يلازمون شيخهم صباحا ومساء.

أما الفئة الثانية من التلاميذ فهي التي حظيت بثقافة فرنسية في المدارس الفرنسية ، وقد عادت عليهم بفوائد مادية واجتماعية وتولت فيها بعد ذلك وظائف إدارية في الجنوب زكان لهم الفضل في جلب المنفعة للبلاد ،وهذه الفئة من التلاميذ لم تتنكر لثقافتها العربية بل كانوا يترددون على المدرسة في المساء وبعد الخروج من المدارس الفرنسية كما أنهم كانوا يدرسون في أوقات العطل المدرسية الأسبوعية والسنوية .

لقد كلن الميلي يلتقي بكل هؤلاء التلاميذ على اختلاف ظروفهم وأعمارهم ، ويمارس مهنته التربوية التعليمية رغم نقص الوسائل والمضايقات التي كان يتعرض لها أثناء الحملات التفتيشية التي تقوم بها السلطات الاستعمارية دون سابق إنذار ، لكن لم يثن من عزمه بلب كالن يقبل على عمله في نشوة وارتياح ، وكانت طريقة الشيخ الميلي تعتمد على التلقين ، وهي طريقة قديمة ، لكن التغير الذي أدخله هو أنه كان يدفع تلاميذ إلى نقد ما يتلقونه من معارف وعدم تقبلها مباشرة دون الوقوف عليها ومناقشتها كما كان منهجه ينطلق من قواعد المنهج السلفي التي تتلخص في تقديم الشرع على العقل ، واتباع السلف الصالح في الفهم والتفسير ، ورفض التأويل الكلامي والاستدلال بالآيات القرآنية [1]، وكان لا يفتأ يذكر تلامذته بتاريخهم الإسلامي العربي ، وكان يحرص أثناء إلقاءه للمدرسة أو في المسجد بل وحتى في جلساته العادية ، وكأنه يهدف إلى محاربة العامية .

ولغرس محبة الوطن في النفوس كان يلقن تلاميذ بعض الأناشيد وستظهرها معهم في فترات معينة ، ولأنه مربي قبل أن يكون مدرسا فإنه كان يراقب سلوك التلاميذ في داخل الحرم المدرسي وخارجه ،وما إن يرى الاعوجاج إلا وهب لتقويمه بنفس راضية مريدة للخير.

[1] عبد اللطيف عبادة ،" الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية دراسة مقارنة " ، مجلة الثقافة لعدد 85 ربيع الثاني –جمادى الأولى 1405 هـ يناير –فبراير 1985 ، ص121 – 124.

-**رحيل الشيخ مبارك الميلي عن الاغواط وإغلاق مدرسته** : كانت السلطات الفرنسية تعتقد بأن عناصر الجمعية ، بما فيهم الشيخ مبارك الميلي ، ولم ولن يشكلوا خطرا على سياستها في الجزائر ، لكن بعدها تبين لها أن جمعية العلماء المسلمين هي أشد خصومها خطرا .

وأكثرها تأثيرا في أوساط الشعب ، بدأت في تضييق الخناق عليها [1] ، و فرضت هذه الأخيرة حصارا شديدا على الميلي خاصة في عهد ، ميرانت مدير الشؤون الأهلية الذي أعلن حربا شعواء لا هوادة فيها فضغط على الخليفة جلول فرحات حتى لا يتعاطف مع الميلي ولا يؤيده و هدده بالعزل من منصب الخليفة ،كما أن زعماء الطرقية كانوا قد وشوا و اشتكوا به عند الإدارة و حرروا ضده عريضة يتهمونه فيها بأنه قد أفسد عقول أولادهم.

فأيقن الميلي بأن البقاء في الأغواط أصبح مستحيلا ، فعزم الرحيل إلى قصر الحيران حيث بقي مختبئا عند السيد عبد القادر بن مهية ريثما يتدبر أمره و تهدأ الأمور ، و حسب شهادة السيد أحمد بن عبد الرحمان أن الخليفة جلول عندما كان ذاهبا للراحة و الاستجمام في الصيف أوصاه بأن يكتب إلى الشيخ مبارك أن يتأخر عن الرجوع إلى الأغواط بعد قضاء عطلة الصيف ، وقال له لا تخبره بأن هذا مني (أي من الخليفة جلول) بل هو منك ، فما كان من السيد أحمد بن عبد الرحمان إلا أن أخبر الشيخ مبارك بالحقيقة ، فأتى الشيخ مبارك الميلي إلى الأغواط و أخذ أمتعته وكان ذلك سنة 1933.

و غادر الرجل الأغواط مأسوفا عليه ، حيث عندما رجع الخليفة جلول من مصيفه و علم بالأمر عاتب الجماعة عتابا مرا على تركهم الشيخ مبارك يأخذ أمتعته ، و قال لهم لو كنتم رجالا لتعرضتم و لو بالفرسان في طريقه و منعتموه من رفع أمتعته و الرحيل [2].

---

[1] من مظاهر ذلك إصدار قانون فبراير سنة 1933 ، الذي يحرم أعضاء الجمعية من حرية الوعظ و التدريس في المساجد أنظر : رابح تركي ، التعليم القومي ... ، مرجع سابق ، ص 125 .

[2] حول هذا الموضوع انظر : حمزة بوكوشة ،"الأستاذ مبارك الميلي عالم حجة نظار "، مجلة الثقافة العدد 88 شوال – ذو القعدة 1405 هـ/ يوليو –أغسطس 1985 ص 121،122 .

ومن هنا نستنتج أن الشيخ مبارك الميلي لم يكن يريد أن يكون عبئا ثقيلا على أتباعه و أشياعه حتى تنكل بهم الإدارة الفرنسية لبقائه بينهم ، فغادرهم مفضلا أخف الضررين ، و أن الخليفة جلول خشي أن يمس الشيخ مبارك أو أحد أنصاره بسوء في غيبته ، و هو يعرف مكائد الفرنسيين في التراب العسكري كالأغواط ، و هكذا أغلقت المدرسة التي ظلت جدرانها تردد صدى الشيخ مبارك الميلي .

2/ تأسيس نادي الأدب بالأغواط : تأسس نادي الأدب لمدينة الأغواط في عام 1937 من طرف أنصار جمعية العلماء والنهضة العلمية ، كان تحت رئاسة عبد المالك شهرة وكان مقره موجودا في نهاية شارع مسجد النور (مسجد التاوتي) حيث توجد الآن الساحة المحاذية للصيدلية بشارع الأمير عبدالقادر ، ومن هنا يمكن أن نقول أن الاغواط كانت من بين المدن السباقة إلى تأسيس مثل هذه المراكز الثقافية يعتبر النادي الإصلاحي بالأغواط همزة وصل بين المدرسة والمسجد ، خاصة بعد مغادرة الشيخ الميلي الأغواط ، لأن هناك أعدادا هائلة من الشباب الجزائريين لم يجد لهم رجال الإصلاح بالمنطقة وسيلة لتبليغهم المبادئ الإسلامية و الثقافة العربية إلا في تلك النوادي .

ومن بين المهام و الأدوار التي كان يقوم بها النادي ، فأهمها عقد مجالس للتوعية و التوجيه الإصلاحي ، وتنظيم المحاضرات و الدروس ، واستقبال بعض الشخصيات مثل يحي خليفة أستاذ بالعاصمة ، ومن أبرز منشطي المحاضرات الشيخين أبا بكر الحاج عيسى و أحمد قصيبة و السيد عبد القادر ميموني هدروق ، و الشيخ دهينة زقنيني [1] الذي كان يدرس في هذا النادي رسالة أبي زيد القيرواني ، و قد كانت مواضيع الندوات و المحاضرات متنوعة ، تركز أساسا على العقيدة و محاربة البدع و الخرافات . ولم تكن السلطات الاستعمارية أن تسكت على ذلك ، فكثيرا ما أخضعت

[1] دهينة بن مخلوف زقنيني 1881-1955 درس بمعهد ابن باديس بقسنطينة ، كان مختصا في الشريعة و في الفقه الإسلامي و في الميراث ، كما كان كل أسبوع ينظم لقاء مع أهل البادية من أجل توعيتهم بأمور دينهم . نقلا عن وثيقة بالمركز الثقافي الاسلامي أعدها السيدين عبد القادر نوار و مبروك زقنيني .

رجال جمعية العلماء للتحريات و التحقيقات و الإنذارات القاضية بمنعهم من التدريس تحت طائلة العقوبة [1] .

3/ الصحافة : على الرغم من المراقبة المباشرة التي فرضتها الشرطة الفرنسية و مصالح البريد على الصحافة الإصلاحية ،فإن هذه الأخيرة كانت توزع في الأغواط و تلقى إقبالا خاصة من طرف أعضاء النادي الأدبي و مدرسة التربية و التعليم الإسلامي ، و في مقدمتهم الشيخ أحمد بن أبو زيد قصيبة و الشيخ أبو بكر الحاج عيسى و السيد عبد القادر بلقاسمي (المكتبي) ، فقد كان هذا الأخير صاحب مكتبة ووراقة فتصله الجرائد و يبيعها .

و بالإضافة إلى الصحيفتين الشهاب و البصائر كانت هناك جريدة الإصلاح للطيب العقبي ، و جريدة لاديفونس la défense للأمين العمودي ، ومن المهم أن نقول أن الجرائد و المجلات الناطقة باسم الجمعية و باسم أعضائها قد تعطلت أثناء الحرب العالمية الثانية و يعود ذلك إلى رفض قادة الجمعية تأييد فرنسا في حربها ضد ألمانيا ، و لم تظهر إلى الوجود سوى جريدة الإصلاح التي أعاد إصدارها الشيخ الطيب العقبي بعد انسحابه من الجمعية سنة 1938 ، و جريدة الوفاق التي كان يصدرها الشيخ مُحَمَّد سعيد الزاهري .

و بعد نهاية الحرب العالمية الثانية و عودة نشاط الجمعية ، لم يبخل زعماء الإصلاح بالأغواط بمساهماتهم في جريدة البصائر ، السلسلة الثانية (1946/ 1956) ، حيث كتبوا عدة مقالات كمندوبين للجمعية أو مساهمات شخصية ، خاصة تلك التي كتبها الشيخان قصيبة أحمد و الحاج عيسى أبو بكر.[2]

4/ الكشافة الإسلامية : تركت العروض الاستفزازية للكشافة الفرنسية أثناء احتفالات الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر سنة 1930 ، آثارا سيئة لدى الجزائريين الذين لم يكتفوا بتأسيس جمعية

[1] بلمبارك الأخضر وآخرون، **مدرسة التربية والتعليم في ذكراها الخمسين 1948–1998**، د د ن، الأغواط، 1998.

[2]– علالي، مرجع سابق، ص

العلماء المسلمين الجزائريين ، بل راحوا يسعون إلى إنشاء حركة كشفية مستقلة لهم ، و فعلا أنشأ رائد الحركة الكشفية الجزائرية مُحَّد بوراس أول فوج للكشافة الجزائرية سنة 1930 في مدينة مليانة أطلق عليه اسم الخلود ، و لأن الكشافة رمز من رموز النضال و التربية و الأخلاق ، قام مجموعة من المواطنين الغيورين على الوطن بتأسيس فوج الرجاء بالأغواط سنة 1939 [1]، ومن بين المؤسسين نذكر السادة : عبد المالك بوعامر ، وميموني هدروق و عيسى بوعامر وعلال مخنث و آخرون ، وكان هذا الفوج هو ثالث فوج كشفي على مستوى الوطن حسب شهادة السيد عبد القادر نوار [2]أحد أعمدة الكشافة الإسلامية بالأغواط .

و لم تتوحد الأفواج الكشفية المشتتة في المدن الجزائرية إلا في سنة 1937 ، أي بعد وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا ، وهذا ما سمح بعقد مؤتمر الكشافة العام الذي عقد بإحدى غابات الحراش سنة 1939 .

و الواقع أن الكشافة الإسلامية الجزائرية نشأت و ترعرعت في أحضان الحركة الإصلاحية العامة ، التي تشرف عليها و توجهها جمعية العلماء ، و ما يثبت ذلك رئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس شرفيا أول مؤتمر للأفواج الكشفية ، بعد توحيدها في شهر جويلية 1939 ، و اعتمد نفس المؤتمر شعار جمعية العلماء (الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا) [3] ، وقد كان الشيخ أحمد قصيبة ثم الشيخ حسين زاهية من أول المرشدين المحليين لفوج الرجاء ، و عقدت عدة مخيمات ساهمت إلى حد كبير في تربية الشباب تربية إسلامية ، و تحفيظه أناشيد من وضع شعراء الحركة الوطنية ، و الحركة الإصلاحية الجزائرية ، أمثال الشاعر مُحَّد العيد آل خليفة و مفدي زكرياء و غيرهم .

---

[1] – خميلي إبراهيم ، **تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط**، مطبعة رويغي، الأغواط، الجزائر، 2001، ص86. أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين و آثارها في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب : الجزائر 1985، ص 230 .

[2] –خميلي، مرجع سابق، ص 86

[3] – أحمد الخطيب ، نفس المرجع ، ص 230 .

و يبدو أن فوج الرجاء لم يكن منغلقا على نفسه بدليل أنه كان يحضر جميع المناسبات الوطنية ، والمخيمات ، كما أنه كان يحتك بزعماء الحركة الكشفية في الجزائر منها زيارة قائد الكشافة مُحَّد بوراس و نائبه عمر لاغا إلى مدينة الأغواط في 23 جانفي 1940 ، و يتلقى نسخا عديدة من جريدة الكشاف التي كانت تصدر بقسنطينة ، و نسخ من نشرة الكشافة الإسلامية الجزائرية [1] Bulletin des Scouts Musulmans Algériens

5/ مدرسة التربية و التعليم:بناء على هذه الأهمية و الوظائف المتعددة و المتشبعة التي تقوم بها المدرسة قرر زعماء الإصلاح بالأغواط ، خاصة الشيخ أحمد شطة ، ضرورة إنشاء مدرسة حرة تكون أجدى و أنفع على المواطنين ، من التعليم بالمسجد أو مقر نادي الأدب ، اللذين لم تكن تتوفر فيهما الشروط الكفيلة بنهضة تعليمية حقيقية وواسعة .[2]

وحسب شهادة الشيخ مُحَّد بن بودرهم جعمات تم تنظيم احتفال بنادي الأدب حضره الشيوخ : أحمد شطة و أبو بكر الحاج عيسى و حسين زاهية و عطا الله كزواي و مُحَّد جعمات ، و درسوا فيه فكرة تأسيس المدرسة ، وبعد الاتفاق قصدوا الحاج يحي فرحات لمنحهم بستانه كله ، فامتنع في البداية ثم وافق فيما بعد ، بعد إقناعه بأهمية المشروع الدينية و العلمية ، و مباشرة تم تكوين جمعية المدرسة برئاسة عبد المالك شهرة ، و أمين المال بن عبد الله التاوتي ، و عضوية السادة عمر بوضاية و مبارك بن عجيلة و الحاج مُحَّد مراد و غيرهم ، رحمة الله عليهم أجمعين ، و عين الشيخ مُحَّد جعمات كاتبا و الحاج مُحَّد مراد رئيسا لشعبة جمعية العلماء ، وكان الشيخ أحمد شطة يشرف على المكتب المتتبع للأشغال .[3]

و مباشرة بعد ذلك شرعت الجمعية في عقد الاجتماعات للمواطنين لجمع التبرعات و حثهم على التطوع في هذا المشروع الرائد ، و قد كان للشيخ علي شرفي البليدي دور في تحريك مشاعر

[1] – إبراهيم خميلي، **تاريخ نشأة الكشافة**..،مصدر سابق، ص115-116.

[2] – فضلاء مُحَّد الحسن ، **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر**، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص266.

[3] – بلمبارك وآخرون، مرجع سابق، ص08، 58. علالي، مرجع سابق، ص146.

المواطنين بخطابه الحماسي الذي ألقاه أثناء تجمع شعبي ، حضره جمع غفير من أهل المدينة و المتبرع و أخوه الخليفة فرحات ، الذي تبرع هو الآخر بقطعة أرضية أخرى بني عليها مسجد يحمل اليوم اسم مسجد أحمد شطة .

و بعد جمع التبرعات ، وضع حجر الأساس لبناء المدرسة يوم الثلاثاء 8 ماي 1945 ، وكان فوج الرجاء قد حضر حفلة وضع أساس المدرسة، و بمجرد اكتمال السور الخارجي للمدرسة حتى اتخذها الشيخ مُحَّد بن عزوز مصلى لأداء صلاة التراويح ، و تم بناء المدرسة وفق طراز عربي أصيل ، و فتحت أبوابها في بداية السنة الدراسية 1949/1948 ،كما أنه لا يمكننا أن نتجاهل الدور الذي لعبه الشيخ أحمد قصيبة في تأسيس المدرسة و متابعة تطورها ، وقد حضر الشيخ البشير الإبراهيمي لفعاليات الاحتفال [1].

[1] – علالي محمود، مرجع سابق، ص153-156.

الفصل الرابع: الثورة واثرها على الواقع الاغواطي

المبحث الأول: امتداد الثورة إلى الجنوب الجزائري:

المبحث الثاني: الدور السياسي لأبناء الأغواط في الثورة:

المبحث الثالث: دور منطقة الأغواط في الثورة الجزائرية 1956-1962 (عسكريا)

المبحث الرابع: السياسة الفرنسية في منطقة الأغواط أثناء الثورة التحريرية :

تعتبر الثورة الجزائرية المفجرة في الغرة من نوفمبر 1954 من قبل جيش وجبهة التحرير الوطني هي الحدث البارز والأكثر أهمية على الإطلاق من تاريخ الجزائر المكافحة، بل ويعتبرها جمهور الساسة المفكرين بأنها من أبرز ثورات القرن العشرين لما تتميز به عن باقي الثورات هذه الثورة لم تكن وليدة الصدف بل هي نتاج كفاح طويل قام به الشعب الجزائري البطل الحقيقي لهاته الثورة، وقد اندلعت الثورة الجزائرية في توقيت موحد مع توزيع العمليات على حوالي 30 نقطة عبر أنحاء الوطن استهدفت الثكنات العسكرية ومراكز الشرطة والدرك ومؤسسات إقتصادية...إلخ، وفي نفس الليلة تم توزيع بيان أول نوفمبر وهو أول وثيقة سياسية وإعلامية يوجهها قادة الثورة إلى الشعب الجزائري.

المبحث الأول: امتداد الثورة إلى الجنوب الجزائري:

إن تخلف سكان الجنوب عن المشاركة في تفجير الثورة لم يكن تخاذلا منهم ولا إهمالا من طرف قادة الثورة، وإنما كانت هناك أسباب أوجدتها الظروف التي تمت فيها عملية التحضير للثورة، فمثلا في نواحي وادي سوف لم تحدث عمليات عسكرية بسبب انقطاع الاتصال مابين مناضليها وقيادة المنطقة ولكنها نفذت بها عدة عمليات ضد العدو يوم 17نوفمبر 1954[1]، وبفضل حرص الثورة على ضمان الوحدة الترابية فقد أعطيت الأوامر للأفواج العاملة بوادي سوف بالتحرك نحو ورقلة وتقرت جنوبا من أجل تشكيل الخلايا الثورية ونفس الشيء بالنسبة للأفواج العاملة بنواحي بسكرة بالتحرك نحو بوسعادة غربا، ومن جهة أخرى قررت قيادة المنطقة الخامسة التوغل إلى الجنوب في بداية 1955بإرسال فرق من المجاهدين إلى مناطق الجنوب الغربي في نواحي بشار وعين الصفراء والبيض (جيريفيل) وصولا إلى آفلو بالأغواط وقسمتها إلى قطاعات[2](des Secteur) .

[1]– عمرصخري "، **التنظيم الثوري بالولاية السادسة"** ،مجلة أول نوفمبر، ع 126، 127، أفريل 1991، ص 20، 21

[2]– سمي قطاع آفلو وماجاورها بالقطاع Secteur16 16 وبعد مؤتمر الصومام تغير إلى الناحية الرابعة من المنطقة الثانية من الولاية الخامسة أنظر:

لقد كانت أمنية الشهيد مصطفى بن بولعيد هي تعميم العمل الثوري بجميع مناطق الوطن وخاصة الصحراء وهو نفس حلم وأمل مناضلي الجنوب الجزائري، ولأجل هذا عمل على توسيع العمل بنواحي وادي سوف وبسكرة عن طريق تنظيم الخلايا وتكوين الأفواج المسلحة وشرح أهداف الثورة للمواطنين، والقيام بالعمليات الحربية بالجنوب، وفي 1955 بعد أن فر بن بولعيد من سجن الكدية عقد اجتماعا ضم إطارات الولاية الأولى، وفي هذا الإطار استدعى الشهيد زيان عاشور وبعض مساعديه[2] وتم من خلاله تعيين هذا الأخير قائدا مسؤولا على منطقة الصحراء، وقد لعب الشيخ زيان عاشور[1] دورا كبيرا في تكوين الطلائع الأولى لجيش التحرير الوطني بسرعة مدهشة بمنطقة الصحراء بحيث استطاع تشكيل الخلايا بدوائر أولاد جلال، الحلفة، مسعد، الأغواط، حاسي بحبح ووصلت أفواجه غربا حتى بلغت جبال القعدة بأفلو حدود المنطقة الخامسة وبلغ عدد جنوده إلى ألف ومائة جندي، وقد قام زيان عاشور بالتنسيق مع الشهيد سي الحواس والحسين عبد الباقي والصادق جغروري وكثفوا الاتصال فيما بينهم بهدف توحيد الجهود من أجل ضمان شمولية الثورة.

1-بوادر العمل المسلح بمنطقة الأغواط: لقد كان لاندلا ع الثورة التحريرية الأثر البالغ في نفوس مناضلي الأغواط الذين كانوا يتوقون لذلك، وفي خضم هاته الأحداث السريعة وذاك الجو

Guentari (Med), **Organisation politico –Administrative Et militaire De Révolution Algérienne De 1954 A 1962**, Tome 2 (Opu) 2000 , Pp 659,654.

(2)أمثال الحسين عبد الباقي مسؤول فرع الصحراء سابقا في غياب زيان عاشور الذي كان بالسجن أنظر : عمرصخري، مصدر سابق،ص 21.

(1)**زيان عاشور**: ولد عام 1919 بأولاد حركات أولاد جلال بسكرة حاليا، زاول دراسته بزاوية الشيخ المختار وفي عام 1939خضع زيان عاشور للتجنيد إلى غاية سنة 1944، إنخرط عام 1945 في صفوف حزب الشعب وكانت له نشاطات بارزة مما جعله يخضع للرقابة وكذلك للسجن سنة 1947 إنتقل بعدها إلى فرنسا وواصل نشاطه السياسي وسط المهاجرين وعاد إلى الجزائر سنة 1952 وهنا عينه الشهيد بن بولعيد مسؤولا على منطقة الصحراء لتحضير الثورة وتجنيد الشباب وتدريبهم وجمع الأسلحة وألقي عليه القبض قبل إندلا ع الثورة وسجن بسجن الكدية ولم يخرج منه إلا سنة 1955أين إلتقى بالشهيد بن بولعيد والذي أعاد تعينه على الصحراء ولكن بن بولعيد كان قد إستشهد يوم 22مارس 1956 ولم يزل زيان عاشور ينتظر تعينه في إجتماع رسمي ولكنه عاد إلى الناحية ليواصل عمله بالتنسيق مع الشهيد سي الحواس والحسين عبد الباقي إلى غاية إستشهاده يوم 8 نوفمبر 1956 بوادي خلوف مع سبعة من رفاقه.

المشحون فإن شباب الأغواط المتعطشين للحرية والانعتاق لم ينتظر الأوامر والتعليمات وتكوين الخلايا واللجان، يدفعهم في ذلك الشوق إلى الجهاد في سبيل الله وتحرير الوطن وكان أغلبهم بلا زاد ولا سلاح، زادهم الوحيد الإيمان بالله وهمهم الوحيد الوصول إلى معاقل جيش التحرير الوطني مهما كلفهم ذلك من ثمن، وكان في مقدمة هؤلاء الشباب المتحمس الشهيد البطل عطاالله بن المبتوت[1] الذي ترك أهله وبستانه وجعل الأوراس قبلته، ويقول في ذلك المجاهد عيسى مشتح عنه: "أنه عندما سمع بخبر الثورة قرر الصعود إلى الجبل وأخبرني بذلك أنا ومجموعة من المناضلين، قلنا له إنتظر حتى يصلنا النظام،فرد علينا قائلا: "وإذا لم يصل النظام هل نبقى ننتظره ونرضى بعيشة الذل". فقال مشتح ودعناه وقلنا له أخبر مسؤولي الأوراس بأننا على أتم الإستعداد لتنظيم العمل الثوري بالمنطقة ومنذ ذلك الحين لم يعد فقد شاع خبر إستشهاده بجبال الأوراس ولم يمض على إلتحاقه بجيش التحرير أيام معدودات، ويكون بذلك أول شهيد تسجله الأغواط فكان المثل الأعلى في التضحية والشجاعة وحتى أصبح مضرب اللمثل بين شباب المنطقة[2] .

شهيد آخر من أبناء المنطقة الأوائل الذين إلتحقوا بالثورة في بدايتها وهو الشهيد قدور دوة أحد أبرز مناضلي حزب الشعب الجزائري بالأغواط والذي غادرها وإلتحق بجيش التحرير في أوائل 1955 بالشرق الجزائري، وألقي عليه القبض في ما بعد وهرب على إثر كمين نصبته فرقة جيش التحرير بطريقة شفة عل سيارة درك كانت تحمله لمحاكمته أمام محكمة البليدة، فصار يساعد إخوانه في غنم الأسلحة والذخيرة ولكنه إستشهد برصاصة طائشة من رشاشه من نوع " إستين "Stenn [3]كان ذلك كله في أواخر 1955. وصلت هنا

---

[1] من أوائل الملتحقين بالثورة الجزائرية عرفت عنه مواقف شجاعة إتجاه القضايا العربية ومحاولة سفره إلى فلسطين للجهاد.

[2] في لقاء جمعني به في بيته بوسط المدينة يوم 26 ديسمبر 2001 على الساعة العاشرة ولقد أكد ذلك كل المجاهدين الذين إلتقيت بهم مثل المجاهد أحمد بن الزوبير وعيسى مشتح.

[3] لقدحدثت هاته الواقعة في نواحي البليدة ولها قصة حكاها لنا المجاهد مصطفى بن عمر في مذكراته فعلا عن مجموعة من المجاهدين والذين كانوا معه فعندما كان يسمع أخبار الميصاليين ومايفعلونه بالجزائريين فتأثر أيما تأثر فقام بحركة غير متوقعة وهو يحمل رشاشه الذي ضربه على الأرض فأصابته رصاصة طائشة أردته قتيلا.

أما في مدينة الأغواط فسرعان ما جاءت الأوامر والتعليمات القاضية بتكوين النظام الثوري بعد اتصالات عديدة ومتفرقة بين أبناء المنطقة وقادة الثورة أمثال زيان عاشور في نواحي بوكحيل والعماري في جبال القعدة وسي مراد بالقائد وسي الصدوقي بنواحي المدية بواسطة إبن كوار وكذلك السيد سليمان دهيليس المدعو الكولونيل الصادق[1] والسيد أحمد بن سالم المقيم بالعاصمة آنذاك والأخ السيد غزال سليمان[2] واتصالات أخرى أجراها مُحَمَّد طالبي المدعو الصادق وهو من قدماء مناضلي حزب الشعب الجزائري والذي أصبح فيما بعد نائب قائد المنطقة الثامنة بالولاية الخامسة.

2- تأسيس لجنة الأغواط الثورية : وكانت نتيجة هاته الإتصالات أن تكونت لجنة في مدينة الأغواط في السداسي الأول من سنة 1956 لتنظيم العمل الثوري بالجهة، ضمت كل من مُحَمَّد بن سالم بن حميدة المدعو " بوشوشة[2] " وكركبان أحمد وعيسى مشتح المدعو) سي عبد الله (ومُحَمَّد مراد، وبلقاسم الجودي، ومُحَمَّد دهينة ومحمود إدريسي وأمُحَمَّد بن سالم وتكون بذلك أول لجنة تنظم العمل

---

[1] قدم الكولونيل الصادق شهادة حول المجاهد أحمد بن سالم وعن الاتصالات التي جرت بينهما في إطار تفعيل العمل المسلح بالمنطقة أنظر الملحق VI الجزء1.

[2] **الحاجسليمانغزال**:منمواليد

1911منشيوخالحرازليةبحاسالدلاعةوهوفقيهوعالمللهنشاطبارزأثناءالثورةالتحريريةوخاصةفيالجهةالجنوبيةللأغواطوذلكعنطريقالشيخزيانعاش ورالذيإتصلبهبواسطةأخيهغزالبنحرزاللهالذيكانقيماعلىزاويةالمختاربسكرةوكانأولأتصالبينهمايوم 26أفريل

1955ولقدكلفهالشيخزيانبرسالةإلىسكانالجلفة،الأغواط،غرادية،المنيعةوعينهرسميامسؤولاعنتنظيماللجانبتاريخ 15سبتمبر

1955تحترقم 58وعملإلىغايةالقبضعليهاواعتقالهرفقةأمينسرهوكاتبهبوداودأمويزةبتاريخ 29جانفي

1957وحكمعليهسنتينوخرجقبلإتنفاذالمدةليعودللعملبالولايةالسادسةثمفرإلىالعاصمةوشاركفيالنضالبالولايةالرابعةالمنطقةالسادسةحتوقف إطلاقالنارأنظر : بوداودبومدينوكعيوشبنحرزالله،الحاجسليمانغزال(حياتهوآثاره)،الجزائر 1990،ص 17-28 أنظر أيضا بيوضإبراهيم :أعماليالثورة،الزيتونةللإعلاموالنشر،باتنةالجزائر، 1990،ص 22-23.

[2] نسبةإلىبوشوشة،قائدالمقاومةالشعبيةبالجنوب (1869-1872.)

*مُحَمَّدبنسالممنمواليد

1904بالأغواطوهومنمثقفيالمنطقةمنعائلةبورجوازيةولهاحضوربارزفيتاريخالمنطقةولقدبزغنجمبنسالمفيصفوفحزبالاتحادالديموقراطيللبيانالجزائ رييصفتهعضولجنةمركزيةومندوبالحزببالأغواط،كانمنأوائلالمنظميالعملالمسلحبالمنطقة) أواخر 55 . (وهومؤسسلجنةالأغواطالثوريةالتيتبنتالعملالمسلح،وقدشكلالأفواجالأوللجيشالتحرير،ألقيعليهالقبضفي 1957إلىغاية 1960وعادإلىالأغواطفيجويلية 1962،توفيفيمارس 1985.

المسلح بالمنطقة ولقد توسعت فيما بعد لتوسع مهامها لضم أعضاء آخرين[1] كما توسعت اللجنة عبر بلديات ودوائر الولاية مع مناضلين من قصرالحيران ونواحي سيدي مخلوف وتاجموت وعين ماضي وغيرها من القرى المجاورة، كما قام الحاج سليمان الغزال بالجهة الجنوبية مع زيان عاشور ومُحَّد جغابة التكفل بجمع الأسلحة والمؤونة للثوار بناحية حاسي الدلاعة وبريان.

وتجدر الإشارة إلى أنه لم تخلو المرحلة الأولى من التنظيم والتأطير فقد نتج عن تشكيل لجنة الأغواط، تكوين مجالس عسكرية وخلايا سياسية مكلفة بتعميق الثورة وشيوعها داخل الجماهير ويتجلى ذلك التأطير في التنظيمات التالية على مستوى العرش مجالس مكونة من خمس أعضاء[2] على مستوى اللجنة وعلى مستوى الدوار رئيس ونائب له، ولقد حلت هذه الهياكل السياسية والعسكرية محل التنظيمات السياسية التي سبقت إندلاع الثورة والتي تكونت نواتها الأولى في أواخر 1955 وتوسعت أكثر سنة 1956 بحكم ظروف الثورة إلى غاية إنعقاد مؤتمر الصومام الذي أعاد تنظيمها كما هو واضح ضمن قرارت[3] .

3-تشكيل الخلايا الثورية (أفواج العمل) : بالإضافة إلى ذلك جاءت مبادرة مُحَّد بن سالم رئيس لجنة الأغواط بتشكيل أفواج مسلحة لتنشيط العمليات العسكرية والفدائية ولقد أسند الفوج الأول للسيد بوحفص أحمد المدعو قهيوة ويتكون الفوج من 21 مجاهدا كلهم شباب تتراوح أعمارهم بين السادسة عشر والخامسة والعشرين ولم يسبق أن تدربوا تدريبا عسكريا لأن أهل الجنوب غير ملزمين بتأدية الخدمة العسكرية الإجبارية في الجيش الفرنسي ولحسن حظ هاته النواة أن قائدها (قهيوة) كان برتبة عريف في الجيش الفرنسي فكلف بتدريب هذا الفوج وقد صحب معه سلاحه يوم فراره، بالإضافة إلى الأسلحة الأخرى التي كانت قد جلبت من أقصى الجنوب ومن ليبيا على

---

[1] هؤلاء الأعضاء هم : عبدالرحمان رحماني، بلقاسم فرحات(بن الشاوي)وهو أول طيار مسلم جزائري وقد كتبت عنه جريدة الشهاب في عددها السابع بالإضافة إلى– معمر بوخلخال -السلمي بن دهكال – مُحَّد سوقاري" ،وذلك حسب شهادة عيسى مشتح : لقاء مع الباحث في منزله يوم 26سبتمبر 2001على الساعة العاشرة صباحا.

[2] التقرير الولائي الأول لتاريخ الثورة (1955-1956) المنعقد بالأغواط يومي 27-1983/04/28ص 1-2.

[3] نفس المرجع، ص5.

الخصوص وكذلك من بعض المواطنين الذين يملكون بنادق صيد وبعض المسدسات وعندما أصبح هذا الفوج مستعدا عسكريا ونفسيا بات من اللازم نقله إلى جهات أخرى بعيدا عن عيون الإستعمار وفي مناطق أكثر أمنا وأوسع مجالا للعمل العسكري ولم تمض إلا أيام حتى تزايد عدد المجاهدين ولم يعد البستان الذي كانوا يتدربون فيه ويختفون به كافيا خاصة وأنه أصبح الإستعمار يشعر بتحرك ونشاط المناضلين، فبدأوا يفكرون بالتنقل إلى مكان بعيد عن المراقبة يكون أنسب للتمركز فيه والإنطلاق منه والعودة إليه بعد إتمام أية عملية عسكرية،[1] ويكون كذلك منطلقا للعمل السياسي ولتوعية الجماهير والإتصال بالمناضلين لتشكيل الخلايا واللجان إلى غير ذلك من المهام التي تتطلبها ظروف الثورة.

وبعد إتصالات ومشاورات درست أثناءها جميع التحضيرات والترتيبات الضرورية بدقة ودراية بمساعدة بعض المواطنين تم نقل هاته الفرقة إلى المكان المسمى ب: سطافة[2] بواسطة شاحنة كان أعدها المجاهد بلقاسم فرحات الشاوي وتم تزويدها بخيمة وعدد من الجمال والماشية ومن بين التعليمات التي سطرتها اللجنة للفوج عدم المغامرة بخصوص معارك غير متكافئة بحكم تضاريس المنطقة في الجهة الجنوبية التي لا تسمح بهذا النوع من المعارك وإنما عملا بتوجيهات قادة جيش التحرير الوطني الهادفة إلى توسيع رقعة الكفاح المسلح وفك الحصار على المناطق الساخنة، وكذا اعتماد أسلوب المباغتة عن طريق عمليات سريعة وخاطفة ثم العودة والانتشار بسرعة بعد كل عملية.

ولم يطل مقام جيش قهيوة بسطافة حتى إستطاعت السلطات الإستعمارية كشف المركز ومعرفة المسالك المؤدية إليه سواءا كان بوسائله الإستكشافية أو بمساعدات أخرى[3] المهم أن المواجهة كانت ساخنة يوم 17 أكتوبر 1956 وكان المجاهدون على أتم الإستعداد لذلك بعدما ضرب عليهم حصار من جميع الجهات ولم يمض وقت قصير من نشوب المعركة حتى تمكن المجاهدون من إسقاط طائرة

---

[1] ولقد إختبأ هذا الفوج بناحية المخرق ومادنة قبل إنتقالهم إلى سطافة أنظر : بودواد بومدين، نفس المرجع، ص 59.

[2] يوجد هذا المكان بحوالي مائة كلم تقريبا شمال مدينة بريان بحوالي 40 كلم ولا يبعد كثيرا عن الطريق الرابط بين الأغواط وغرداية والموقع هذا صعب المسالك به شعاب صخرية يشق على المرء إختيارها خاصة عند نزول الأمطار .

[3] -أنظر بوداود بومدين وكعبوش، المرجع نفسه، ص 59.

يسميها المجاهدون بالكشافة[1] وكان لسقوطها الأثر الإيجابي في نفوسهم ورفع معنوياتهم، ومن الجانب الآخر أصيب الفرنسيون بالذهول والإضطراب والتخوف والتردد وانحطت معنوياتهم أكثر عندما مالت الشمس للمغيب ولم تعد محاولاتهم تجدي نفعا أمام صلابة وإصرار المجاهدين على تحقيق النصر وما إن خيم الظلام وعم الهدوء إنسحب المجاهدون[2] واتخذوا من جبال القعدة بالجهة الشمالية للمنطقة قبلة لهم حيث توجد معاقل جيش التحرير، وفي الغد لم يجد الفرنسيين أي أثر لجريح أو شهيد ليشفوا غليلهم بالتنكيل به ويجوبوا به شوارع المدينة من أجل إرعاب السكان وليجعلوا منه عبرة لغيرهم.

وبهذا يعتبر ا شباك سطافة أول عمل عسكري بالمنطقة وأول امتحان للجنة الأغواط التي برهنت على قدرتها على تنظيم العمل الثوري بالمنطقة وبهذا إكتسبت تأييدا في أوساط الجماهير الشعبية، فارتفعت معنوياتهم وتعززت ثقتهم بالمجاهدين بأنهم قادرون على المواجهة وخوض غمار المعارك ولوكانت على كثبان الرمال كما قال المجاهد أحمد بن الزوبير[3] كما أكدوا للفرنسيين أنه لم يعد في الجزائر أماكن ساخنة وأماكن هادئة كما كان الإشتباك فرصة للمجاهدين لإكتساب الخبرة في ميدان المعارك وزادتهم ثقة في النفس وقوت عزائمهم كما تشكلت سنة 1955 لجان للفدا وقاموا بعدة عمليات فدائية أرهبت العدو وقضت مضجعه، وهذه اللجان الفدائية مشكلة من أفراد ينشطون في مدينة الأغواط وبعض القرى المجاورة لها، فلقد سجلنا عدة عمليات فدائية في هاته الفترة والتي من أهمها عملية مدينة آفلوا 1956/11/17 بنفس المدينة حيث رميت قنبلة يدوية كذلك بمقهى أحد المعمرين أسفرت على جرح عدد من المعمرين وقتل أحدهم وهناك عمليات تمت داخل مدينة الأغواط

---

[1] لايزال حطام هذه الطائرة على الطريق الرابط بين بزبير وبريان وتم تخليد هذه الذكرى بنصب تذكاري وقد حضر للإحتفال المجاهد عبادو سعيد وزير المجاهدين آنذاك وتم إحياء ذكرى الإشتباك بحضور مجموعة من الشباب.

[2] في لقاء جمع الباحث بالشيخ سعد بومعزة في بيته يوم 28 ديسمبر 2001 أخبرني أنه إلتقى بالمجاهدين الذين قاموا بالإشتباك وهم في حالة إنسحاب فقام بإخفائهم في بيوت الحرازلية ومنهم عيسى زنبط.

[3] الحاج أحمد بن الزوبير ولد بالأغواط خلال 1934 تكون باللغتين العربية والفرنسية في آن واحد بدخوله الكتاتيب والمدرسة الفرنسية، إمتهن الخياطة منذ 1948،إلتحق بالثورة في فبراير 1956 عن طريق السيد عيسى مشتح الذي أرسله إلى زيان عاشور في قرية الفضة لخياطة اللباس العسكري فالبدلة التي أستشهد بها زيان عاشور هي من خياطته ألقي عليه القبض في 03 ماي 1961 بالبرواقية ثم نقل إلى سجن ورقلة حيث كان يرافقه المجاهد البنق بن حرز الله إلى غاية 17 أفريل 1962 وكان برفقتهم المجاهد سعيد عبادو.

وضواحيها نذكر منها عملية سد تاجموت وغيرها من عمليات التخريب الإقتصادي، وجدير بالذكر أن العمليات الفدائية خلال المرحلة الأولى بلغ 21 عملية فدائية جرت بمدينة آفلوا وحدها و11 عملية بمدينة الأغواط والقرى المجاورة لها. [1] .

4-التفاف السكان حول الثورة: تعزز العمل المسلح عن طريق الإنضمام الجماعي لكثير من الجزائريين والذين كانوا في فيالق الرماة إلى صفوف جيش التحرير، وقد لعبوا دورا مهما في التكوين العسكري والتنظيمي من أجل خوض المعارك ذات الطابع الكلاسيكي فضلا عن الأسلحة التي جلبوها معهم، مما أوجد تنظيم عسكري شامل يتشابه في عمومياته في جميع دوائر الولاية فمن ذلك الإستعداد المادي للثورة المتمثل في عتاد الحرب والوسائل التي جمعت من طرف المواطنين الذين يتبرعون بها ونذكر منها وسائل الإتصال المستعملة كشاحنات التجار وقوافل الإبل التي كانت تجوب الصحراء وتعمل على تدعيم الإتصالات بين المراكز الثورية.

إضافة إلى ذلك أصبحت منطقة الأغواط بحكم موقعها الإستراتيجي مركز إهتمام قادة الثورة وهمزة وصل بين الشمال والجنوب لذا فقد شهدت قدوم مسؤولين عسكريين نذكر منهم على سبيل المثال سي لطفي[2] وبوشريط، ولعماري وسي عمر إدريس المعروف بسي فيصل وعبد الرحمن بلهادي ولقبايلي العربي وقاما بعدة عمليات في المنطقة، كما أن قدوم المجاهد سي مُحَمَّد جغابة لم يدم طويلا لما إلتمسه من تنظيم محكم وفعال مما جعله ينتقل إلى غرداية[3] .

لقد كانت الأغواط مركز تموين هام جدا بالنسبة لجيش التحرير الوطني بجبال القعدة بالجهة الشمالية وكذلك بالجهة الجنوبية إلى غاية بريان وغرداية، فهي تمدهم بكل ما يحتاجونه من مواد أساسية، بالإضافة إلى اللوازم الضرورية للحياة اليومية مثل أوعية حفظ الماء الأواني،[1] كما يتم تزويدهم ببعض اللوازم التي تستخدم في العمليات مثل المتفجرات الكهربائية والبطاريات وقارورات

---

[1] التقرير الولائي، المرجع نفسه،ص 3-4.

[2] طلاس مصطفى (العماد) الثورة الجزائرية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر،دمشق 1984،ص 472.

[3] بوداود بومدين وكعبوش بن حرز الله: الشيخ المجاهد الحاج سليمان غزال حياته وأثره،ط1، د د ن،الجزائر.1999

[1] أنظر الملحق رقمII الجزء1، الوثيقة هـ.

البنزين وحديد المناجم الذي يستخدم لتفعيل القنابل.، بالإضافة إلى ذلك كان يتم تزويد القيادة ببعض اللوازم الخاصة بالتدوين مثل كناشات وصول التسليم ... [2]إلخ.، ويتم نقل المؤونة على متن الإبل والحمير بالليل عادة ويتم نقلها مع صاحب البريد وبعض معاونيه الذين كانوا يقومون بذلك على مسؤوليتهم في حمل التقارير والأخبار بالمدينة حول تحركات العدو وتحركات الخونة ومعلومات عن أخبار عائلات المجاهدين الشهداء كما يقومون بتهريب عائلات الثوار خارج المدينة إذا ما تعرضوا لمضايقات السلطات الإستعمارية[2] .

ومن خلال شهادة المجاهد بوكرش مُحَمَّد[3] الذي ذكر فيها عملية تموين الثورة بالأسلحة خلال سنتي 1955 و1956 والت يدعمها بوثائق هامة[4] ومن بين ما جاء فيها هو أن الأسلحة كانت مخبئة في متليلي وغرداية ما بين 1948 إلى 1954 عند الحاج المصطفى وقد دفعت سنة 1956 إلى بوشريط بالقعدة وإلى زيان عاشور بناحية بوكحيل وفي ماي 55 كانت قد قامت لجنة قصر الحيران والأغواط بدفع كمية من الأسلحة وتجند أربعون جنديا إنضموا إلى قيادة سي إبراهيم في جبال أولاد عمران مسلحين بـ 37بندقية من صنع إنجليزي وذخيرة بثلاثة آلاف خرطوشة عن طريق الأخوة حرحاطي ومايدي امبارك، وفي أوت 1955 إلتحق سبعة جنود من قصر الحيران بالعدد المذكور سلفا بأسلحتهم وقام بنقلهم مايدي مبارك رفقة الأخ رحمون عواك وفي سبتمبر من نفس السنة بعثت لجنة قصر الحيران كمية أخرى من الأسلحة والخراطيش والألبسة إلى المسمى مقنى مبارك بضواحي زنينة بالجلفة، وفي أواخر 1955 أرسلت لجنة الأغواط بواسطة المسمى السعيد بائع العجلات

---

[2]أنظر الملحق رقم II الجزء1، الوثيقة ز.

[2] B .Mustapha c'estaient eux les héros !editions Houma Algerie 2002 .P354 .

[3]بوكرش مُحَمَّد من مواليد 1913انضم في صفوف جيش التحرير سنة 1956 بجبل لزرق بغرداية عمل كدليل لجيش التحرير الوطني تحت قيادة أحمد بن عبد الغاني بالعقدة، ألقي عليه القبض سنة 1959 إلى غاية ماي 1960بسجن البليدة، وهو يسكن الآن بقصر الحيران بالأغواط، ولا يمارس أي وظيفة.

[4] سلمها إلى لجنة كتابة تاريخ المنطقة بقصر الحيران وهي عند الأستاذ بوطبة أستاذ التاريخ بقصر الحيران، واللجنة تشكلت من طرف المكتب البلدي لمنظمة أبناء الشهداء، وهي تهتم بكتابة تاريخ المنطقة مكونة من طرف السادة ": أحمددمانة،كريريش عبد الحميد (تخرجا من قسم التاريخ) " ولقد جمعا مجموعة هامة من الشهادات قيدت في سجل من 56 صفحة مكتوبة بخط اليد بطريقة علمية في تدوين الشهادات.

بالأغواط كمية من الأسلحة والذخيرة والألبسة على متن جمل إلى مركز " الخلوة بالجبل الأزرق[1] " بقيادة عبد الرحمان بلهادي.[2]

وبناء على رسالة القائد الشيخ زيان عاشور التي سلمها لسليمان غزال سنة 1956والتي يحثهم فيها على تكوين لجنة بقصر الحيران لجمع الأسلحة والتبرعات والتجنيد[3] وجاء تطبيقا لأوامر وتمجمع 33 بندقية مختلفة الأنواع وأربع مسدسات و3530 خرطوشة بالإضافة إلى الألبسة العسكرية والتبرعات المالية وإلتحق الجنود الذين تم تجنيدهم بقيادة زيان عاشور بالقعدة، ولقدعمل الكثير من أبناء المنطقة كمرشدين لقادة الثورة بحكم معرفتهم لمسالك المنطقة الوعرة وخاصة بالجهة الشمالية في جبال القعدة أو بالجهة الجنوبية في ناحية قصر الحيران وقابق التي شهدت معارك هامة.

5–دور طلبة الأغواط في الثورة: لم يتخلف طلبة الأغواط عن المشاركة في الأحداث الوطنية فلقد إلتحق العديد من طلبة المنطقة بالثورة وهجروا مقاعد الدراسة ونذكر منهم محمود بن عمر، مُحَّد رزوق، الأزهر جريدان، مُحَّد الحاج محبوبي، الطاهر بوشارب، البشير قازي وخالد التاج والطاهر مرجاني وغيرهم كثير والذين كانوا يدرسون بثانوية ابن شنبب المدية المعروفة آنذاك ولقد تكلم المجاهد مصطفى بن عمر[1] في مذاكرته تلبية نداء الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين فيقول ... " : كنا تسعة شبان من أبناء المنطقة لا يتعدى معدل عمرنا الثمانية عشر سنة ... ومنذ البداية كنا نتطلع إلى معرفة مجريات الأحداث وكان يصلنا صدى العمليات التي يقوم بها المجاهدون هنا وهناك ... وفي

---

[1] بين الأغواط وغرداية وبها مركز قيادة الناحية فوج الصحراء رقم 58.

[2] عبد الرحمان بلهادي: مسؤول الناحية بالجبل لزرق فوج الصحراء رقم 55، وهو من أوائل منظمي خلايا جيش التحرير بالصحراء رفقة زيان عاشور وسي الحواس، سي مُحَّد جغابة في بداية 1955 وهو يشرف على عين صالح إلى المنيعة ومتليلي وغرداية وقرى ميزاب السبع. أنظر: بوداود بومدين وكعبوش بن حرزالله . مرجع سابق، ص 50 –61

[3] تشكلت اللجنة حقا وشكلت من 11 عضوا يرأسها كروم بن عزوز ونائبه بن مهية قدور ولقد قامت بتجنيد الشباب وجمع الأسلحة وإرسالها إلى قيادة المنطقة بأفلو.

[1] مصطفى بن عمر : التحق بصفوف جيش التحرير مباشرة بعد اضراب 19ماي 1956 وكان طالبا أنذاك بثانوية أبي شنب بالمدية رفقة مجموعة من أبناء المنطقة، شارك أثناء الثورة في عدة معارك وارتقى إلى رتبة ضابط بالولاية السادسة وعمل في عدة ولايات تاريخية وفي الجبهة الشرقية بتونس وبعد الاستقلال التحق بوزارة الخارجية، تقلد عدة مناصب منها سفير في بعض العواصم الأوروبية والافريقية، كما عين وزيرا لعدة قطاعات منها وزير التربية الوطنية.

خضم هذا الجو نشأ بيننا نحن الطلبة الذين كنا نقضي عطلة الربيع بالأغواط في أواخر شهر أفريل من سنة 1956 فريق آلى على نفسه أن يلتحق بإخوانه المجاهدين في أقرب وقت ممكن[2] ." ...

وكان لإنضمام هؤلاء الطلبة دعم كبير في تدعيم الثورة بالإطارات الشابة والمثقفة والتي تقلدت مناصب ريادية فيما بعد مثلما حدث مع المجاهد مصطفى بن عمر الذي تنقل عبر معظم الولايات التاريخية والتي بدأها بالعاصمة إلى الشمال الوهراني وبمنطقة القبائل ولقائه مع عميروش وكذلك الأوراس ذهابا إلى تونس أين انضم إلى سلاح الإشارة[3] .MALG

وهذا يدفعنا للحديث عن أبناء المنطقة الذين انتقلوا للعمل المسلح خارج المنطقة والذين قدموا مساهمتهم أثناء الثورة وبعدها بحيث إرتقى بعضهم إلى مناصب قيادية هامة والذين ظلوا جنودا وشاركوا في العمليات العسكرية في المناطق الأخرى وأبلوا بلاء حسنا ومنهم من رافق قادة الثورة الأوائل وحضوا بمكانة لديهم ونذكر منهم على سبيل المثال : الرائد عمر الثليجي[1] الذي إلتحق بجيش التحرير الوطني في جوان 1956 بعد فراره من القاعدة العسكرية الفرنسيق بالدار البيضاء بالمغرب بواسطة العقيد عبد الحفيظ بوصوف (سي مبروك) الذي أسند له إدارة مدرسة الإشارة حيث تخرجت على يده دفعتان (زبانة وبن مهيدي) ناهيك عن إشرافه على جهاز السلكي واللاسلكي وأشرف مع عبد الكريم حساني على إرس اللاسلكي من حدود المغرب إلى القاهرة[2] ولقد لحقه في هذا الميدان الكثير من أبناء المنطقة نذكر منهم علي بغدادي، عبد الرحمن سهلي ...إلخ.

ومن الشخصيات البارزة في تاريخ منطقة الأغواط الشهيد مُحَّد طالبي المدعو الصادق وأحد أبرز إطارات حزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية ولقد وطد اتصالات اولى مع اندلا ع

---

[2]B . Mustapha op .cit pp ,18 .20

[3] IBID .PP 277-280 .

[1]الرائد عمر الثليجي : من مواليد 1923 بالأغواط عرف بالتفوق والنبوغ وحدة الذكاء، التحق بمركز تكوين المعلمين بالمدية، ثم التحق بالجيش الفرنسي ارتقى إلى رتبة ضابط في سلاح الاشارة وضع تحت تصرف الجيش الملكي المغربي إلى غاية التحاقه بجيش التحرير الوطني 1956، وبعد الاستقلال ساهم في تأسيس وزارة البريد والمواصلات .

[2]عبد الكريم حساني" سلاح الاشارة وتطوره " التسليح والمواصلات أثناء الثورة التحريرية 56-62 منشورات وزارة المجاهدين. وللدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،الجزائر 2001 ص 35.

الثورة التحريرية بالقائد زيان عاشور وانتقل بعد استشهاد هذا الأخير إلى العمل بالناحية الغربية رفقة سي مراد ليلتحق نهائيا في أوائل 1957 بالعمل بالناحية الرابعة المنطقة الثامنة الولاية الخامسة ،وقاد العديد من المعارك والتي من أبرزها معركة الصحة ... المحاصر، شفر الخونة وغيرها وتقلد عدة مسؤوليات آخرها عضو المنطقة الثالثة الولاية الخامسة مكلف بالأخبار والاتصالات وانتقل أواخر 1960 بالمغرب وأسندت له هناك عدة مسؤوليات عسكرية وتقنية [3]، وبالإضافة إلى هؤلاء نذكر أحد أبطال معركة جبل ثامر الذي أستشهد فيها البطلان الشهيدان سي الحواس وعميروش وهو المجاهد النبق بن حزر الله[4] الذي شارك في عدة عمليات ومنها عمليات شال سنة 1959ولقد عمل تحت قيادة الشهيد عمر إدريس.

كما لاننسى الشهيد الحبيب شهرة الذي إلتحق بالثورة بعد إتصاله بالنقيب لطفي بجبال القعدة وتقلد مهام كثيرة وإرتقى إلى رتبة ضابط أول سياسي وهو الذي مثل الولاية الخامسة في الإجتماع الذي إنعقد في أفريل 1959، والذي انتهى بتحرير محضر تنفيذي بمقتضاه تضم الأغواط ونواحيه اإلى الولاية السادسة[1] والمحضر حرر باللغة العربية لأن الولاية السادسة كانت معربة تعريبا تاما في ذلك الوقت وتم إمضاء المحضر من طرف التواتي وهو الإسم الحربي للحبيب شهرة ممثلا عن الولاية الخامسة والضابط الأول السياسي حشايش أحمد ممثلا للولاية السادسة ولقد أستشهد الحبيب شهرة سنة 1960، وأمثال هؤلاء كثيرون وربما نختم هذه الأسماء باسم أحد شهداء المنطقة الذين أستشهدوا في مناطق عديدة من الوطن إلى جانب إخوانهم المجاهدين، وحسب شهادة المجاهد أحمد

---

[3] الشهيد الصادق طالبي من مواليد 1923 بالأغواط تلقى تعليما مزدوجا في اللغتين العربية والفرنسية إلى جانب إحرازه على قسط معتبر لمبادئ الفقهية وبعد مسيرة حافلة بالنضال والجهاد استشهد في أحداث الولايات أواخر أوت 1962.

[4]النبق بن حرزالله : من مواليد 07 أكتوبر 1932بقصر الحيران بالأغواط التحق بجيش التحرير سنة 1956برتبة عريف عمل تحت قيادة الشهيد عمر ادريس شارك في عمليات ضد جيش بلونيس، وفي معركة جبل ثامر في مارس 1959،حيث أسر وسجن إلى جانب السعيد عبادو وزير المجاهدين سابقا وأطلق سراحه إثر وقف إطلاق النار مارس 1962 أنظر : لقاء مع مجاهد مجلة القعدة العدد الخامس 1988ص 08 11

[1] نشير إلى أن الأغواط حاليا كانت تابعة للناحية الرابعة المنطقة الثالثة من الولاية الخامسة وخلال هذا الاجتماع تم استرجاع الأغواط بمحضر رسمي بتاريخ أفريل 1959،حيث أصبحت الأغواط وماجاورها شرقا وغربا تابعة للولاية السادسة.

بن الزوبير فإن بلدية الأزهرية الونشريس التابعة الآن لولاية تيسمسلت سميت باسم أحد أبناء المنطقة وهو الشهيد الأزهري محبوبي[2] .

6-رد فعل السلطات الفرنسية : إنما تميزت به الثورة الجزائرية خلال مرحلتها الأولى (1955-1956) بمنطقة الأغواط من إنتشار سريع للخلايا الثورية وتعميم العمل المسلح عبر القرى والمداشر وتهديد المصالح الفرنسية الإقتصادية منها والعسكرية جعل السلطات الإستعمارية تمارس جميع الأساليب الهمجية التي فاقت في بعض الأحيان ما قامت به النازية في حروبها فلقد سلطت على الأهالي أشد أنواع التعذيب والتشريد والتنكيل وإنتهاك للحرمات وتخريب للممتلكات وتقتيل للحيوانات وبالخصوص البغال والجمال بوصفها وسيلة تنقل في الصحراء وأدوات إتصال ومساعدة للثوار،[3] كما عمدت السلطات الفرنسية إلى إذكاء نار النعرات الطائفية والنزعة القبلية التي انصهرت في ركب الثورة المسلحة[2] وذلك بالإستعانة بالقياد والخونة،كما عمل الآباء البيض على أسلوب التحكم في نفسية المواطنين وذلك بتقديم المواد الغذائية للعائلات قصد إبعادها عن الثورة وعزلها عن تيارها،كما تفنن الإستعمار في مضايقة الثورة إجتماعيا وإقتصاديا بالإستعانة دائما بالجالية الفرنسية واليهودية المتواجدة هنا وهناك والتي تساعد السلطات الإستعمارية على تنفيذ برامجها.

ضف إلى ذلك في 1956 وصلت السلطات الفرنسية إلى البادية مقتقية أثار الثوار ففتشت ونهبت الكثير من الأموال وألحقت أضرارا كبيرة ببوادي المنطقة وهذا في إطار القرار الفرنسي القاضي بإتخاذ إجراءات فورية تدعى " حملة التطهير"، إضافة إلى زيادة عدد القوات الفرنسية المتمركزة بالثكنات المنتشرة هنا وهناك فعلى سبيل المثال وصل عدد الجنود في المرحلة الأولى إلى 20 ألف جندي موزعة بين الأغواط وآفلوا[3]، ولم تتوقف عند هذا الحد بل أنها كانت ترغم العائلات التي تجند

---

[2] في حوار أجراه الباحث بمقر المنظمة الوطنية للمجاهدين المكتب الولائي بالأغواط بتاريخ 24 ديسمبر 2001

[3] أنظر التقرير الولائي الأول لتاريخ الثورة مرجع سابق ص 07

[2] عن طريق سياسة فرق تسد التي عرفت بها السلطة الاستعمارية والتي لم تنجح رغم خطورتها نظرا ليقضة الشعب الجزائري .

[3] أنظر التقرير الولائي الأول، مرجع سابق ص 05.

أبناءها في صفوف الثورة على إعطاء أحد أبنائها للتجنيد الإجباري في صفوف الجيش الفرنسي غير أن هؤلاء المجندين المرغمين لم تنته سنة 1956حتى إنضم أكثرهم إلى صفوف الثورة.

على الرغم مما تميزت به المرحلة الأولى من الثورة الجزائرية بمنطقة الأغواط والتي اقتصرت على تشكيل الخلايا الثورية وتعبئة الجماهير وشرح أبعاد الثورة وإزالة الغموض الذي يكتنفها، مع جمع الأسلحة وتدريب الشباب المنضم إلى الثورة، بالإضافة إلى بعض العمليات المتفرقة هنا وهناك هذا الأخير الذي تجسد وتعمق خلال المرحلة الثانية التي أعقبت انعقادمؤتمر الصومام الذي أعادة تنظيمها وحدد معالمها.

المبحث الثاني: الدور السياسي لأبناء الأغواط في الثورة:

1- موقف مناضلي الأحزاب السياسية بالمنطقة من الثورة : قام أعضاء حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية والتي كان من أبرز أعضاءها بالأغواط الشهيد قدور دوة والشهيد طالب مُحَّد المدعو (الصادق) واللذان إنضما إلى الثورة مبكرا أستشهد الأول بعد قصيرة من إلتحاقه بالثورة، وتقلد الثاني من مناصب قيادية هامة في المنطقة الثامنة (الثالثة فيما بعد) بصفته كقائد ناحية ونائب قائد المنطقة، بالإضافة إلى أعضاء آخرين كان لهم دور كبير في العمل الثوري.

أما يتعلق بحركة أحباب البيان الجزائري فقد كانوا من السباقين إلى تأسيس لجنة الأغواط التي كان مُحَّد بن سالم مندوبا للحزب بالأغواط، وعضوا باللجنة المركزية للحزب وقد إنضموا للثورة قبل أن يقدم فرحات عباس رئيس الحزب في 25 أفريل 1956 إلى الثورة[1].

أما فيما يخص أعضاء جمعية العلماء المسلمين ، واللذين كان من أبرزهم الشيخ أحمد شطة والشيخ العلامة أبو بكر الحاج عيسى والشيخ أحمد قصيبة ،فقد إلتزموا كذلك بالعمل الثوري وكانت لهم مواقف مشرفة أثناء الثورة وفي هذا الإطار يقول الشيخ أحمد حماني رحمه الله" ... وأثناء سير

[1] أما بالنسبة للحزب الشيوعي الجزائري فكان يمثل فروعه بالمنطقة مجموعة من الأوربيين وكان يستمد قوته من الحركة النقابية الأوربية وقد غلب على نشاطه الطابع النقابي في إطار المصالح الفرنسية ولم يكن سكان المنطقة يميلون إليه.

أعمال الثورة هبت على جهات الأغواط ريح السموم فقد إنتصب بتلك الجهات (الجنيرال بلونيس) واتخذ ل جبالا يأوي إليها تدعمه قوات الإستعمار أما مدينة الأغواط فقد ثبتت وفية للثورة سالكة طريق جبهة التحرير، بفضل توجيهات الشيخ أبي بكر وإخوان أحمد بوزيد قصيبة وأحمد شطة وقد أعتقل الشيخ أبو بكر وأعدم الشيخ شطة وأذكر أول إنذار سمعته عن عملية (جينرال بلونيس) كانت من الأستاذ أحمد قصيبة فرفعت الأمر إلى بعض أعضاء القيادة (لجنة التنسيق والتنفيذ) حتى قضي على الخائن وعصابته... "[1].

ولقد عمل أعضاء جمعية العلماء في عدة مهام منها ما قام به الشيخ أحمد شطة الذي عمل مرشدا لها في الشريعة والسياسة والتي باتت توجيهاته تشكل خطرا على الإستعمار إلى أن قبض علي يوم 2 أوت 1958 بدعوى وجود وثائق سرية خاصة بالثوار رفقة الشيخين أبو بكر الحاج عيسى والشيخ حسين الزهية هذا الأخير فرضت عليه الإقامة الجبرية في نواحي بشار وأما الشيخ أحمد شطة فلقد صممت السلطات الفرنسية على قتله ولحد الآن لا نعرف في أي لحظة قتل ولا أين دفن[2].

ومن بين أوجه الإستجابة اللامشروطة لسكان المنطقة لقرارات الثورة المبينة في مؤتمر الصومام وهي :

حل الأحزاب الوطنية التي كانت موجودة بالمنطقة قبل الثورة وانضمام جل أفرادها للثورة لتدعيم هياكل الجديدة وبما أن المنطقة عرفت بوعي ونضج مناضليها الأوائل كما ذكرنا في الفصل التمهيدي فلقد لبوا نداء الثورة تلقائيا وحددوا مواقفهم منها بوضوح حيث كان أغلبهم ينتمي إلى كل من حزب الشعب (حركة إنتصار الديمقراطيات الشعبية) وحزب أحباب البيان وأعضاء من جمعية العلماء المسلمين، والملاحظ هنا أن الأحزاب الوطنية كانت تنشط في حدود دوائرها قبل قيام الثورة فقد بدأت تقلص من نشاطاتها شيئا فشيئا إلى غاية 1956 بحيث حلت تلقائيا وانضم جل عناصرها إلى

---

[1] أحمد حماني وأحمد قصيبة " أبو بكر الحاج عيسى الأغواطي" مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط، 16 أفريل 1998، ص183.

[2] نفسه، ص183.

الهياكل الثورية وهذا ما كان له دور كبير وفعال في تكوين اللجان المحلية لجبهة التحرير الوطني عبر كل بلديات المنطقة وباشرت عملها المحدد لها رغم الظروف والصعوبات التي اعترضتها.

2- دور المؤسسات الدينية (الزوايا) : كما لا ننسى المؤسسات الدينية المتمثلة في الزوايا التي أتهمت إلى وقت طويل بأنها عملية للإستعمار وبأنها بؤر للشعوذة والتخلف [1]، إلا أن قيادة الثورة لم تأخذ بذلك لما كانت تتوسمه في بعض شيوخ الزوايا ومريديها، فسعت إلى الإتصال بمشايخ الطرق الصوفية قصد استمالتهم وتحسيسهم بضرورة تقديم مساهتمهم في خدمة القضية الوطنية ، وربما يرجع ذلك إلى أن قادة الثورة كانوا يدركون أن إلتحاق الزوايا يساعد الثورة لما لها من سلطة روحية على اتباعها من جهة ،ولبعد شك الإستعمار عن الزوايا لأنه ضمن أنه تم تهجينها لذا فقد كانت ملجأ وملاذا للثوار يختبئون فيه في حالات المرور بالمناطق التي توجد بها الزوايا المنتشرة في كل مكان وذلك لإيواء الجرحى ومعالجتهم بها، وسنحاول ذكر مثل هاته الحالات.

ومع تطور الثورة تأكد دعم الزوايا للثورة ونخص بالذكر في المنطقة الطريقة القادرية [2] والسنوسية والرحمانية [3] والطريقة التيجانية هاته الأخيرة التي كان الشيخ التيجاني شيخا وخليفتها العام يقول عن المجاهد مصطفى بن عمر " ملتزما بالثورة بصفة لا نزاع فيها وقد شد عضدنا بإعانات ثمينة إذ أنه مدنا بيئات البنادق من نوع " إستاتي " الدخيرة والدعم المالي، وحث المريدين

---

[1] وقد سبق ذلك محاولات مثلما فعل الشيخ خير الدين في نوفمبر 1954 " الذي تنبأ بتطور الإضطراب ونهاية الإستعمار وهو يحاول إستمالة مختلف الأعيان ضد الفرنسيين ومنهم الشيخ التيجاني " أنظر Bulletins des questions islamique موجود بالأرشيف الوطني ببئر خادم الجزائر .Novembre 1954 p119

[2] في رسالة موجهة إلى مسؤول المنظمة المدنية بالأغواط أرسلها شيخ الطريقة القادرية مضمونها دعم للثورة ولجبهة التحرير ومعها إعانة مادية هامة (أنظر الملحق رقم 2 جزء 3).

[3] عطا الله طالبي " صور في الحياة الثقافية في مدينة الأغواط" مرجع سابق، ص24-29.

والمحبين على مساندة جيش التحرير الوطني ...[1]". ولقد كانت عين ماضي قاعدة خلفية لجيش التحرير المرابط بجبال القعدة ومأوى للثوار فتستقبل الحرجى أين يتم علاجهم.

ولقد عثرت على صفحة من جريدة جمعت شهادات لمجاهدين قاموا باتصالات مع الشيخ بن عمر التيجاني فيقول صاحبها : " ... وفي الحال كانت المفاوضات FLN و ALN لم تجد أي مشكل مع الزاوية التيجانية والتي بدونها ما كان يمكن أن يحدث شيء في تلك المنطقة فتعززت الإتصالات الأولى بتسليم الشيخ بن عمر التيجاني كمية من الأسلحة والدخيرة إضافة إلى مسدسات وبنادق لمولاي إبراهيم (القائد إبراهيم) ولم تتوقف المساعدات ومعونة الزاوية التيجانية لجبهة التحرير حتى الإستقلال وطوال إقامتي بالمنطقة كان من الجلي أن المؤونة من الأدوية كانت موفرة من طرف الزاوية والتي كانت تتحصل عليها من جهتها من الصيدلي الجزائري بالأغواط ... إن الشيخ بن عمر كان قدم لي عرضا في منحي سيارة Jeep لنقل المرضى والجرحى ... ولقد شارك الشيخ فعليا في المحادثات التي انتهت بانضمام المزاب كأعضاء وبهذا تم القضاء على معظم المشاكل اللوجيستيكية."[2]

وبسبب مواقفه الشجاعة تعرض الشيخ بن عمر التيجاني لعدة مشاكل مع السلطات الفرنسية التي أزعجتها مواقفه والتي كان آخرها أنه أصبح يرفض تحية العلم الفرنسي أثناء مراسيم المناسبات الرسمية بل أنه كان جالسا مما عرضه لسخط الضباط الفرنسي فتم إلقاء القبض عليه يوم 18 مارس 1957 [3] وزج به في معتقل بول كازيل بعين وسارة والذي كلمني أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين وهو الشيخ الشقار الثعالبي أنه تعرف عليه بالمعتقل عن قرب وأعجب به لما يتميز به من

[1] وفي رسالة وجهها الشيخ بن عمر إلى سكان عين وسارة يحذرهم من مغبة الوقوع في فخ بلونيس الذي يعمل ضد الثورة ويدعوهم إلى الإلتفاف حول جبهة جيش التحرير هذه الرسالة موجودة بمقر الزاوية التيجانية عند سي الغريسي ابن شيخ الطريقة الحالي وهو معلم بعين ماضي.

[2] هذه الشهادة تتطابق تماما مع ذكره المجاهد أحمد بن عبد الغاني الوزير الأول السابق أثناء ملتقى الفكر الإسلامي بمعسكر وهو نفس ما وجدته في جريدة باللغة الفرنسية وعنوان المقال تحت عنوان الزوايا والثورة. ولكن لم أجد لها أصل الجريدة ولا تاريخ نشرها.

[3] ولقد أذيع خبر اعتقاله في إذاعتي صوت العرب بالقاهرة ... وصوت الجزائر بتونس ...".

شخصية قوية وإصرار شديد على مواقفه بعدئذ أفرج عنه وأبعد إلى دكار بالسنيغال خوفا من رد فعل أتباعه[1].

3- المنظمات الجماهرية : ومن بين أوجه تطبيق قرارات مؤتمر الصومام بالمنطقة نذكر تفعيل دور المنظمات الجماهيرية التي عمدت إلى تنظيم الشعب وحولته إلى طاقة تدعم الثورة في مختلف الميادين ومن أهمها الإتحاد العام للعمال الجزائريين والإتحاد العام للتجار الجزائريين هذه الإتحادات التي إنضم إليها سكان المنطقة وشاركوا معها في نضالها ضد المشاريع الفرنسية.

وكمرحلة أولى تم هجر النقابات والإتحادات الفرنسية والإنضمام إلى الإتحادات التابعة لجبهة التحرير الوطني رغم الضغوط التي مورست على المنخرطين ومنها تلك الإجراءات التعسفية الإقتصادية والإجتماعية كالطرد من العمل وفرض الضرائب على التجار ،وللرد على مثل هاته الإجراءات تم الإستجابة الواسعة لإضراب الثمانية أيام (من 28-01. إلى 04-02-1957) المعلن عنه من طرف جبهة التحرير الوطن وهيكلته الإتحادات الجزائرية التي قامت بتوزيع مناشير تحث على الإلتزام بالإضراب فأغلقت المحلات وخلت الشوارع من المارة، حتى الفلاحين توقفوا عن سقي مزوعاتهم تضامنا مع إخوانهم في الجزائر.[2]

4- على المستوى الشعبي : بالإضافة إلى ذلك كانت هناك قرارات وأوامر تأتي من قيادة الثورة حسب ظروف الثورة بالمنطقة فلقد أعطى النقيب لطفي (قائد المنطقة الثامنة) تعليمات لأعضاء

---

[1] حوار أجريته معه في بيته بن عكنون يوم الإثنين 5 جوان 2000، الشقار الثعالبي من مواليد 1927 ببرج بوعريريج درس بمسقط رأسه ثم إلتحق بمدرسة التربية والتعليم بقلعة بني عباس ومنها إلى تونس لاتمام دراسته بجامع الزيتونة وعاد إلى الجزائر منذ 1948 بحيث انخرط في سلك معلمي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مساعدا فمعلما فقائما بأعمال الإدارة فمديرا سنة 1950 بمدرسة ذارع الميزان بالبويرة وهرب إلى الجزائر حيث أسس مدرسة الرشاد بالقصبة إلى أن ألقي عليه القبض في 1957 ومر على عدة معتقلات منها معتقل بول كازيل أين إلتقى بالشيخ بن عمر، التيجاني وتعرف إليه عن قرب.

[2] أحمد بن الزوبير، سبق ذكره، راجع الفصل الأول، ص .

لجنة الأغواط يطالبهم فيها بتحريض معلمي مدينة الأغواط على الإلتحاق بالثورة لحاجتها إلى الإطارات المثقفة[1].

إستجاب المعلمون لنداء القائد بعد أن قامت مجموعة من المسلمين بتدبير المهمة ونجحت العملية وخرج عدد من المعلمين من الأغواط وهم السادة بوشريط الأشخم ورزوق الطيب ومقدم مُحَّد[2] وخرجت برفقتهم متطوعة وهي الصادق حنانة ولقد أحدث فرار المعلمين غضب العقيد " كاتز " الذي خر ما يملك من إمكانات طمعا على الأقل في إلقاء القبض على المعلمين فلاحقهم إلى جبال القعدة بالطائرات المروحية وكموندوس من المشاة في عملية تمشيط ولكن دون نتائج لأن المعلمين أصبحوا في حماية جيش التحرير.[3]

إن من أوجه إستجابة المنطقة إلى أوامر الثورة في الجانب السياسي هو ذلك الرد على السياسة الإستعمارية التي ظلت ولمدة طويلة من العمل المسلح تزعم أن الشعب الجزائري يؤيد برامج فرنسا، وأن الهدوء التام يسود الجزائر بعد عزل الثورة في الجبال فكانت المظاهرات الشعبية كوسيلة لإحباط هذه المزاعم والتي من أهمها مظاهرات 11 ديسمبر 1960 والتي نزلت فيها في المدن والقرى إلى المساحات منادية بإستقلال الجزائر و سقوط الإستعمار وقد قوبلت بوحشية المستعمر لعادة وفي 8 جانفي 1961 قررت قتله بسيدي سعد في شمال الأغواط بالقرب من جبال القعدة وبتعليمات من قيادة الناحية الرابعة لمنطقة الثالثة من الولاية الخامسة، خروج الشعب إلى الشارع والقيام بمظاهرات صاخبة اصطدم فيها الشعب بقوات العدو واستولوا خلالها على بعض الأسلحة وقد أسفرت هذه

---

(1) B.Mustapha, Opcit, PP144-148

(2) تجدر الإشارة أن هؤلاء المعلمين قد سبقهم في الإلتحاق بالثورة إثنان من زملائهم وهما السوفي مُحَّد مازال على قيد الحياة والحبيب شهرة الذي أستشهد بنواحي البيض وهو برتبة ضابط.

(3) B.Mustapha, Opcit, P146

المظاهرة على استشهاد 11 مواطنا نذكر من بينهم لشلح منصور، لشلح قويدر مليودي عمر ويوسفي مُحَمَّد، وغيرهم...الخ[1].

وفي 1961/07/05 واستجابة لقرار جبهة التحرير الوطني القاضي بجعل يوم 05 جويلية 1961 يوما وطنيا ضد تقسيم التراب الوطني قامت مظاهرات على شكل مسيرة في وسط المدينة الهدف منها إفشال فصل الصحراء التي راهن عليها الإستعمار الفرنسي وفي نفس السنة وبالتحديد في شهر 11 ديسمبر 1960 والمطالبة بنفس الأهداف المتمثلة في استقلال الجزائر التام تحت راية جبهة التحرير الوطني وانطلقت مسيرة عارمة في وسط المدينة والتي قوبلت بالعنف من طرف الفرنسي[2].

وفي نفس السنة وبالتحديد في شهر ديسمبر 1961 وبمناسبة إحياء الذكرى الأولى لمظاهرات 11 ديسمبر 1960 والمطالبة بنفس الأهداف والمتمثلة في المطالبة باستقلال الجزائر التام تحت راية جبهة التحرير الوطني وانطلقت المظاهرات منذ الصباح الباكر وجابت الأحياء والشوارع بأعداد ضخمة من المواطنين ومؤطرين من المجاهدين والفدائيين والمناضلين وككل مرة لا يروق للاستعمار مثل هاته الممارسات فتقوم بالقمع بوحشية والزج بالمناضلين في السجون.

-دور المرأة الأغواطية : لقد أثبتت الأحداث الثورية في هذه الفترة وما تلتها من فترات أن المرأة في هذه الناحية كغيرها من نواحي الوطن قامت بجانب أخيها الرجل مناضلة ومسبلة وتعمل كمساعدة لزوجها وأخيا وأولادها بالبيت وخارجه رغم الأعراف التقليدية المحافظة التي تتميز بها المنطقة[4] إلا أن ذلك لم يمنعها من تأدية دورها لطباخة وغسالة لملابس المجاهدين وحارسته لهم وتقييم الإتصال بين المراكز السرية والملاجئ وكثيرا ما كانت سببا في سلامة المجاهدين من العدو، فهم في بيتا

---

(1) أنظر : التقرير الولائي الثالث حول تاريخ الثورة التحريرية من أواخر 58 إلى 1962 – المنعقد بتاريخ 23 أوت 1986 بالأغواط ص 80-81.

(2) أنظر لاحقا : الفصل الرابع، ص 98 .

(4) ولقد أعجب بذكاء المرأة الأغواطية الباحث الفرنسي إيميل درمنجم، أنظر وثائق جزائرية.
Emil Dermeughen. Le pays de Laghouat et des Larbaa ; n° 21, 1957

تحت الأرض في مخابئ سرية [5] وعلى بابه تفترش الراحة. وتجل تطحن الدقيق بينما جنود العدو يفتشون المنزل، ولقد حدث في منزل أحد المجاهدين وهو بيت مشراوي (الملقب شنغل[1]CHENGEL) الذي شكت السلطات الفرنسية بوجود مجاهدين به فحطمته ومازال يراودها الشك بوجود أشخاص به ولكنهم لم يعثروا على شيء.

وكذلك إهتمت المرأة بإسعاف الجرحى مراد كل عملية فدائية داخل المدينة ولقد تعرضت المرأة الأغواطية للكثير من المضايقات ،وخاصة عائلات المجاهدين اللائي سلط عليهن العذاب، وعبث بشرفهن وأنتهكت حرماتهن أثناء الحملات التفتيشية سواء بالبادية أو المدينة ولم ينقص هذا من عزيمتهن، وظلت المرأة تنشد الأشعار الشعبية لرفع معنويات المجاهدين وتذكير أبنائها بتاريخ أجدادهن[2] ومن بين شهيدات ولاية الأغواط نذكر كل من براهيمي خيرة (1934-1958)، وديقش بختة (1930-1958) وبوشريعة مسعودة (1941-1961) وهناك أخريات اللائي سجلن أسمائهن بأحرف من ذهب في تاريخ المنطقة.

5- الإعـلام الثوري بالمنطقة : لا يمكننا بأي حال تجاهل دور الإعلام والدعاية في الثورة لهما من أهمية في أي صراع كان. وفي هذا الإطار عمدت الثورة التحريرية التي تنشط الجانب الإعلامي من أجل الرد على الدعاية الفرنسية، والتي كانت تهدف إلى عزل الثورة عن الشعب ومنع وصول أخبار الجبهة والجيش ولقد كان لقرارات مؤتمر الصومام الأثر الإيجابية في تنظيم خلايا الثورة ي

---

[5] لقد تميزت معظم منازل الأغواط العتيقة بوجود سراديب في بيوتهم كانت في السابق تستخدم كغرف تحفظ المؤونة والمواد سريعة التلف لما تمتاز به من جو معتدل بين الرطوبة والحر إستغلها المجاهدون فيما بعد للإختباء وجمع الأسلحة والقنابل التي تستعمل في العلميات الغذائية داخل المدينة.

[1] شنغل Chengel تعني بالألمانية خياط وهي حرفة المجاهد مشراوي الذي اشتهر بالخياطة منذ زمن بعيد.

[2] لاحظ الشيخ مبارك الميلي أثناء إقامته بالأغواط النساء الأغواطيات يعتدن على زيارة مقابر المجاهدين الذين قتلوا أثناء إحتلال المدينة يرفقه أبنائهن فجند هاته العادة الحميدة التي تجعل المرأة تقرأ الأشعار الحماسية التي تروي مآثر الأجداد فينشأ الأبناء من صباهم على حب الوطن وبغض الاستعمار.

الجانب الإعلامي وذلك بتكوين المحافظين والمرشدين السياسيين [1] وذلك ضمانا للاقتراب من جميع الشرائح الشعبية وجعلها تقيس الأحداث والتطورات وانتصارات الثورة في جميع النواحي وذلك عن طريق توزيع المناشير والرسائل الثورية لتوضيح حادثة أو واقعة معينة.

فضلا عن دور الأشعار الشعبية [2] والقصص ذات الطابع الثوري والحماسي التي كان يرددها الشيوخ والنساء لأطفالهم وللشباب وهي قصائد لشعراء معروفين ي تلك الفترة ونذكر منهم الشاعر معمر بن الجندي والشاعر الشهيد محمود إدريسي والشاعرة فاطنة شناف ولقد عثرت على قصائد كثيرة والتي كتبت أثناء الثورة والتي تحدثت عن قضايا الكفاح المسلح وسنذكر أهمها، فمثلا قصيدة الشهيد محمود إدريسي من 46 بيتا والتي يذكر في أحد مقاطعها رسوخ الفكر الثوري في المنطقة بعد مؤتمر الصومام فيقول :

بعد ثلث سنين الثورة دخلت في لفكار

وما ينكرها غير المجرم والظالم

ومن عن شمولية الثورة في جميع أنحاء الوطن يقول :

من العاصمة روح حتى للهقار

شعبنا تراه بالواجب قايم[1]

وقصيدة أخرى للشاعر معمر بن الجنيدي صاحب القصيدة المشهورة منذ سنة 1948 بعنوان **واه البراني يزاحم في مول الدار** ، وقصيدة أخرى سنة 1959 عندما إكتشفت السلطات الفرنسية

---

[1] ومنها المدرسة التي أنشئت على مستوى الناحية الرابعة من المنطقة الثامنة للولاية الخامسة لتكوين الإطارات الكفؤة من محافظين سياسيين ومرشدين وضباط اخباريين ومقتصدين في قطاع التموين أنظر G.Mohamed. Opcit, Tome II, P 662.

[2] تحصلت على مجموعة من القصائد الثورية التي كتبت أثناء الثورة من الأستاذ الباحث في الأدب الشعبي مصطفى حران لمجموعة من شعراء المنطقة ومنهم قصائد الشهيد محمود إدريس والشاعر معمر بن الجنيدي أحد أكبر شعراء المنطقة.

[1] محمود ادريس : أحد أعضاء لجنة الأغواط الأولى استشهد، سنة 1960.

أن جبهة التحرير الوطني تتخذ من سهل تاونزة بقصر الحيران مركزا لها فأحاطت بها وقامت معركة كتب عنها الشاعر يقول :

تاونزة عاد لسراب إتطيح عليك

ما أسمطها دنيا علينا بيلاهـا

ماذا من ثوار من بعد تعانيك

الوطنية فاهمين إلمعناهـا[2]

ولا ننسى الشاعرة فاطنة شناف (والتي جمعت قصائدها فركبت بعد الاستقلال) وقد كتبت قصيدة سنة 1957 بمناسبة الزيارة المشؤومة لماكس لوجان Max Le Jeane إلى الأغواط والذي ألقي عليه الرصاص من طرف مجاهد فأخطاه وهرب ولأجل ذلك منع ليس البرنوس بالناحية.

كتب قصيدة بعنوان ممنوع البرنوس وهذا مستهلها :

واه صدر القانون إلى يتبرنس

لوح الجنحا ياوليدي راك تخاف

الجلاية حارمة عندك تتحف

ملوك عليها الحاكم باعراف[1]

كما لا تخلو المنطقة من تقديم الكثير في الجانب الفني والذي مثلته فرقة الثريا التي كان يقودها الري مالك[2] أحد أبرز الوجوه الفنية في الجزائر وهو صاحب أغنية نحب عشية الحرية الشهيرة وأغنية

[2] معمر بن الجنيدي : ولد سنة 1900 بقصر الحيران، متهن التجارة لاكتساب الرزق كوسيلة للتحرر من قيود العمل عند الآخرين والتفرغ للنضال بالكلمة كتب عدة قصائد وطنية وسياسية منها قصيدة : المؤتمر الاسلامي، 1936 وقصيدة عن اعتقال أعضاء حزب الشعب الجزائري، توفي سنة 1989.

[1] الشاعرة فاطنة شناف من شاعرات الأغواط نشر لها كيب يضم مجموعة من القصائد الوطنية (مازالت على قيد الحياة)

العربي ولد العربية : وأغنية " يا أمي لاش تبكي عليا " ولقد توبع من طرف السلطات الفرنسية فهرب إلى الجزائر العاصمة أين آواه شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا في بيته ببوزريعة[3].

6- رد الفعل الفرنسي : لقد عرفت المرحلة الثانية من الثورة وما بعد مؤتمر الصومام رسوخ النظام الثوري لدى الأوساط الشعبية وخاصة بعد تجلي حقيقة الأطراف التي فجرت الثورة، وقد إستوعب سكان الأغواط الدرس كما يفعل التلميذ النجيب عكس الإستعمار ذلك التلميذ الغبي الذي لم يفهم الدرس ولو بالضرب والدليل على ذلك هو الأساليب المتبعة من طرف الإدارة الإستعمارية لا يعاد الشعب عن الثورة، فلقد خول البرلمان الفرنسي للحكومة في الجزائر كل الصلاحيات لتنفيذ مخططاتها الإبادية وملاحقة العناصر الحية هذا القرار السياسي والصادر عن أعلى هيئة في الجمهورية الفرنسية يعتبر كضوء أخضر لتجاوز الخط الأحمر وفي الصحراء الجزائرية أعتبرت الحالة خاصة بعد إكتشاف البترول والغاز ومحاولة الفرنسيين فتح السوق على المستثمرين الأجانب وهذا دفع بالسلطات الفرنسية إلى إغراء السكان بالمناصب وفرص العمل في ميدان المحروقات ومحاولة تحسين ظروفهم شريطة ابتعادهم عن الثورة. كما قامت بفتح النوادي والمراكز الثقافية لإلهاء الشباب عن جبهة التحرير وجيشها وعندما لم تجدي هاته الأساليب عمدت إلى نوع آخر وهو محاولة خلق قطب سياسي ثالث يقوم بالدعاية المضادة للثورة والترغيب في المشاريع الفرنسية في المنطقة والدعوة إلى انتخابات وكل هاته الوسائل لم تفد نفعا مع الالتحاق الجماعي للشباب بالثورة، ولهذا إنقلبت فرنسا إلى أساليب أشد بطشا ومنها محاربة الثورة بأسلوب القمع عن طريق إيجاد محلات الدوب Dop أو مفرزة العمليات الوقائية كما يزعمون وهي أماكن لتعذيب أتباع الثورة.

---

(2) الري مالك من مواليد 1900 بالأغواط وإسمه الحقيقي الجودي مُحَمَّد وأطلق عليه هذا الإسم المستعار الملك مُحَمَّد الخامس ملك المغرب الذي كان أحد جلسائه بعد قصة حدثت معه حفظ القرآن ويتقن الحديث باللغتين العربية والفرنسية بطلاقة أسس فرقة موسيقية "الثريا" وقام بعدة جولات عبر العالم العربي لعدة أغاني وطنية بعد الاستقلال ساهم في تنشيط الاذاعة والتلفزيون مثل الجزائر في مهرجان مصر، توفي بتاريخ 27 سبتمبر 1983 بالأغواط. أنظر

L.Lazhari : Retour à Laghouat mille ans après Beni Hillel, éditions El Ikhtelef 2002, P27.

(3) Ibid, P27.

تم تسييج المدينة من كل الجهات وترك لها مدخلان بوابة الجهة الشمالية وبوابة الجهة الجنوبية إلى جانب محاصرة الثورة في الأرياف والمدن للحد من عملية التموين وأقامت خطر التحول والحواجز المتعددة فرضت إجراءات خاصة بتأطير المدن كمتع السفر من جهة إلى أخرى دون ترخيص كما رقمت المساكن والخيام وضبطت العائلات في قوائم من أجل كشف كل شخص غريب وضيقت عملية المواصلات فأصبح المرور اليومي للقوافل على الطرق الرئيسية الذي لا يمر إلا نهارا تحت حراسته الجيش الفرنسي وتعددت إلى جانب ذلك عملية الاعتقالات المستمرة والمتابعات والمحاكمات الغير شرعية والتي كان أغلبها يقضي إلى الإعدام وهاته المحكمات كانت تكون سرية لتفادي رد الفعل المتفوق من طرف الأحزاب التقدمية الفرنسية مع الثورة الجزائرية وتجنبا لإثارة أحساس ومشاعر الرأي العام الفرنسي.

كان لرد الفعل الفرنسين سياسيا بالمنطقة أثر كبير على مسار الثورة الجزائرية وخاصة في هذه الفترة بفعل الحصار المفروض على المناضلين وهياكل جبهة التحرير ولكن رغم ذلك لم يخضع للمضايقات بل سعو إلى إيجاد حلول عاجلة وطرق تنظيم أكثر فاعلية وقد تم الاعتماد على العمليات العسكرية والعمليات الفدائية التي ساهمت في تغيير موازين القوى.

المبحث الثالث: دور منطقة الأغواط في الثورة الجزائرية 1956-1962 (عسكريا)

نتيجة للتنظيم السياسي المحكم، السالف الذكر كان من البديهي وجود تنظيم عسكري شامل يتناسب والمرحلة الثانية من الثورة بمقتضى مؤتمر الصومام الذي أحدث تغييرا جذريا للعمل المسلح ، [1] وبعد تقسيم الوطن إلى ستة ولايات عسكرية على رأس كل ولاية منها مسؤول سياسي ومسؤول عسكري، وتقرر إستعمال المصطلحات التالية : المجاهد، المسبل، الفدائي، كما وحد الجيش من حيث

[1] تختلف المرحلة الثانية عن الأولى (أواخر 1955 وأوائل 1956) في الجانب العسكري من حيث التنظيم ومن حيث العدة والعتاد ففي المرحلة الأولى كان عدد المجاهدين المشاركين متواضعا بحيث لم يبلغ في مجمله 4 كتائب بتراب الولاية ولكنها ظلت في تزايد إلى غاية إنعقاد مؤتمر الصومام الذي أعاد تنظيمها من جديد بما يتناسب المرحلة الجديدة أنظر التقرير الولائي الأول مرجع سابق، ص 03 .

الرتب والقيادات والرواتب. [2] وهو ما خلق ظروفا جدية أثرت على العمل العسكري بمنطقة الأغواط.

1-ظروف العمل الثوري بالمنطقة : ظلت منطقة الأغواط تتأرجح بين ولايتين تاريخيتين هي الولاية الخامسة والولاية السادسة [1] رغم عدة مساعي حثيثة من قادة الولاية السادسة لرد مدينة الأغواط إليها لذا فسنلاحظ عبر فقرات هذا البحث أن النشاط العسكري للمنطقة سيظل موزعا ما بين الناحية الثانية من الولاية السادسة والناحية الرابعة من المنطقة الثالثة للولاية الخامسة [2] هذا الانقسام[3] أوجدته ظروف عديدة لا يمكن تقديمها في عجالة ولكن سيحاول هذا البحث أن يقدم الأسباب الموضوعية وهي :

أولا: الظروف الطبيعية : وتتمثل في التضاريس المتنوعة في المنطقة والاختلاف الشاسع بين طبيعة تضاريس الجهة الشمالية والجهة الجنوبية ،وهذا الإختلاف هو الذي حدد طبيعة العمليات العسكرية والأساليب الممكنة ،ففي جنوب المنطقة الطابع الصحراوي المسطح والواسع والأرض المشكوفة إلا من بعض الشعاب والتي لا تتوفر على جبال وأماكن إختفاء هذا ما فرض أسلوبا خاصا للمواجهة ضد الجيش الفرنسي التي لم تكن علانية، بل انحصرت في العمليات الفدائية داخل المدينة واتباع أسلوب المباغتة مما فرض التقليص من عدد الأفواج حتى لا يتعرض إلى خسائر فادحة أثناء كل مواجهة، أما في الجهة الشمالية التي تتميز بتضاريس صعبة ومعقدة من خلال سلسلة جبال العمور وجبال القعدة بآفلوا والتي تحيط بها نتؤات صخرية ومغارات عميقة ومسالك وعرة يصعب تجاوزها إلا من خلال المتمرسين والمتعودين على القدوم إلى هاته المنطقة وحتى الطائرات الإستكشافية الفرنسية

---

[2] حددت الرتب بعشرة : من الجندي إلى الصاغ الثاني والقيادات : قائد الولاية ثم المنطقة ثم الناحية ثم القسمة والرواتب من 1000 إلى 5000 فرنك فرنسي، أنظر : زغيدي لحسن المرجع السابق ص .

[1] أنظر سابقا، الفصل الثاني ص 49.

[2] كانت قبل 1958 تسمة بالناحية الرابعة المنطقة الثامنة للولاية الخامسة وقبل هذا التاريخ كانت تسمى بالقطاع 16 (Secteur 16) أنظر : GENTARI, Opcit. P654.

[3] لا يقصد هنا بالانقسام المعنى السلبي وإنما نعني به انقسام النشاط تحت سلطة قيادتين مختلفتين على الرغم أنهم يحملون نفس الأهداف (أنظر الملحق رقم II الوثيقة ج)

والمقبلة عجزت في وضع حد للمجاهدين المرابطين بها هذا ما فرض أسلوبا آخر في المواجهة اعتمد على المعارك الكبرى [1] والتي كان الإنتصار فيها يرجع دائما إلى جيش التحرير، كما جبال القعدة كانت مقرا لقيادة الناحية الرابعة.

ثانيا: الظروف التنظيمية : الولاية السادسة عرفت خلال مسيرتها الثورية تطورات عديدة ففي سنة 1954 أهملت تماما من الجانب التنظيمي ،فلم يكن لها مكان في التقسيم الإداري لجيش التحرير وبقيت الأغواط وباقي مناطق الجنوب بدون قيادة وبدون تنظيم إلا من بعض الإتصالات التي كانت تقوم بها قيادات من المنطقة الأولى أو المنطقة الخامسة ،فما كان على مناضلي المنطقة إلا التعامل مع المنطقتين حتى لا يتخلفوا عن الكفاح واكتفوا بالتنظيم المحلي السابق الذكر، وبقيت محاولات زيان عاشور وعمر إدريس في تنظيم الجنوب من جهة ومحاولة التصدي للحركة المناوئة التي تقوم بالتصدي للثورة وبتشويه صورتها لدى السكان كما عرفت الولاية السادسة مؤامرات كثيرة هددت إستقرارها ،ومنها عمليات تصفية ضباط الولاية من طرف العميل شريف سعيدي [2] ومنهم أول قائد للولاية السادسة العقيد على ملاح (سي شريف) وآخرين من ضباط الولاية لذا فإن المنطقة لم تعرف الإستقرار.

وفي شهر أفريل 1958 إلتفت المجلس الوطني للثورة الجزائرية إلى الولاية السادسة فأسندها إلى الحواس (أحمد بن عبد الرزاق) [3]"وبهذا كتب لهذه الولاية المسماة بولاية الجنوب أن تعرف نوعا من الإستقرار تحت قيادة الحواس الذي كان قائدا ذكيا ومحترما "، [4] وبهذا بدأت الولاية تستجمع المناطق التي فقدتها ومنها منطقة الأغواط ولم يحدث ذلك إلا في أواخر 1959 بحيث عادت الأغواط رسميا

---

[1] مثل معركة الشوابير أكتوبر 56، معركة خناق عبد الرحمان ماي 1957 معركة قابق ماي 1959 ... إلخ،

[2] من هو السعيدي ؟ إنه مجند في الجيش الفرنسي 1956 اتصلت به قيادة الولاية السادسة وعرضت عليه الالتحاق بالثورة فوافق ظاهريا ولكن طلب مهلة، ولكنه إتصل بالمخابرات الفرنسية وأطلعها على الأمر فلم تتردد في احتوائه فإلتحق بالثورة وأصبح قائد كتيبة هي عصابة من عشيرته ومعهم بدأ العميل في تنفيذ مخططه ضد الثورة وفي مارس 1957، فكان يوقع بمجاهدي وضباط الولاية السادسة ويغتالهم الواحد تلوى الآخر، ولما إفتضح أمره إلتحق بالجيش الفرنسي

[3] مطمنر مُحَّد العيد، مرجع سابق، ص 85-86 كذلك راجع سابقا الفصل الثاني. ص 49،50.

[4] B.Mustapha Opcit .P143.

إلى الولاية السادسة (الناحية الثانية دون آفلو)، وقد كانت هذه بعض الظروف التي جعلت منطقة الأغواط تعاني عدم الإستقرار. [1]

2-وسائل الكفاح المسلح بالمنطقة على ضوء قرارات مؤتمر الصومام : ورغم ذلك فإن الدور العسكري لمنطقة الأغواط أثناء الثورة التحريرية كان مميزا ،بحيث شهدت المنطقة معارك كبرى وعمليات فدائية قوية نفذها جيش التحرير بهذه المنطقة والتي لم تمنعه من مواصلة مسيرة الكفاح ،فهناك مسؤوليات جسام كانت تنتظرهم وأهمها البحث عن الوسائل الكفيلة بإنجاح العمل المسلح وتفعيله ،والتي سنخصص لها حيزا مهما في ذا البحث وهي كالآتي :

أولا التسليح والتمويـن : جدير بالذكر أن الأفواج الأولى لجيش التحرير كانت تمتلك الأسلحة الإيطالية القديمة المجلوبة عبر الحدود الليبية الصحراوية، وكان هذا السلاح يشكل إحدى العمليات التجارية النشيطة قبل اندلا ع الثورة حيث كانت بحوزة المواطنين وتم جمعها وزودت بها أفواج الجيش المجندة بالمنطقة وتتنوع هذه الأسلحة إلى أستاتي ورباعي و 86 وبعض السلاح الألماني بالإضافة إلى الأسلحة التقليدية كسلاح الصيد والمسدسات المتنوعة والقنابل ذات الصنع المحلي ولقد اشتهر في المنطقة المجاهد بلقاسم الجودي [2] الذي برع في صناعتها مثل الأنابيب المتفجرة كما كان يجمع بقايا القنابل المستعملة ويعيد تركيبها بطريقة تصبح فيها أكثر فعالية.

ومع الوقت تحصلت هاته الأفواج على أسلحة متطورة والتي غنم أغلبها من العدو بعد الإنتصار عليه في معارك أو اشتباكات تبعا للشعار الذي رفعته الثورة " سلاحنا نفتكه من عدونا " وهو شعار أتى بنتائج إيجابية معتبرة [1] ضف إلى ذلك الأسلحة التي كان يحضرها الغارون من الجيش الفرنسي، ومع تطور الثورة وإعادة تنظيمها أصبحت الأسلحة تجلب من طرف قيادة الولاية الخامسة

---

[1] لقد فرضت السلطات الفرنسية حصارا شديدا وبالأسلاك الشائكة المكهربة وحددت مدخلين رئيسيين للمدينة وخاصة ما بين 58 إلى 60 وكذلك بعد دخول بلونيس إلى المنطقة من 1957 مما قلص من نشاط الثوار ما جعلهم يبحثون عن حلول أخرى.

[2] كان يصنع القنابل في مرأب للشهيد الصادق طالبي أحد قادة الناحية الرابعة بالولاية الخامسة يوجد هذا المرأب بوسط المدينة الذي كان نقطة تموين هامة بالأسلحة وأكتشف أمره من طرف السلطات الفرنسية.

[1] الزبيري العربي " الخطوات الأولى في التطبيق الميداني لأهداف الثورة الجزائرية. مجلة المصادر، العدد الثاني، 1999، ص28.

وكانت تصل على دفعات [2]، ولقد كان انظمام الأشخاص إلى جيش التحرير يتم بعد اختيارهم بعمليات ثورية أقل خطورة للتأكد من استعدادهم ثم يتلقون تدريبا عسكريا عاما يشمل استعمال السلاح والمصارعات التكتيكية الحربية يقوم به مدربون ذوو خبرة، وهناك تكوينات متخصصة منها ما يؤهل بعض الجنود في الدخول في فرق الكومندو التي بدأ إنشاءها بمنطقة الأغواط منذ 1957 ولقد كانت معظم مراكز التكوين توجد بجبال القعدة الشرقية والغربية أما نشاطات التكوين في المجالات الأخرى : التكوين السياسي أو الصحي أو في التربية والتعليم أو الإتصالات فهي متوفرة سواء في النواحي التابعة للولاية الخامسة أو الولاية السادسة.

ثانيا الإتصالات والإستخبارات : أما عن الإتصالات التي لعبت دورا كبيرا في ربط الثورة بالشعب من جهة وفي الربط بين المناطق وبين مدينة الأغواط والقرى المجاورة مثل عين ماضي أو قصر الحيران باعتبارها قواعد خلفية لجيش التحرير ومصادر تموين وتدعيم، وفي هذا الصدد كانت هناك ثلاثة أنواع من الإتصالات إتصال عبر الجبال وهو ما يطلق عليه إسم الإتصال البطيء غير المستعجل، والنوع الثاني بريد عادي يبعث بصورة منتظمة بين نواحي ومناطق الولاية الخامسة أو السادسة، أما الثالث فهو بريد سريع غير قابل للتأجيل ،ويتم إرساله بواسطة اللاسلكي هذا الجهاز الذي أحدثه جيش التحرير سنة 1956 وفي سنة 1957 تم استعماله عبر كافة أرجاء الوطن ويساعد هذا الجانب ميدان الاستخبارات والاستعلامات نظرا للأدوار المنوطة بهم والمتمثلة في جمع الأخبار والتصريحات المعادية وتحليلها وتقديمها لفائدة الثورة بالإضافة إلى التحري عن بعض الأشخاص المشكوك فيهم وعن الحركة الخبايثة الممثلة في أعوان الجنرال بلونيس[1].

ثالثا العمليات الفدائيـة : بخصوص النشاط الفدائي داخل المدن والقرى بمنطقة الأغواط عرف مرحلتين تفصل بينهما أواخر سنة 1959 وأوائل 1960، بحيث عرفت المرحلة الأولى منذ تشكيل

---

[2] الأسلحة في هه المرحلة كانت تأتي من المغرب وكانت الولاية السادسة تأخذ حصتها تتكفل بنقلها قوافل من الإبل تقودها كتائب جيش التحرير. أنظر B. Mustapha Opcit, P74

Voir aussi Gentari, Opcit P 659 avec photo.

[1] ماحف رقم II الجزء 1 الوثيقة ج، د.

لجان الفدا في أواخر 1955 إلى غاية النصف الأول من سنة 1959 نشاطا مكثفا للعمليات الفدائية إلا أنها أصبحت أكثر صعوبة في المرحلة الثانية [2] من أواخر 1959 إلى 1962 –رغم توقفها– نظرا للتشديدات الشائكة التي تتخللها المتفجرات الحارقة والكاشفة وإنشاء مراكز عسكرية محصنة ومتقاربة تتوزع كلها حول المدينة ،وحتى داخل أحيائها فضلا عن حضر التحول المفروض يوميا وهذا ما اقتضى قدرا كبيرا من الجرأة والذكاء والتخطيط لتجاوز هاته العقبات ولقد تحقق ذلك، وللعلم فقد كانت هناك فرق خاصة بدءا من مدينة الأغواط إلى جبال القعدة بآفلوا وكذلك طريق تاجموت عين ماضي، وطريق الأغواط الحويطة والأغواط الجلفة وكذلك طرق داخل مدينة الأغواط ،ومن بينها طريق المطار حسب شهادة المجاهد عيسى كريرش.[1]

إن أهداف النشاطات الفدائية كانت تتمثل في إعدام عناصر العدو والمتعاملين والقيان بأعمال التخريب الإقتصادي والتأثير النفسي كتوزيع المناشير وتوجيه الإنذارات، ونظرا لتعدد العمليات الفدائية وشدتها فسنحاول تقديم أهم هاته العمليات التي كان لها دور فعال بالمنطقة مثل:

أ– تفجير المجمع الكهربائي : عملية تفجير مجمع التوليد الكهربائي بالأغواط [3] يوم 14 جويلية 1957 بأمر من أحمد عبد الغاني [1] قائد الناحية الرابعة للمنطقة الثالثة من الولاية الخامسة

---

[2] يدخل ذلك في إطار سياسة الجمهورية الخامسة بقيادة ديغول (1958-1962) لخنق الثورة الجزائرية واستغلال قضية الصحراء لفرض تعبئة عسكرية للحافظ على المصالح الفرنسية بالمناطق الاقتصادية التي تعتبر الأغواط من بين أهم نقاطها (حاسي الرمل).

[1] عيسى كريرش من مواليد 1928 بالأغواط إلتحق بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1956 عمل كجندي إختصاصي في صنع الأغام ثم انتقل إلى الكومندوس الثالث وقام معه بعدة عمليات عسكرية وشارك في معركة 24 ماي 1959 بالمنطقة ألقي عليه اقبض في ماي 1959 وتم تعذيبه دون أن يدلي بمعلومات أطلق سراح في 29 ماي 1961 فإنتقل إلى المنطقة الثالثة وعمل بها ثم عاد للمشاركة في العميات الفدائية بالأغواط وبعد وقف إطلاق النار حضر إجتماع الولاية السادسة بقيادة شعباني توفي في 13 جانفي 1989 بالأغواط أنظر عيسى كريرش "مسيرة نضال وكفاح في جيش وجبهة التحرير الوطني" المصادر، 1999، ص209.

[3] لقد شيد مجمع التوليد الكهربائي لمدينة الأغواط في أواخر سنة 1935 من طرف شخصية بورجوازية تسمى لوبو Le bon والذي قام بنفس الشيء في مناطق أخرى من الوطن، وبني المجمع من قبل مهندسين سويسريين هما فو Faure وجانتي Jante وبمجرد الانتهاء من البناء مدت الخيوط الكهربائية إلى مدينة غرداية التي تبعد بـ 200 كلم جنوب الأغواط وتقدر قوة هذا المجمع بـ 3 ألاف حصان (3000 ch)أرشيف بلدية الأغواط.

وذلك لعدة أسباب أهمها : هو قطع الكهرباء المتصلة بالأسلاك الشائكة المكهربة المحيطة بالمدينة والذي يمنع تسرب المجاهدين وكذلك من أجل منع إضاءة المدينة والإنارة الكاشفة العسكرية ليسهل على المجاهدين عمليا تهم الفدائية والعسكرية مع العلم أن تحطيمها لا يضر المواطنين في شيء لأنهم لم يستفيدوا من الكهرباء أصلا إلا من بعض الآخرين الذين إمكانياتهم تسمح لهم بالحصول على الكهرباء والأحياء الشعبية لم تر النور أبدا.

قام بالعملية مجموعة من الفدائيين يتقدمهم (المجاهد قلوزة مُحَّد والصادقي مسعود وابن زيان أحمد والشهيد ابن فرحات مُحَّد إلى جانب الشهيد حشاني جاب الله)، هذا الأخير الذي كان يعمل بالمجمع وعضو ناشط في جيش التحرير وهو الذي سهل عملية الدخول في المجمع الذي كان تحت رقابة 12 مركزا للحراسة، ولقد وفر حشاني اللباس الخاص للجماعة حتى يظهروا وكأنهم عمال بالورشة، دخلت المجموعة إلى المركز على الساعة الواحدة وإلى غاية الساعة السادسة مساءا بدأوا في إسكاب البنزين والمازوت على أرضية المعمل كله وعلى الساعة 00:30 بدوأوا بالهجوم على مراكز الحراسة وصاحب ذلك الهجوم انفجار المجمع وقد أسفرت هذه العملية على استشهاد جاب الله حشاني وابن زيان أحمد والتيهامي مُحَّد ونجاة الباقين الذي فروا إلى خارج المدينة وقد أدى التفجير إلى إلتهاب النيران التي أضاءت المدينة واستيقظ سكان المدينة لهول الإنفجار.

ب–تفجير مقر المكتب الثاني بتاجموت: إلى جانب هاته العملية الفدائية الهامة كانت هناك عمليات أخرى مثل تخريب مقر المكتب الثاني بتاجموت يوم 10 أكتوبر 1958 والمنفذة من طرف الفوج التابع للقسم الثاني من الناحية الرابعة بقيادة العريف الأول مُحَّد بن عبد السلام وباردي علال برتبة عريف وآخرون هاته العملية التي بدأت بوضع الألغام في الطريق قبل تلغيم المركز وعند التفجير انفجرت القنبلة الأولى التي فجرت نصف المركز أما الثانية فتعطلت، وحين أرادت قوات العدو القادمة

(1) أحمد بن عبد الغاني من مواليد 1927 بالغزوات مناضل في صفوف حزب الشعب لجزائري وحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، شارك في أحداث 8 ماي 1945 واصل دراسته الجامعية في فرنسا حتى 1956 تاريخ إضارب الطلبة عمل بالشرق الجزائري وفي المنطقة الثامنة الولاية الخامسة ومناطق أخرى في الوطن بعد الاستقلال قائدا للمنطقة العسكرية الأولى وبعد إزاحة بن بلة من الحكم في 19 جوان 1965 تقلد عدة مناصب عدة منها منصب وزير أول توفي في 22 ديسمبر 1996.

من مركز لاصار القريب منها وقعوا في فخ الألغام الموجودة في الطريق فتحطمت الدبابة التي تقود القافلة وبذلك تعطلت قوات العدو ،وتمكن المجاهدون من الإنسحاب.[1]

ج– تهريب عائلات المجاهدين : بالإضافة إلى ذلك قامت مجموعة من المسبلين بالتنسيق مع مجموعة من المجاهدين بعملية تحرير عائلات المجاهدين من مدينة الأغواط ونقلهم إلى الجبل وذلك يوم 02 جانفي 1959 بأمر من قيادة الناحية الرابعة المنطقة الثالثة الولاية الخامسة [(1)] بعدما وصلتهم معلومات بأن العائلات تحت الرقابة وعلى وشك الزج بها في معتقل خاص قصد استعمالها في المساومات وإيذاء مشاعر ومعنويات المجاهدين فتحرك فوج من المجاهدين المكلف بالأعمال الفدائية بالإضافة إلى مجموعة من المسلبين بقيادة قائد الفوج أحمد كركبان مسؤول القسم الرابع وتم إحضار مجموعة من الإبل مزودة بالهوادج والمرابطين على مشارف المدينة بعد أن أمروا العائلات ببيع الأمتعة بطريقة لا تلفت الإنتباه، بعد أن قام المجاهدون بتحضير ممر عبر الأسلاك الشائكة والألغام، وتم تجميع العائلات في منزل أحد المجاهدين ولقد كان عدد أفراد العائلات 17 (10 نسوة، 07 أطفال) وفي الليل نقلت العائلات حسب الخطة المدروسة بإحكام عن طريق تمويه العدو ولقد استغرقت الرحلة أسبوعا كاملا نظرا لاكتشاف العدو العملية مما أدى إلى للقيام بملاحقة الفارين، وإلى جانب ذلك كانت هناك عمليات كثيرة وبدون توقف في إطار تصفية الخونة وعملاء الاستعمار[(1)].

رابعا العمليات العسكرية الكبرى : أما عن العمليات العسكرية بمنطقة الأغواط في فترة ما بعد مؤتمر الصومام عرفت انتعاشا كبيرا نظرا للتطور الحاصل في الجانب التنظيمي والإمكانيات والأساليب العسكرية، ولكثرة هاته المعارك التي شهدتها المنطقة فقد إرتأيت أن أذكر ثلاث معارك فقط بالتفصيل وأضيف إليها جدول المعارك الأخرى حسب تاريخ إندلاعها ومكان وقوعها وبعض

1

(1)قائد الناحية في هذه الفترة هو طالبي مُحَّد المدعو (الصادق).

(1)أنظر لاحقا : الفصل الرابع، ص 106.

الملاحظات الخاصة بها ضف إلى ذلك ومن باب العدل سأذكر معركتين في الجهة الشمالية ومعركة في الجهة الجنوبية[2] ونبدأها بالجهة الشمالية.

أ– معركة الشوابير : (يوم الأربعاء 04 أكتوبر 1956) والتي وقعت قبل بزوغ الفجر واستمرت إلى العاشرة صباحا بالمكان المسمى الشوابير وهو عبارة عن وادي في سفح جبل " سيدي عثمان " بالجهة الشمالية من القعدة في الطريق الرابط بين بلدية آفلو وبلدية الغيشة على بعد 14 كلم من هاته الأخيرة، ولقد شارك في هاته المعركة ثلاث كتائب تحت إشراف القائد العام " موسى مراد " وبقيادة " مولاي إبراهيم " و" مولاي عبد الله " وكان عدد المجاهدين يناهز 400 جندي مسلحين بأنواع من الأسلحة الخفيفة من بينها مسدس رشاش إيطالي، وستاتي بنادق من نوع (BRT) ومن 7 إلى 15 بنادق صيد، في حين كانت قوات العدو كبيرة جدا إلى درجة أن طول القافلة العسكرية تجاوز 10 كلم [1] مدججة بمختلف الأسلحة الفتاكة مدعمة بالطائرات المقنبلة والكشافة.

أما عن أسباب المعركة فهي تعتبر كرد على الهزيمة التي تكبدها القوات الإستعمارية في معركة الخطيفة في اليوم الماضي [2] والتي ما إن وصل خبرها إلى الكتائب المتوجهة إلى آفلوا واستعدادات العدو لعمليات تمشيط المنطقة حتى تغيرت الخطة ورابط المجاهدون في الشوابير إستعدادا لمجابهة العدو في معركة حامية الوطنيين إستغرقت عدة ساعات أبلى فيها المجاهدون البلاء الحسن رغم عدم التكافؤ بين الجانبين، ومن بين أهم نتائج هاته المعركة هو حرق عدد كبير من الشاحنات، نتيجة القصف العشوائي للطيران إثر تلقيه نبأ إستيلاء المجاهدين على بعض الشاحنات وقد خسرت القوات الفرنسية

---

[2] المعركة الثانية من الجهة الجنوبية ذكرتها في الفصل الأول والمتعلقة باشتباك سطافة التي تعتبر أول مواجهة عسكرية بالمنطقة أنظر سابقا الفصل الأول ص .

[1] التقرير الولائي الثاني حول تاريخ الثورة التحريرية 56-58 المنعقد بالأغواط بتاريخ 27 سبتمبر 1984، ص19.

[2] مجلة أول نوفمبر : كمين التشابير العدد 87 سنة 1987.

ما يربو عن 1375 قتيلا، في حين خسرت قوات جيش التحرير 25 شهيدا منهم 7 مدنيين[3] وأسر خمسة جنود مصابين بجروح ولقد ردت القوات الفرنسية على هزيمتها هاته بأن قامت بالقصف العشوائي للدواوير والخيام حتى الحيوانات لم تنج من هذا القصف وقد نتج عن ذلك إبادة قرية " آنفوس " إبادة كاملة والواقعة على بعد سبعة (7) كلم من مكان المعركة.

ب– معركة خناق عبد الرحمـن [1] : وقائع هذه المعركة جرت في 19 ماي 1957 بين وحدة جيش التحرير الوطني بقيادة الشهيد لطفي وبين القوات الإستعمارية بجبل خناق عبد الرحمن الذي يقع ضمن سلسلة جبال الأطلس الصحراوي بالجنوب الغربي من مدينة آفلو مقر الدائرة الآن، وعن بلدية الغيشة وعلى مسافة 20 كلم تقريبا من الشمال الغربي ومن الجنوب جبل بوقرقور ومن الشرق جبل زعطوط وهذه الجبال تمتد إمتدادا طبيعيا لبعضها البعض، ونظرا لهذا الموقع الإستراتيجي الهام، فلقد كان منذ بداية العمل المسلح للمنطقة مركزا لفيالق جيش التحرير ومركز قيادة الناحية الرابعة ،وهو بذلك محطة لقوافل المجاهدين الذاهبين والآتين من الحدود الغربية للبلاد ومن ولايات الوسط ،وهو بذلك المعبر الرئيسي لكل الاتجاهات وتتميز السلسلة بغطاء نباتي وكثيف وتوفرها على بعض الموانع الطبيعية كالشعاب والمخابئ والخنادق المتمثلة في المغارات العميقة والمتشعبة.

وتتألف وحدة جيش التحرير الوطني التي شاركت في هذه المعركة من فيلق بقيادة الشهيد لطفي قائد المنطقة الثانية آنذاك والذي حضر في بداية المعركة، وكتيبة تابعة للولاية الرابعة بقيادة المجاهد مصطفى بن عمر كانت في مهمة لجلب الأسلحة من المغرب الأقصى وتحمل رقم 4 وكتيبات أخريان تحملان رقم 2 و3 وهما تابعتان للناحية الرابعة في المنطقة الثامنة للولاية الخامسة بالإضافة إلى الفرقة التابعة لقائد المنطقة الذي كان حل بها في فترة سابقة وأيضا فرقة وصلت للناحية قبيل المعركة

---

[3] حسب شهادة المجاهد بن السايح بن حرز الله من مواليد 1933 شارك في الحرب العالمية الثانية فر من الجيش الفرنسي في ماي 1955 بالمغرب هو و40 من الجزائريين تولاهم الجيش الملكي ثم التحق بفرقة النقيب لطفي بالولاية الخامسة شارك في الشوابير أصيب في معركة بالبيض وتم نقله إلى الخارج للعلاج ودخل بعد الاستقلال (على قيدالحياة)

[1] تسمى كذلك بمعركة الميمونة نسبة إلى الجبل وذكرها العماد طلاس في كتابه بمعركة الجنوب واعتبرها من أهم معارك الجنوب أنظر : طلاس مصطفى (العماد) مرجع سابق، ص 470-478.

بأيام قدمت إليها من جبل حد الصحاري (ناحية الجلفة) بقيادة الشهيد الطاهر بلعون والعدد الإجمالي لقوة جيش التحرير يبلغ حوالي 500 مجاهد[2]، والميزة التي تتميز بها هاته الكتائب عن كتائب معركة الشوابير هو التسليح الجيد إذ كان بحوزتها وقطع جماعية مثل 29/24 وفامبار ويران ولويس بالإضافة إلى عدد كبير من البنادق الفردية والآلية ونصف آلية وكذلك القنابل اليدوية.

في حين أن قوات العد حسب شهادة أحد أبطال هذه المعركة وهو مصطفى بن عمر " كانت مشكلة من قوات المضليين العائدين من مصر إثر العدوان الثلاثي عل قناة السويس مع ما لديهم من العتاد المخصب بلون يشبه لون الرمال، وعززهم بثلاثة فيالق من جنود اللفيف الأجنبي [1]، إضافة إلى الفيلق الأول للمضليين الأجانب والفيلق الثاني لمضلي البحرية الذي يقوده الضابط " شاتو جوبير Château Jobert وأسند الإشراف على تنسيق العمليات إلى العميد (دوسنفال d'esneval)، بالإضافة إلى ذلك شاركت في العملية كتائب من سلاح المدرعات ومدافع الميدان التي جاءت من المراكز المنتشرة عبر الناحية الغربية والجنوبية من البلاد.

أما عن الوضع العام بالناحية قبيل المعركة يقول مجاهدون حضروا وقائع هذه المعركة في حوار بمجلة أول نوفمبر وهم كركوب مولاي [2] الطيب ومتيجي ناصر والعكسي عبد القادر والزاوي ا الطاهر ،والذين أجمعوا على أن الحالة العامة بالجهة قبل المعركة تميزت بتسجيل نشاط واسع لجيش التحرير عبر كامل تراب المنطقة الثامنة وتمثل هذا النشاط على الخصوص في نصب كمائن، واشتباكات لقوات العدو والقضاء على أعوانه، [3]وفي نفس الشهر (أي ماي) حضر قائد المنطقة آنذاك الشهيد لطفي واستقر بالناحية لفترة من الوقت وخلال ذلك كانت كتائب جيش التحرير وفي إطار التنقلات العادية تقوم بمهمات فوق تراب المنطقة ثم تعود إلى مراكزها بجبل خناق عبد الرحمان،

---

[2] التقرير الولائي الأول، مرجع سابق ، ص21.

[1] B.Mustapha Opcit, PP 132-136.

[2] المجاهد كركوب مولاي الطيب من مواليد 1921 إنضم إلى الثورة سنة 1956 والمجاهد متيجي ناصر من مواليد 1942 التحق بالثورة سنة 1956 برتبة مرشح عسكري والمجاهد العكسي عبد القادر من مواليد 1927 انضم للثورة في 1956 برتبة جندي سجن إلى غاية 1961 بعد أسره سنة 1957 أنظر مجلة أول نوفمبر العدد 70 سنة 1985، ص 19 إلى 22.

[3] عيسى كريريش/ نفس المرجع، ص210.

وقبل المعركة بأيام معدودة بدأت الأخبار الواسعة النطاق والتي كانت تقوم بعملية التمشيط من أجل محاصرة قوات جيش التحرير من أجل القضاء عليها، وعلى إثر ذلك تفطن الشهيد لطفي لأهداف العدو فاجتمع بأركان حربه" قادة الكتائب " وبعد دراسة شتى الإحتمالات قرر عدم مغادرة الجبل وتفصيله للمواجهة رغم معارضة المجاهد مصطفى بن عمر الذي فضل الإلتجاء إلى جبال القعدة الأكثر تحصينا[1] إلا أن الشهيد كان مصمما على تلقين العدو درسا في الخطط الحربية.

وفي هذا الإطار وعلى سبيل الإحتياط تم توزيع الكتائب وانتشارها عبر قمم ومرتفعات الجبل من أعلى قمة إلى ما دونها وشغل هذا الإنتشار موقعا هاما من رقعة الجبل وخاصة بالمواقع الطبيعية وحتى الإصطناعية التي أنشأتها الجنود لتفادي عمليات القصف الجوي أو البري المتوقع حتما.

–وقائع المعركـة : عرف هذا اليوم المشهود حسب راويات [2] جميع من شاركوا فيه لما له من وقع خاص على نفوسهم لما عايشوه لحظة بلحظة، فمنذ الصباح الباكر ومع بزوغ الفجر وميلاد يوم جديد على المنطقة كان السرب الأول من طائرات الدعم والإستطلاع يجوب سماء المنطقة ويرصد كل حركة فيها بحثا عن مواقع المجاهدين وبعد فترة من تحليق هذه الطائرات أقبلت على المنطقة أسراب من الطائرات المقاتلة في موجات متتالية وبدأت في قنبلة مختلف أنحاء الجبل وخاصة النقاط المحصنة، ألقت خلالها عشرات الأطنان من الحمم الملتهبة ثم غادرت سماء المنطقة لتترك المجال لمدفعية الميدان التي أمطرت الجبل بمئات القذائف ذات الأحجام المختلفة.

وبعد ساعة من القصف الجهنمي ظهرت في الأفق القريب الطائرات العمودية في موجات متلاحقة وألقت بحمولتها من جنود المظلات في قمم ومرتفعات جبل القرقور الواقع خلف جبل خناق عبد الرحمن جنوبا ثم تواردت الأحداث على المنطقة بسرعة وشوهدت القوات البرية في شكل إنسياق متتالية من الجهة الشمالية والشمالية الغربية، تحت الحماية الجوية التي تؤمنها وأصبح الجبل بهذه الصورة

---

(1) B.Mustapha Opcit, PP 134.

(2) مثل المجاهد ملياني الشيخ أحد أبطال معركة خناق عبد الرحمن من مواليد 20 ديسمبر 1939 التحق بجيش التحرير سنة 1956 عمل بأفلو والجلفة تحت قيادة موسى مراد وعمر إدريس (لا يزال على قيد الحياة) حوار أجراه الباحث بالقبة بتاريخ 10 سبتمبر 2002.

مطوقا من جميع الجهات ما عدا الجهة الشرقية منه واستمر لإحكام الحصار بهذا الشكل إلى بلغ نقطة الإنفجار، وفي الجهة الأخرى كان المجاهدون يراقبون من مواقعهم عن كثب كل ما يجري منذ الصباح الباكر، وقد أعطت لهم الأوامر بألا يطلقوا النيران إلا بعد أن يقتربوا أكثر فظلوا بذلك صامدين ملازمين لأماكنهم[1].

وفي حدود الساعة الثامنة من يوم 19 ماي 1957 بدأت المعركة بين الطرفين وفي جميع النقاط، وقد استعمل الطرفان جميع إمكانياتهما المادية والمعنوية وفي جميع النقاط، وقد استعمل الطرفان جميع إمكانياتهما المادية والمعنوية لإحراز نصر ساحق في الميدان، بيد أن جنود التحرير رغم ضآلة إمكانياتهم بالنسبة لما عند العدو فقط إستطاعوا بفضل شجاعتهم وإرادتهم القوية ودفاعهم المستميت عن مواقعهم من إحراز تفوق نسبي على قوات العدو مما إستدعى هذا الأخير إلى الإستنجاد مرة أخرى بالطائرات المقاتلة التي عاودت القصف بعدة أطنان من القنابل وخاصة قنابل الغاز والنابالم مما غير ميزان القوي لصالح العدو في الفترة الملسائية واستمرت المعركة إلى غاية حلول الظلام أين حل الهدوء النسبي وهدأ القتال، وتراجعت قوات العدو وللخلف، وتجمعت في نقاط معينة تدبر خلالها جيش التحرير أمره وانسحب من الجهة الشرقية نحو جبل زعطوط الواقع على بعد حوالي 25 كلم، واتجه الجزء الآخر نحو الجبال القريبة، واتجه فوج نقل الجرحى إلى (عين ماضي)[2] لمعالجتهم.

وفي اليوم التالي شرع العدو في إخلاء الميدان من قتلاه وجرحاه بالإضافة إلى ترتيب أموره استعدادا لمطاردة المجاهدن والانتقام منه، فقام صباح 21 ماي بتوسيع نطاق عملياته لتشمل جبل زعطوط السابق الذكر وتصادف أن كانت إحدى الكتائب المنسحبة من جبل خناق عبد الرحمان لا زالت لم تغادره بعد فاشتبكت معه ودار بينهما قتالا رهيبا إستمر ليوم كامل، وألحقت به خسائر هامة في الأرواح وانسحب إثرها المجاهدون نحو عمق القعدة، ثم في فترة لاحقة واصلوا إنسحابهم نحو

---

(1) B.Mustapha Opcit, PP 134.

(2) عين ماضي كانت قاعدة خلفية لجيش التحرير بجبال القعدة القريبة منها فهي مركز تموين ومركز لاختباء المجاهدين المارين بالمنطقة وأماكن لمعالجة الجرحى في المعارك التي تحدث بالقرب من عين ماضي.

الخمسوات أين تجمع المجاهدون من جديد بحضور قائد المنطقة الشهيد لطفي [1] هذا الأخير الذي أجرى تقييما شاملا للمعركة ونتائجها وفي كلمة توجيهية للجنود وأخبرهم عما أسفرت عنه والتي كانت على النحو التالي : - مقتل ما يزيد عن 400 عسكري [2] وجرح العديد منهم وحرق مدرعتين هذا من جانب العدو، أما عن خسائر جيش التحرير فقط سقط في ساحة الشرف (يومي 19 و 21 ماي 1957) 72 شهيدا وإصابة 50 مجاهد بجروح مختلفة، [3]ولقد قابل العدو هذه العملية بعمليات تنكيل بالمواطنين العزل في النواحي الغربية من سكان المعركة مثل عين ماضي التي نكل سكانها أيما تنكيل.

ج- معركة قابـق : والتي وقعت في الجهة الجنوبية بمنطقة الأغواط بتاريخ 24 ماي 1959 بالمكان المسمى قابق وهو أرض فلاحية تقع على ضفة تاونزة بمجرى وادي مزي شمال شرق قصر الحيران وعلى بعد حوالي 10 كلم وهي منطقة عارية إلا من بعض أشجار الطرفاء ونباتات القطف.[4]

وعن أسباب هاته المعركة هو خروج القوات الفرنسية في حملة تمشيط للمراكز الحساسة مثلما فعلت بالجهة الشمالية وعوض أن تتجه إلى جبال القعدة كما كان مقررا إضطرت إلى تركيز عملياتها على ناحية قصر الحيران جراء هجوم فصيلة جيش التحرير على مدنية مسعد في اليوم السابق للمعركة

---

[1] وأثناء هذا الإجتماع إستلم الشهيد لطفي إستدعاءا صادر عن هيئة الأركان، وورد إليه في الوقت نفسه نبأ ترقيته إلى رتبة رائد وهي رتبة تجعل منه نائبا لبومدين الذي خلف في تلك الآونة عبد الحفيظ بوصوف على رأس الولاية الخامسة، أنظر مجلة أول نوفمبر العدد 35 سنة 1979.

Voir Aussi : B.Mustapha Opcit, PP 132.

[2] هناك اختلاف حول عدد قتلى العدو الفرنسي فمثلا ذكر التقرير الولائي بتاريخ الثورة عدد 450 وأما مصطفى بن عمر فقد ذكر عدد 102 وعدد كبير من الجرحى في غياب تصريحات الفرنسيين الذين لم يكونوا يصرحون بعدد قتلاهم.

[3] من بين هؤلاء الشهداء الذين سقطوا في هذه المعركة الإخوة، زكريا (المسؤول العسكري للناحية) والرياحي وبوعزة عبد القادر، رايس محمّد، والتواتي بشير، وزخروف مناد، وشبادي قادة، خندال خليفة، قريشي لمجادي، دندان عيسى، عبيد الحشاني، بلعون الطاهر، أنظر مجلة أول نوفمبر، الشهيد لطفي (أشهر معارك) العدد35، سنة 1979.

[4] الطرفاء : نوع من الأشجار متوسطة الطول كثيفة الأوراق شبه أشجار الصنوبر القطف، عشب بنمو متماسكا مع بعضه البعض ويصلح للأكل.

فضلا عن عمليات أخرى استهدفت مراكز العدو وبقري العسافية وسيدي مخلوف وقصر الحيران، وقد أعدت القوات الإستعمارية لذلك آلاف الجنود، ومن مختلف التشكيلات مدعمة بالأسلحة الثقيلة والمتنوعة والمزودة بالمصفحات والطائرات المقنبلة والطائرات العمودية من نوع (بنان) بقيادة الجنرال " تين Tin " يساعـد في ذلك مجموعة من الضباط الكبار.[1]

في حين كانت تشكيلة جيش التحرير مكونة من الفصيلة التابعة للكومندو الثالث للناحية الرابعة المنطقة الثالثة للولاية الخامسة ،وكان عددها لا يتجاوز 35 مجاهدا بالإضافة إلى مجندين جدد وأحد المسبلين وثلاثة بدون سلاح بقيام الملازم العسكري "صدوقي الحاج " الملقب " بن عيسى " ونائبه العريف الأول " الشرقي الحاج " والعريف الأول " معزوز مبارك ".

وأما عن الظروف التي سبقت المعركة فهي متمثلة في قدوم فرقة من العدو يوم 23 ماي إلى الناحية واكتشفت الخيول المجرحة بالأسلاك الشائكة والتي إستعملها جيش التحرير في الأيام الماضية للتنقل وضرب المراكز العسكرية بالقرى، [2]وعلى إثر ذلك جرى نقاش بين رجال الفصيلة حول الخيارات التي ينبغي الأخذ بها هل يبقون داخل المركز أن ينتقلون إلى مكان آخر ؟ واستقر الرأي على البقاء لأخذ قسط من الراحة وفجأة أخبر الحارس بقدوم القوات الفرنسية من مدينة الأغواط قاصدة جهة قابق بعد إكتشاف آثار المجاهدين على الأرض، وقامت بضرب حصار على كامل منطقة " تاونزة " بدءا من واد المناس " إلى أسفل قابق إلى السلسلة، وأخذت القوات تزحف راجلة من ثلاث جهات نحو مكان تواجد الفصيلة.

-وقائع المعركـة : قام المجاهدون بضرب أحد أجنحة القوات المعادية وتم القضاء على 14 جنديا من بينهم ضابط وإعطاب طائرة إستكشاف بها إثنان من الضباط سقطت قرب قصر

[1] أمثال (مارتيني) والضابط بوجول والكولونيل كاثر، قائد القطاع العسكري.

[2]وذلك بناءا على رسالة حملها أحد المسيلين من المجلس الشعبي لقصر الحيران الذي كان بعض أعضائه يعملون لصالح الثورة ويتعاملون مع السلطات الفرنسية.

الحيران[1] وتم إنسحاب الفصيلة إلى مسافة حوالي 3 كلم حيث تمركزت بمكان أكثر ملائمة وبعد 3 ساعات زحفت القوات الفرنسية نحوهم وتجدد النزال وفي هذا يقول المجاهد عيسى كريريش " ... فإشتبكنا من جديد مع الإستعمار حتى أصبحنا في السلاح الأبيض معهم ثم بعدها تدخل طيران العدو وبدأ في قنبلتنا فأصبنا من جديد ثلاث طائرات وغنمنا أسلحة ... وبعدها إنتقلنا إلى مكان آخر قريب ولكننا لا نزال مطوقين من طرف الجيش الإستعماري ... "[2]، **وقد** إنتهت معركة قابق وقد أستشهد ستة مجاهدين وأسر 12 [3] منهم ونجا الباقون ومعظمهم أصيب بحروق وجروح متفاوتة الخطورة وقد غنموا أسلحة وأجهزة لا سلكية، أما عن خسائر العدو فقد قتل حوالي 101 قتيل ومئات الجرحى وسقوط طائرتين وإعطاب ثلاث طائرات أخرى.

ولقد كان رد السلطات الإستعمارية على هذه المعركة سريعا حيث وكالعادة قامت بحرق المحاصيل الفلاحية وقتل الخيول والبغال، والتي بلغت 200 رأس والإستيلاء على قطعان من البقر وبالإضافة إلى هدم المداشر المجاورة لمنطقة قصر الحيران، وعند وصول القائد العام الجنرال (تين) [4] بنفسه رفقة زوجته والمتخصصة في الحرب النفسية والذي قام بتحقيق شامل مع المواطنين المتهمين بمساعدة الثوار أو مشاركون في المعركة وطالب برؤية المقاتلين الحقيقيين فعرض عليه الأسرى الذين استنطقهم بنفسه عن عددهم فأجابه ضابط المكتب الثاني الرائد "مارتيني " بأنهم كانوا مئة فأخبره أحد المجاهدين بأنهم كانوا 33 فقط. وسألهم عن فترة وجودهم بالجهة فأخبره الكولونيل " تريماي " قائد القطاع العسكري أنهم جاؤوا منذ أسبوع فرد عليه أحد المجاهدين بأن جيش التحرير موجود بهذه الجهة منذ 1957 فأمر الجنرال باعتبار المجاهدين الأسرى كأسرى حرب نظرا لبطولتهم وأمر باعتقالهم

---

[1] الذي أسقط الطائرة هو المجاهد " بلغوني بوفاتح " بطلقة نارية من بندقية (موزير) أنظر التقرير الولائي حول تاريخ الثورة، المرجع نفسه ص 11.

[2] كريريشي عيسى : المرجع السابق، ص 210.

[3] أستشهد في هاته المعركة كل من : حيدار، بلغوني بوفاتح، قسمية بن حرز الله والمسبل قويدر الطعي أما الأسري نذكر منهم كربريشي عيسى، معزوز امبارك، عكسي عبد القادر، بوجمعي الدين، عشور مُحَمَّد، وبوقرة أحمد أنظر: كربرشي عيسى نفس المرجع ص 216.

[4] قائد القوات الفرنسية بالصحراء.

بدل قتلهم الذي كان مقررا من طرف قائد القطاع العسكري " تريماي " الذي أقدم بعد أيام قليلة على الانتحار من تأثير صدمة المعركة، [1]وقد استمرت عملية التمشيط بالمنطقة حوالي 3 أشهر مما أدى إلى معارك أخرى وإشتباكات لم تتوقف إلى مع وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962.

المبحث الرابع: السياسة الفرنسية في منطقة الأغواط أثناء الثورة التحريرية :

1-الإصلاحات السياسية والاقتصادية والثقافية: عمدت السلطات الفرنسية إلى القيام بمشاريع سياسية واقتصادية واجتماعية محاولة منها ابعاد الشعب عن الثورة، ومن بين ما عرفته منطقة الأغواط من إصلاحات نذكر ما يلي :

أ- إصلاحات سياسية : متمثلة في الانتخابات، والتي جعلتها السلطات الفرنسية كوسيلة لتهدئة الأوضاع وشغل الشعب عن قضيته الأساسية عن طريق طرح برامج ومشاريع زعما منها بأنها الكفيلة بحل مشاكل أبناء المنطقة ولقد فشلت أغلب الانتخابات رغم عدم اعتراف الفرنسيين بذلك[1]. بل كانوا يقدمون على تزوير النتائج وتقديم حجج واهية للإثبات مشاركة المواطنين مثل انتخابات غي مولي في 1956/01/30 والتي قاطعها معظم السكان، بالإضافة إلى انتخابات الجماعة في مارس 1956 بتاجموت والأغواط، وانتخابات سبتمبر 1957 من أجل انشاء اللجان الادارية للحصول على مقاعد في عمالة الواحات التابعة لوزارة الصحراء والتي ترشح فيها أصحاب فكرة فصل الصحراء مثل الكولينال علي مراد[2] وأخيرا الانتخابات التشريعية في نوفمبر 1958 والتي أعطي فيها الحق للمرأة للمشاركة في التصويت وهذا دليل على نقص عدد الناخبين ومقاطعتهم لها

---

[1] قلما يحدث هذا العمل من القادة الفرنسيين وخاصة من الضباط السياسين برتبة كولونيل فلقد كان لأثر معركة قابق التي راهن عليها الكولونيل تريماي من أجل القضاء على الثوار بالجهة وعندما فشل قام بعملية الإنتحار، أنظر التقرير الولائي، مرجع سابق، ص 13.

[1] وذلك ظاهر في إعلامهم وتقاريرهم الكاذبة أنظر الملحق رقم 1 جزء أ.

[2] الكولونيل مراد علي، من أذيال الاستعمار وهو عضو عمالة واحات ممثلا عن الأغواط وهو من دعاة فكرة فصل الصحراء إلى جانب حمزة بوبكر.

لقد فشلت هذه الانتخابات ولكن حجة الادارة الاستعمارية في ذلك كانت أن المترشحين لم يكونوا من سكان البلديات التي ترشحوا باسمها (أنظر الملحق رقم 1جزء أ)

ب– الاصلاحات الإقتصادية : قامت السلطات الفرنسية بمجموعة من الإصلاحات كوسيلة لإغراء السكان وإبعادهم عن الثورة التحريرية و ذلك عن طريق مشاريع إقتصادية و المتمثلة في فتح ورشات حرفية للشباب البطال و تقديم مساعدات لتطوير الصناعة التقليدية (صناعة الجلود، صناعة النسيج ...) بالإضافة إلى تشغيل الشباب في الشركات البترولية بحاسي الرمل.

ج – الإصلاحات الإجتماعية والثقافية : كان ظن الإستعمار خائبا عندما فكر في أن إنضمام المواطنين و خاصة الشباب إلى الثورة لأنه يعيش الفراغ، فعمد إلى إنشاء النوادي الثقافية و تشجيع أصحاب المقاهي على إصلاح المقاهي و توسيعها و تهيئتها لتكون أماكن للهو و لعب الدومينو و ممارسة القمار، كما قامت ببناء المدارس و المنشآت التكوينية.

ولكن كل هذه الإصلاحات لم تجدي نفعا لأن سكان منطقة الأغواط كانوا قد حسمو موقفهم لصالح قضيتهم الوطنية وهم لا يعبؤون بإغراءات الإستعمار التي غالبا ماكانت الإستعمار التي غالبا ماكانت إصلاحات و مشاريع ظرفية.

2–الاجراءات العسكرية: عرفت المرحلة التي أعقبت مؤتمر الصومام من الجانب الفرنسي رد فعل مكثف ومحاولات حثيثة من أجل فصل الشعب عن الثورة حيث إستخدم كل الوسائل القمعية والإرهابية لإكراه الأهالي وإجبارهم على التخلي عن المجاهدين، نظرا لما تكتسبه المنطقة من أهمية بالغة وخاصة بعد إكتشاف البترول والغاز ،وبذلك قررت الحكومة الفرنسية تدعيم قواعدها العسكرية بهذه الجهة وعملت على تدعيم المركز الجهوي للتموين بالعتاد الحربي المتواجد بالمدينة والذي يحتوي على ترسانة ضخمة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة من مختلف العبارات إلى جانب المدرعات وفيالق من اللفيف الأجنبي والمشاة، وحتى المضلين ولتدعيمها عمدت إلى تزويد القاعدة الجوية العسكرية

بطائرات من طراز 26 ب، و 29 ب وطائرات عمودية ذات مروحيتين، [2]وعلى إثر الهجومات المظفرة التي شنتها وحدات جيش التحرير أجبرت القيادة الفرنسية أن تجعل من ناحية القعدة بآفلو والجبل الأزرق وبوكحيل مناطق محرمة كما عملت على تطبيق سياسة الأرض المحروقة، وقد أعطت الحكومة الفرنسية صلاحيات واسعة للسلطات العسكرية وحرية التصرف بشكل لم يسبق له مثيل وخاص ما بين 1962/58 وذلك بالإكثار من عمليات التمشيط والتطويق والإبادة المعممة على أوسع نطاق، كما حاول الجهاز العسكري الفرنسي إستثمار التجارب والخبرات التي تراكمت لديه خلال السنوات السابقة في الصراع مع الثورة الجزائرية وسعيه إلى تطبيقها مما ضاعف من شراسة وخطورة مواجهته.

ضف إلى ذلك أنشئت فرق متخصصة في حرب العصابات وتدعيم مصالحه الخاصة بالحرب النفسية والاستعلامات وقد برزت في المنطقة ظاهرة " بولحية " ذلك الضابط المجرم [1] الذي يقود فرقا من اللفيف الأجنبي والحركة التي اعتمدت على أبشع أساليب الإرهاب والرعب في أوساط السكان ومحاولة شراء الضمائر وتجنيد العملاء وإرغام بعض المجاهدين الأسري على ارتداء اللباس العسكري الفرنسي وعرضهم على المواطنين للحط من المعنويات والتشكيك في الثورة ورجالها ودمج ضعاف النفوس في جيشه مما أكسبه خيرة في محاولة الثورة في كافة الأصعدة وبكل الطرق مما أثار الكثير من الرعب في أوساط المواطنين خصوصا في البوادي والأرياف التي كانت ضحية جرائم هذا الضابط وفرقة التي فاقت جرائم النازية، [2]وقد ضاعفت السلطات الفرنسية من المراكز العسكرية التي امتدت خلال هاته الفترة لتشمل كل القرى والمداشر وإنشاء مراكز للمراقبة والرصد في بعض الجبال والمناطق

---

[2] التقرير الولائي الثاني، مرجع سبق ذكره، ص 10 .

[1] هذا الضابط لم يذكر لي أحد إسمه ولكنه كان معروفا باسم بولحية.

[2] شهادة المجاهد أحمد بن الزوبير، سبق ذكره.

الإستراتيجية[3] ،إلى جانب ذلك قامت بإحاطة التجمعات السكنية بالأسلاك الشائكة والألغام مما صعب مهام الفرق الفدائية المتسللة من والي المدن والقرى.

كما كثفت من عمليات تجنيد العملاء والحركة والاستعانة بهم في كشف التنظيم الثوري بمراكزه ورجاله وطرق عمله مما شكل مصاعب للثورة وخاصة الفترة ما بين 1958 إلى 1962، وهي الفترة توسعت بها عمليات الإرهاب والقتل دون محاكمة بشكل لم يسبق له مثيل وإنشاء مراكز التعذيب والاعتقال شل محلات الدوب Dop،[1]كما اعتمد الجيش الفرنسي أكثر من ذي قبل على الدوريات والحريات اليومية والإنقضاضات المفاجئة على المراكز مستغلا كثافته العددية التي بلغت أوجها في المرحلة الثانية، وللتعليل على مدى همجية الاستعمار الفرنسي بالمنطقة نعطي ولو بعض الصور التي تبين بشاعة جرائمه.

3- سياسة فصل الصحـراء : تعتبر الصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر بصفتها من أهم المحاور الرئيسية في الإستراتيجية الفرنسية في جميع النواحي السياسية والعسكرية والإقتصادية ويبدو ذلك جليا من خلال الإهتمام المتزايد الذي عرف أوجه أثناء الثورة الجزائرية ومحاولة فصل الصحراء وإعلان هذا القسم من التراب الوطني جزء مستقل تابع لفرنسا. [1]

" فمنذ سنة 1902 إلى غاية 1957 كانت الصحراء الجزائرية مقسمة إلى أربعة مناطق هي غرداية، تقرت، الواحات عين الصفراء وتغير هذا النظام سنة 1957 حتى سنة 1962 حيث أصبحت تنقسم إلى عماليتين (ولايتين) هما الواحات مركزها الأغواط [2] والساورة مركزها بشار ..." وقد كانت في المرحلة الأولى تابعة للحاكم العام بالجزائر يحكمها باسم فرنسا وأما في الثانية

---

[3] المتجول في منطقة الأغواط عبر شساعتها تلمح عينه مراكز المراقبة Les postes optiques التي أنشأها الفرنسيون والتي مازالت شاهدة على ذلك والتي تتربع على قمم المرتفعات.

[1] مفرزة العمليات الوقائية كما يزعم العدو وهي أماكن لتعذيب أتباع الثورة.

[1] في 15 نوفمبر تم إلحاق عماليتي الواحات والساورة "بفرنسا مباشرة ومنذ ذاك التاريخ أصبح يطلق عليها الصحراء الفرنسية.

[2] لم تبق الأغواط عاصمة للواحات فيما بعد وأسباب التحويل ربما يكون راجع للعمليات العسكرية التي عرفتها المنطقة أو بسبب زيارة ماكس لجون التي قاطعها السكان.

فأصبحت تحت إشراف وزارة الصحراء [3] وتبعتها إجراءات أخرى منها ما إقتصادي ومنها ما هو تنظيمي فالإقتصادي تمثل في إكتشاف الثروات الباطنية الهائلة وخاصة البترول والغاز الطبيعي في بداية 1954 وهو ما فح أفاقا إقتصادية عمقت تمسك الإستعمار بالصحراء فكان قانون 1958 الخاص بالبترول في الصحراء وينص على تقديم تسهيلات وإمتيازات للشركات الأجنبية للمساهمة.[4]

الجانب التنظيمي فتمثل في صدور قرار يوم 07 ديسمبر 1960 يحدد ظروف تطبق النصوص التشريعية والتنظيمية وينص في هذه الأول على أن عمالتين الساورة والواحات الفرنسيين هما جماعات إقليمية تابعة للجمهورية.

وإن القصد من هذه التغيرات الإدارية و الاحتياط للمستقبل والتمهيد لفصل الصحراء نهائيا عن شمال الجزائر في إضطرار الإستعمار الفرنسي للإعتراف باستقلال الجزائر.[1]

محاولة فصل الصحراء الجزائرية هو المشروع الذين تفنن فيه ديغول منذ وصوله إلى الحكم وهو بالنسبة إليه مشروع قديم جديد فلقد زار الجزائر في سنة 1957 قبل وصوله إلى الحكم [2] ففي جوان 1958 وتشكيل حكومية التي تضم وزارة خاصة بالصحراء أسند مهامها إلى السيد ماكس لوجان Max Le Jeane وقام بأول زيارة عمل بعد تنصيبه للإطلاع عن كتب على الأوضاع.

في إطار السياسة الجديدة التي جاء بها [3] ،وقد تلتها زيارات عديدة للجنرال ديغول الذي إستعان في تطبيق سياسة على عدد كبير من الخونة والعملاء، وعلى رأسهم أحد أعوانها المعروفين

---

[3] أنشأت وزارة الصحراء في جوان 1957 بقرار من مجلس الوزراء الذي يرأسه " بورجيس مونري " وأوكلت إلى ماكس لوجون عضو الفرع الفرنسي الأممي الإشتراكي (SFIO) والذي كان يشغل منصب كاتن دولة للقوات المسلحة مكلف بالشؤون الخارجية وذلك منذ 16 فبراير 1956 وبهذه الصفة عرف بمواقفه العدوانية وجرائمه النكراء تجاه الجزائريين والثورة الجزائرية ومن بينها، دوره المخزي في عملية إختطاف الطائرة التي كانت تقل الزعماء الخمسة يوم 22 أكتوبر 1956.

[4] مطمر مُحَّد العيد، مرجع سابق، ص65.

[1] الصحراء الجزائرية من ماكس لوجان إلى ديغول، جريدة المجاهد، العدد 10 23 أفريل 1961 ص 8.

[2] التقرير الجهوي للولاية السادسة الفترة الممتدة 59-1962 بوسعادة 17/16 أفريل ص 16.

[3] كواني مسعود، محاولات ديغول لفصل الصحراء عن الجزائر مناورة او حقيقة : ملتقى فصل الصحراء.

باتصالاتهم بالأوساط المالية الإستعمارية المدعو حمزة بوبكر [4] الذي كلف بالحصول على تأييد الشخصيات المحلية الصحراوية للمشروع واجتمع بهم مرة أولى بالأغواط ومرة ثانية بالعاصمة ولكن الشخصيات الصحراوية رفضت المشروع جملة وتفصيلا، فما كان من إلا أن طلب من الحكومة الفرنسية تعيينه مباشرة لترسيم فكرة فصل الصحراء بواسطة القوة بعد أن ألقى القبض على أحد رؤساء الزاوية التيجانية ولكن دون جدوى.

ولم يتوقف حمزة بوبكر عن محاولاته ولكنها كلها فشلت لوقوف العديد من الشخصيات الصحراوية المؤثرة ضد[1] وعقب إصدار الجنرال ديغول قراره بفصل الصحراء وربطها رأسا بفرنسا في 07 جوان 1960 قام حمزة بوبكر بحملهم على إرسال برقيات شكر وامتنان إلى الجنرال بالإليزي وفعلا أرسلت بعض الجهات تحت الضغط وامتنعت جهات أخرى والتي قام باستدعائها إلى ورقلة ولكنها تم لم تحضر [2] ولم يتم اللقاء، فتلتها جولة إفريقية لحمزة بوبكر رفقة ماكس لوجون الوزير السابق للصحراء بصفته ممثلا لسكان الصحراء للتحدث مع رئيس النيجر "حماني ديوري " H. Diori لاستمالته فواجهة بالرفض وعاد حمزة بويكر خائبا.

ولم تكتف السلطات الإستعمارية بذلك بل حاولت بكل الوسائل إيجاد حلفاء لها ليقفوا معها في حربها من أجل الإحتفاظ بالصحراء بالإضافة إلى تبنيها إستراتيجية عسكرية سخرت لها إمكانيات بشرية ومادية هائلة هدفها عزل الصحراء عما يجري في الشمال، فأنشئت المناطق المحرمة بالجنوب

---

[4] حمزة بوبكر، أبرز عملاء الاستعمار الذين سخرتهم الإدارة الاستعمارية لترسيم قضية فصل الصحراء، وهو معروف باتصالاته في الأوساط المالية الاستعمارية وهو من مواليد 1910 بالأبيض سيدي الشيخ إرتقى في المناصب الإدارية كآغا ورئيس بلدية الأبيض سيدي شيخ ورئيس المجلس العمالي لساورة أنظر

Annuaire des représentants élus des populations des départements des Oasis et de la Saoura (Ministère du Sahara), Paris, 1960, P13.

[1] كواتي مسعود : نفس المرجع ص 148 وما بعدها.

[2] اعتذرت هاته الشخصيات على عدم الحضور بسبب قيام مظاهرات 11 ديسمبر 1960 فكانت حجة أحبكها لهم الشيخ بيوض الذي قدم دورا هاما في هذه القضية أنظر بيوض إبراهيم، مرجع سابق ذكره، ص 118.

ووسعت نطاق القمع والتفتيش وإعلان حالة الطوارئ [3] كما قامت بتدعيم الحركات المناوئة مثل جيش بلونيس الذي تجذر وجوده بالصحراء وكذلك القوة الثالثة المكونة من عملائها والطامعين في عطف فرنسا، و"ذلك عندما أحس الإستعمار بخطورة وجود خلايا جبهة التحرير الوطني المكثف في ربوع الصحراء وعندما شعر بتحرك خلايا جيش التحرير الوطني عبر سلسلة جبال الأطلس الصحراوي، ونواحي الأغواط وغرداية أوجبس من ذلك خفية على بترول الصحراء"[4].

قامت السلطات الإستعمارية بحماية المنشآت البترولية وتأمين وصول النقط إلى السواحل الجزائرية حيث كثفت نشاطها على ثلاث مناطق كانت عرضة لهجومات الثوار وهي مناطق كولومب بشار والأغواط وتقرت [1] كما قامت الإدارة الإستعمارية بإنشاء محطات إذاعية في كل من الأغواط غرداية تقرت لترويج فكرة الفصل.

وفي ظل هاته السياسة الإستعمارية كان التصدي لسياسة الجمهورية الخامسة من طرف قيادة الثورة عموما ومنطقة الأغواط خصوصا هو، وتجدر الإشارة إلى أن فكرة الفصل التي بدأت تتبلور سنة 1956 وقد تطن لها قادة الثورة إلى هذا باكرا وهو ما دفعهم إلى التأكيد في وثيقة مؤتمر الصومام على سلامة التراب الوطني الجزائري بما في ذلك الصحراء واعتبرته شرطا أساسيا لأي حل للقضية الجزائرية. [2]

وقد أعلنت لجنة التنسيق والتنفيذ C.C.E فتحها لجبهة الصحراء في حربها ضد الاستعمار لقد كان ذلك ي 23 أكتوبر 1957 عبر أمواج إذاعتي تونس والقاهرة وأكدت ذلك جريدة المجاهد عدة مرات كون المعرفة أصبحت تهم كافة التراب الوطني، [3]وقد قامت قيادة الولاية السادسة بتدعيم

---

[3] راجع الفصل السابق، ، ص 85.

[4] بن عمر الحاج موسى، السياسة النفطية الفرنسية في الجزائر 1952 رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2000، ص 145.

[1] ملفات ووثائق حول محاولات فرنسا لفصل الصحراء، المركز الوطني للدراسات في ح وت أول نوفمبر، ص 54.

[2] الحاج موسى بن عمر السياسة النفطية الفرنسية، ص 146.

[3] شعبنا لن ينقسم وأرضنا لن تتجزأ – جريدة المجاهد – العدو 97، 5 جوان 1961.

الثورة لمجموعة من الإطارات [4] ليقوموا بالاتصال بأعضاء المجالس العامة والمحليات والنواب والقيد وكل الأعيان بالإضافة إلى إقناع بعض العناصر من الذين كان الاستعمار يعول عليهم في ما يسمى (تشكيل القوة الثالثة) وحملهم على الاعتراف بأن الصحراء جزائرية وفعلا تم إقناع بعضهم وإجبار البعض الآخر على توقيع تصريحات في هذا المعنى أرسلت إلى وسائل إعلام الثورة والصحافة الأجنبية[5] هذه الجهود أتت بنتائج هاته على المستوى الشعبي مما أفشل مشروع التقسيم.

وفي منطقة الأغواط بالذات قامت عدة عمليات عسكرية فدائية والتي تكثفت خاصة بعد صدور قانون 22 نوفمبر 1958 الخاص بالإمتياز للشركات الأجنبية من أجل إستغلال الغاز الطبيعي والبترول وذلك كتهديد للشركات التي تستمر أموالها إستجابة للعروض التي قدمتها الحكومة الفرنسية مثلا يوم السبت 4 أفريل 1959 ليلا دخل كومندرس من جيش التحرير المدنية فهاجم مركز ضباط الشؤون الأهلية، وفي نفس الفترة هجم كومندوس آخر على حضيرة البترول ومنبع الغاز الطبيعي على بعد 5 كليومتر من بريان قرب الأغواط بمنطقة حاسي الرمل فخرب عددا هاما من الأجهزة الفنية قدرتها المصادر العسكرية الفرنسية بـ 15 مليون فرنك فرنسي [1] إلى جانب عمليات أخرى متفرقة هنا وهناك، كما قام الكومندوس الثالث للناحية الرابعة المنطقة الثالثة للولاية الخامسة بإعدام عمليين للإدارة الإستعمارية في منتصف شهر ماي 1959 وهما عضوان في المجلس البلدي بعد بلوغ معلوما عنهما أنها كان مدعوان إلى ورقلة لحضور الاجتماع المقرر عقده لجميع أعضاء المجالس تحت إشراف مسؤولي الإدارة الإستعمارية، فقام فوج التحرير بإلقاء القبضعليهم، وتم استنطاقها ثم نفد فيهما حكم الإعدام لعدم إمتثالهما لأوامر جبهة التحرير الوطني القاضية بمقاطعة الإدارة الإستعمارية والاستقالة من مجالسها ومناصبها.[2]

---

(4) منهم الشهيد أحمد طالب والضابط سعيد عبادو، رشيد الصايم، مُحَّد شنوفي، عثمان حامدي ، التقريرالجهوي للولاية الفترة 59، 1962 بوسعادة 16-17 أفريل 87، ص 15.

(5) التقرير الجهوي للولاية السادسة، ص 65 .

(1) حلقة جديدة في معركة البترول، جريدة المجاهد، العدد 40، 16 أفريل 1959.

(2) التقرير الولائي حول تاريخ الثورة التحريرية من أواخر سنة 58 إلى 62 المنعقدة في 23 أوت 1986، ص 60.

ولكن منذ تبديد شمل الكومندوس الثالث الذي تعرضت معظم عناصره وتشكيلاته خلال النصف من سنة 1959 للاستشهاد والأسر [3] خصوصا في معارك قابق والرميلة أخذت العمليات الفدائية خلال سنة 1960 تتضاءل فضلا عن الانتقال الرسمي مدينة الأغواط ومجموعة من قراها إلى سلطة الولاية السادسة، إلى غاية 1961 أين أعيد من جديد بناء القوي البشرية والأساليب التنظيمية لمواصلة سياسة التصدي لمشروع الفصل فسجلت خلال سنتي 1961 و1962 العديد من عمليات متابعة عملاء الإدارة الإستعمارية وكذا كتابة الشعارات [1] وتوزيع المنشورات والنداءات وتنظيم المظاهرات المعبرة عن تجند الشعب وراء قيادته الوحيدة جبهة التحرير الوطني والرامية إلى إحباط المناورة الفرنسية المتعلقة بإبقاء الصحراء أرضا فرنسية، ففي 1961/07/05 وإستجابة لقرار جبهة التحرير الوطني القاضي بجعل هذا اليوم يوما وطنيا ضد تقسيم التراب الوطني ولإعطائها دعما سياسيا في المفاوضات المزمع إجراؤها بقصر لوغران Lugrin بتاريخ 20 جويلية 1961 وعلى إثر ذلك قام بإيفيان قام المناضلون بالمدينة وخاصة المجاهدون الذين خرجوا حديثا من السجون الإستعمارية بتجنيد المواطنين إنجاح المظاهرات وتحضيرا ما تتطلب من أعلام وطنية وشعارات مساندة لجيش وجبهة التحرير الوطني وانطلقت المسيرة من وسط المدينة متجهة إلى مقر المكتب الثاني وعند ذاك أطلق أحد الحركة القائم بالحراسة " بن جغرون عبد المالك " بإطلاق النار على المتظاهرين فسقط الشابان – الرق أحمد وزخروف مُحَّد شهيدان وتعرض المؤطرون لهذه المظاهرة للسجن بعد أن ساهموا مثل باقي مناطق الوطن ي إفشال مؤامرة صل الصحراء التي راهن عليها الاستعمار الفرنسي.[2]

4– الحركات المناوئـة للثورة : لقد واجه الشعب الجزائري بقيادة جبهة وجيش التحرير الوطني الآلة الإستعمارية الفرنسية من أجل استعادة حريته المغتصبة منذ ما يقارن القرن ونصف ولم يكن يفكر يوما في أن يواجه عدوا غير الاستعمار فإذا به يجد نفسه في مواجهة أطراف أخرى قريبة منه من أبناء جلدية وتربطه بها عوامل كثيرة أهمها الانتماء لهذا الوطن ولكنهم تنكروا له كانوا كالوباء المستطير

---

[3] كريديرش عيسى، مسيرة كفاح ونضال في جيش جبهة التحرير الوطني، كلية المصادر العدد 2، 1999، ص 209.

[1] وجدت رسالة تطالب (عيسى مشتح) الملقب سي عبد الله بكتابة هذه اللافتات، أنظر الملحق رقم II الجزء2، الوثيقة هـ .

[2] أنظر الملحق رقم I، الوثيقة د، وهـ .

أفسدوا تاريخهم لأن منهم من يبغض الثورة الجزائرية أكثر من بعض الفرنسيين أنفسهم [1]، وهذا ما يسمى بالحركات المناوئة والممثلة في الحركة الوطنية الجزائرية MNA بقيادة ميصالي الحاج وجيش بلونيس الجناح العسكري لهاته الحركة والمكون من أغلب عناصرها ضف إلى هؤلاء العملاء والخونة أمثال العميل كوبيس[2] والخائن السعيدي.

لقد أصبح بلونيس و رجاله منذ ماي 1957 أداة طبعة في يد المصالح الخاصة الفرنسية و مجموعة من الجنرالات و العقداء الذي كلفوا بمتابعة ما حققته إدارة " لاكوست " و الجيش الفرنسي هذا الأخير الذي عين السيد " سيوزي CIOSI" من أجل متابعة ذلك و هذه العملية أكدتها (CCI) أي مركز التنسيق ما بين الجيش و هو الذي يراقب مختلف العمليات العسكرية، كما كلف العقيد كاتز قائد القطاع العسكري بالأغواط و ممثل سلان Slan الذي يضمن حماية بلونيس من طرف المضليين ،إضافة إلى تموينه بالأسلحة و المؤونة و العتاد[1].

وقد نفذ بلونيس العشرات من الإعدامات في صفوف أعضاء جبهة التحرير الوطني [2]، و قد قام برفع العلم الفرنسي إلى جانب العلم الجزائري و أصبح يتكلم عن إدماج الجزائر مع فرنسا.

---

[1] لقد كان للثورة الجزائرية أصدقاء ومساندين من الفرنسيين والأوربيين كانت لهم مواقف مضيئة عكس بعض الجزائريين ومن بين هؤلاء المتعاطفين مع الثورة نذكر : فرانس فانون، أندري ماندوز، موريس أودان..الخ.

[2] إسمه الأصلي بلحاج الجيلالي عبد القادر من مواليد قرية " زدين " إلتحق بمدرسة الضباط الصف شرشال وتخرج برتبة عريف، غنتسب إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية وأصبح عضوا في المنظمة الخاصة (OS) وأسندت إليه مهمة التدريب العسكري، واعتقل بعد إكتشاف المنظمة الخاصة سنة 1950 وأطلق سراحه بعد أن باح بكل الأسرار ومنه تحول إلى مخبر يعمل في جهاز الشرطة إلى غاية اندلا ع الثورة أين إختار أن يكون في صف الميصالين وإتخذ لنفسه إسم " كوبس " نهاية 1956، وجند معه الكثير من المواطنين الذي غالطهم وساندته الإستخبارت الفرنسية وقد كان يعمل في الولاية الرابعة تحت تصفية يوم 16 أفريل 1958 من طرف قيادة الولاية الرابعة، أنظر بورقعة، مرجع سابق، ص 77.

[1] كان بلونيس يتجول بسيارة من نوع JEEP و له حراسة خاصة تسهر على حمايته حسب شهادة مجاهدي المنطقة و قد تقلد بلونيس رتبة جنرال و أصبح الصحافيون يزرون و يقيم معهم اللقاءات الصحفية و أصبح يطلق على جيشه بالجيش الوطني للشعب الجزائري (ANPA) الذي ارتفع عناصره إلى 3000 رجل

[2] صخري عمر : المرجع السابق ص 22-23.

انحصرت آخر معاقل بلونيس بعد 1957 في كل من بوسعادة الجلفة و الأغواط و لد كان لمجيئه إلى الأغواط يوم الخميس 03 سبتمبر 1957 و قد سبقته إليها شهرته العدائية للثورة ولرجالها مما أدى إلى تغيير موازين العمل المسلح بالمنطقة فيعتبر يوم دخوله إلى المدينة هو يوم خروج أعضاء لجنة الأغواط السابقة الذكر إلى جبال القعدة [3].و لقد سيطر لفترة معينة على الأمور لاستعانته بعيون له و التي استعملت أسلوب المغالطة بحيث كانوا يقصدون السكان و يتنكرون و كأنهم مجاهدون و يقولون لهم " نحن خاوتكم المجاهدين" و يطلبون الأموال و البرانيس و الغذاء و كان هدفهم الأساسي الحصول على معلومات وبالتالي كشف المواطنين الذين يتعاملون مع جبهة التحرير الوطني و جيشها، ولولا تفطن قيادة الناحية لكان التنظيم الثوري تعرض للاجهاض، فقد سربت الجبهة على يد المناضلين و المرشدين السياسين معلومات للمواطنين تحذرهم من الوقوع في الفخ و حددت لهم أسماء الأشخاص بالإسم و الكنية كل في منطقته أو حيه و الاعتماد على عدم المعرفة و كلمتهم " أنا لا أعرف شيء ...أو أنا خطيني " و لشراء عافيتك و للحالة القصوى يسلم المواطنون لهؤلاء المتنكرين ما قل من أكل و شرب و السلام[4].

ومن بين أهم معاقل جيش بلونيس في منطقة الأغواط و الذي كان يتميز بسلطة واسعة و حماية فرنسية هو مركز نا ئب بلونيس و أهم معاونيه و هو بقصر حيران [1] ولقد عانى سكان المنطقة من التصرفات التعسفية لجيش بلونيس ولجنته [2] التي كانت تنشط بالمنطقة و التي تعمل على تشديد الرقابة على الوطنين وبالغت في جمع الاشتراكات، بالإضافة إلى ذلك قام جيش بلونيس و بمساعدة

---

[3] نقلا عن.le Monde le 06 décembre 1957.

[4] حسب شهادة المجاهد الشرقي قدور من مواليد 1926 بحاسي الدلاعة التحق بالثورة في 1957 في فوج صدوقي بن عيسى لجنة كتابة تاريخ منطقة قصر الحيران مرجع سبق ذكره.

[1] هذا المركز موجود بمدرسة قفاف الدولة حاليا و كان تحت قيادة مفتاح أحد نواب بلونيس بالمنطقة و بعد ذهابه خلفه العربي كمسؤول رفقة مصطفى النواري و ذلك حسب شهادة المجاهد نبق بوبكر من مواليد 13 مارس 1933 إلتحق في 1957 و في لقاء يوم 30 جويلية 2000 بمنزله بحضور مجاهدين و أعضاء لجنة كتابة تاريخ المنطقة برئاسة الأستاذ موس بوطبة.

[2] هذه اللجنة كانت مشكلة قبل الثورة من عناصر MTLD و بعد مجيئ جيش بلونيس أصبحت تعمل لصالحه و فرضت على السكان ضرائب أرغمتهم على تسليم أسلحتهم و لم تتردد في تصفية من تشك في ولائه للجبهة حسب شهادة المجاهد ، نبق بوبكر: نفس المرجع.

الجيش الفرنسي إلقاء القبض على المسؤولين و المناضلين بجبهة التحرير الوطني و نقلهم إلى حوش النعاس أو قصر الحيران أين سجنوا و عذبوا [3].

و لقد تصدى الجنوب للحركات المناوئة بشقيها السياسي و العسكر وبالخصوص في منطقة بوسعادة و الجلفة و الأغواط بصفتها مناطق نفوذها و لما عين عمر إدريس خلفا لزيان عاشور بعد 07 نوفمبر 1956 لتولي مهام منطقة الصحراء [4] ولما المشاكل التي اعترضته إلا أنه واصل عمله العادي و جعل من قضية القضاء على جيش بلونيس و العناصر الميصالية أهم أهدافه [5]. و في هذا السياق قام عم إدريس رفقة مجاهدين من المنطقة[1] بمواجهة البلونسين في معاقلهم و خاصة في قصر الحيران و المناطق المجاورة لها مثل الأغواط المدينة و حاسي الدلاعة .. إلخ و قامت عدة معارك تم التسيق فيما بين كتائب الولاية الخامسة و الولاية السادسة كان ذلك من جويلية 1957، وقد كلف عمر إدريس المجاهد أحمد زرزي بمتابعة أتباع بلونيسي وتقصى أخبار و بقي في المنطقة قرابة 07 أيام و غادرها ثم عاد هذه المرة لتصفية وجود بلونيس نهائيا بالمنطقة هذا الوجود الذي كان مدعما من طرف الاستعمار الفرنسي الذي و فر كل الظروف لبقاء جيش مفتاح بلونيس و الذي يساعده كما قلنا سابقا العربي و مصطفى النوراني[2].

و في أواخر شهر ماي 1958 جاءت طائرة حامت بالمنطقة و رمت مناشير طلبت من جيش بلونيس الخروج من المنطقة و التوجه إلى حوش النعاس، و في اليوم الموالي قدمت القوات الفرسية و دخلت البلدة و ألقت القبض على العربي والنوراني فبدأ الجيش بإطلاق النار على الطائرة، فطلب

---

[3] صخري عمر : مرجع سابق ص 22 : كما سلمهم إلى قائد وحدة اللفيف الأجنبي ليتم إعدامهم

[4] أنظر الفصل السابق، ص 49.

[5] في جوان 1957 انتقل عمر إدريس إلى الغرب الجزائري كما ذكرنا سابقا و أثناء غيابه حدثت مؤامرة وعند عودته في ديسمبر 57 شن عليهم حربا و معارك ضارية لقن فيها جيش بلونيس الهزائم.

[1] أمثال زرزي مُحَّد بن الشيخ علي و كركيان و مُحَّد الفدائي و عبد الله الألماني

أنظر بوداود بومدين و كعبوش بن حرزالله، مرجع سابق ص 48.

[2] بعدما طلبت السلطات الفرنسية من النوراني مصطفى أن يتوجه إلى حوش النعاس (الجلفة حاليا) قيل أنه رفض وقال كلمته المشهورة :"هذا هو النهار الذي كنا نبحث عليه مع فرنسا و لقد ألقت السلطات الفرنسية عليه القبض فيما بعد و لكنه فر بحيلة أثناء معركة بالمنطقة حسب شهادة المجاهد زعنوني من مواليد 1935 بقصر الحيران إلتحق بالثورة في سبتمبر 1957.

النوراني بالسماح لهم بالنزول إلى تاونزة ليأمر الجيش بوقف إطلاق النار و الاستسلام (و هي خدعة استعملها النوراني للافلات من يد الفرنسين)، فسمح له بذلك فنزل من الطائرة و استمر القتال ستة ساعات كان ذلك يوم 01 جوان 1958 حسرت فيه فرنسا خسائر مادية و بشرية[3]. ونجم عن ذلك عملية تمشيط واسعة من طرف القوات الفرنسية بمنطقة تاونزة القريبة من قصر الحيران ،و بعد هذه الأحداث انتهى وجود بلونيس بمنطقة قصر الحيران مع بقاء بعض المتعصبين الذين ما زالوا يكنون الحقد لجبهة التحرير و جيشها مع أن البعض الناشطين في جيش بلونيس انضموا إلى الثورة نذكر منهم النوراني الذي ذكرناه سابقا[1].

أما في الأغواط المدينة فقد أعطيت الأوامر بمتابعة الحركة و العملاء المحسوبين على بلونيس و لقد تعددت عمليات التصفية الجسدية من 1958 إلى غاية مارس 1962 و التي كان آخرها عملية اختطاف مجموعة من الخونة وإعدامهم نفذها مجموعة من الفدائيين بعد عملية ترصد و متابعة مما جعل الخونة منذئذ يعتصمون بالثكنات العسكرية و يحتاطون في تنقلاتهم إلى حين رحيلهم مع الجيش الفرنسي[2].

5- فشل السياسة الفرنسية : لقد خاب ظن الاستعمار الفرنسي وأذياله وذهبت أحلامهم أدراج الرياح بعد ما خسرت كل سياسات الحكومات المتعاقبة بما فيها حكومة الانقاذ أو الطوارئ بقيادة الجنرال ديغول الذي حاول جاهدا التمسك بالجزائر إلى آخر لحظة، ولم تنجح محاولاته ولا مناوراتهلإبعاد جبهة التحرير الوطني التي كانت تلقى الدعم من الداخل والخارج عن طريق النشاط العسكري والسياسي بتصعيد العمليات العسكرية من جهة وعن طريق النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من جهة أخرى، وهذا ما تكلل بعد مفاوضات شاقة بين الوفد الجزائري

---

(3) جاء هذا القرار بناءا على تقرير فرنسي أفريل 1958 يقضي إلى تصفية بلونيس من طرف العقيد ترانكي TRAINQUIE بمساعدة المضلين بعد تخلي فرنسا عنه أنظر : Tegia OPCIT P 177.

(1) في صيف 1958 انضم جمع من المسؤولين الميصاليين إلى صفوف جيش التحرير بعدما تأكدت لهم خيانة بلونيس ولقد إنضموا بمحض إرادتهم أنظر : مطمرمحمد العيد، نقلا عن المجاهد العدد 35، 1959/01/15 ، ص12.

(2) التقرير الولائي الثالث، مرجع سابقا، ص 89.

والوفد الفرنسي في 18 مارس 1962 بإمضاء اتفاقيات إيفيان التي نصت على السيادة الكاملة للجزائر على مجموع ترابها بما فيه الصحراء.

لقد كان لهذه المحطات التاريخية الوطنية الهامة إنعكاس واضح على منطقة الأغواط فبعد 19 مارس 1962 توقفت الحرب ،ولم تعرف المنطقة متاعب كثيرة خلال المرحلة الانتقالية مثلما حدث في بعض لمدن الكبرى[2].

وفي 01 جويلية 1962 وقع استفتاء الشعب الجزائري حول الاستقلال الذي استجابت له المنطقة ليكون خاتمة لنضالاتها، عن طريق التحسيس بأهمية هذا اليوم في تاريخ الجزائر، فكانت الإجابة "**بنعم**" بنسبة أفحمت كل الادعاءات وأجهضت كل المخططات الاستعمارية، ففي يوم 05 جويلية 1962 احتفل سكان المنطقة مثل باقي مناطق الوطن بعيد الاستقلال الذي طال انتظاره وكلف تحقيقه قوافل من الشهداء بلغت 1084 شهيد[3] إن لم نقل أكثر ، قدموا أرواحهم قرابين من أجل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة.

[2] متمثلة في منظمة OAS الإرهابية التي تأسست في مدريد جانفي 1961، وبأت العمل بالجزائر في مارس 1961 بقيادة شخصيات فرنسية بارزة مثل سالان Salan وبالإستعانة بالمستوطنين الأوروبيين من أجل وقف استقلال الجزائر ولقد قامت هذه المنظمة بجرائم في حق الجزائريين.

[3] حسب إحصاء لمنظمة المجاهدين بالأغواط، أنظر الملحق رقم

الخاتمة

تقوم مدينة الأغواط فوق تلين متفرعين من جبل تيزيغارين (و هو آخر امتداد لجبال الأطلس الصحراوي (ويقسمانها قسمين: قديم وحديث، وتقوم الأحياء الحديثة فوق التل الجنوبي وفيها مباني الحكومة ومنشآت عسكرية، أما القسم القديم فيحتل التل الشمالي وما يزال يحتفظ بطابعه وأسلوب عمارته الصحراوية. وتنتشر بساتين النخيل والأشجار المثمرة في ناحية الجنوب والشرق وعلى جانبي وادي مزي الذي يدعى وادي جدي في مجراه الأسفل بنواحي بسكرة، وقد أقيمت سدود ثلاثة على هذا الوادي لري البساتين والأراضي الزراعية التي تنتج التمور والفواكه والخضر والحبوب .وتمنح البساتين الواحة منظراً فريداً لوقوعها على الشريط الذي تلتقي فيه الصحراء في الجنوب مع جبال الأطلس الصحراوي عند الطريق الذي يربط مدينة الجزائر بجنوبها، وهذه البساتين هي سبب تسميتها بالأغواط (جمع غوط أي المطمئن من الأرض ومجتمع النبات والماء)، وكل البساتين في الأغواط أملاك خاصة ومتداخلة تداخلاً كثيفاً، وتتخللها دروب ريفية متشابكة ومعظمها مروي بشبكة من القنوات الصغيرة تعرف بالسواقي.

إن وقوع الأغواط على ملتقى الطرق التي تتفرع نحو الغرب إلى أولاد سيدي الشيخ، وإلى الجنوب نحو مزاب وورجلان (ورقلة) ، وإلى الشرق نحو الزيبان (بسكرة) وإلى الشمال نحو وهران وقسنطينة جعل منها مركزاً تجارياً مهماً.

ويمكننا أن نستنتج من مجموع الآراء حول نشأة المدينة أن مدينة الأغواط قد تكون نشأتها الأولى كتجمع سكاني صغير على يد مغراوةولما حلت بها قبائل بني هلالسعوا عمرانها وأعطوها طابعها العربيوأصبحت بلدة تجمع ما بين الحضارة والبداوة على غرار مختلف المدن والقربالواقعة في سهوب وصحاري الجزائر عامة منذ أقدم العصور

فقد ربط البدو الرحل علاقات حسن الجوار مع سكان المدينة بحكم القرابات والمصالح، وكانت القاعدة المرعية هي عدم المس بالبساتين وحقول الحبوب وكذا التنادي للدفاع عن سكان القصر،وكان التبادل التجاري بالطبع قائماً بين الحضروالبدو والرحل، إذ تقدم المدينة لهؤلاء المنتوجات الفلاحية والبضائع الاستهلاكية والمنسوجاتوالمصنوعات التي يحتاجونها مقابل ما يزودونها به من الحيوانات ومنتوجاتها المختلفة.

تتميز المدينة بطابعها العربي البدوي الأصيل الذي يعود إلى تواجد القبائل العربية، غير أن المستعمر الفرنسي قرر أن يجعلها منطقة ذات حكم عسكري فاكتفى ببناء الثكنات ولم يتدخل في المعمار كثيرا عدا منطقة الغربية

إن احتلال مدينة الأغواط كان حدثا مهما في تاريخ الجزائر المعاصر، كخطوة كبيرة في سبيل السيطرة الكلية على القطر الجزائري، وذلك لما تشكله المنطقة من أهمية جيوستراتيجية واقتصادية واجتماعية وحتى دينية، أن سقوط الأغواط ضربة مزلزلة لقبائل الصحراء ومن الأحداث التي غيرت تاريخ المنطقة، والتي بدأت بالفعل تخسر مجالها وحيويتها وتفقد نشاطها الحضاري، فبدأ الفرنسيون يبسطون قوتهم التي ستمتد لتسيطر على كل الصحراء الجزائرية ومحاولة ربطها بمستعمراتهم في غرب إفريقيا وشرقها عبر مشاريع السكك الحديدية وغيرها .وعلى المستوى الإقتصادي فقد استفادت فرنسا كثيرا من احتلال مدينة الأغواط بعد أن وضعت يدها على المسالك التجارية وطرقها، وحولت محاور التجارة من تونس والمغرب إلى الجزائر لتستفيد من حجم المداخيل والتبادل التجاري، في الوقت الذي أصيب فيه الاقتصاد المحلي أو النظام المعيشي القبلي بالركود وزادته الضرائب عبئا ثقيلا والحصيلة النهائية في كل هذا هو أن سقوط الأغواط له أبعاد تاريخية حضارية.

أن الحركة التعليمية ظلت منحصرة في مراحلها الأولى على تحفيظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية لاسيما داخل الزوايا التي ما فتئت تعلم العامة من الناس مبادئ القراءة والكتابة وكذا المدارس القرآنية التي اقتصر وذلك حتى يتسنى لكل متعلم كتابة وقراءة سور القرآن بدون أخطاء لفظية منها أو إملائية ، ومن هنا بدا الجانب الأدبي شبه منعدم اللهم بعض المحاولات النثرية والشعرية التي لمسناها عند شعراء بعض الطرق الصوفية الذين يمنحون شيوخ زواياهم معددين مناقبهم ومشيدين بفضائلهم . وبذلك يمكن القول أن الملمح الأدبي كان مترديا، بحيث لم تتواجد مدارس عنيت بدراسة اللغة العربية دراسة معمقة.

ورغم السياسة الاستعمارية في المجال الديني والثقافي في الأغواط محاولات طمس معالم المدينة ، إلا أنه لا يمكننا أن ننكر دور الزوايا التي ظلت بالمرصاد تشكل خندقا واقيا لأي تسرب للثقافة والفكر الغربيين وأخطر سلاح في وجههما ، وهو الدين الاسلامي واللسان العربي ، هذا الثنائي هو الذي مكن الجزائر من استعادة حريتها ، وقد ظلت مدينة الأغواط بحكم موقعها الجغرافي ومكانتها

العلمية والسياسية محطة لتفاعلات أغلب الطرق الصوفية، ومن أبرزها وجودا في هذه المدينة نذكر: القادرية، الناصرية ' التيجانية ' السنوسية ' الشاذلية، العزوزية.

ومنذ بداية القرن العشرين ومع قدوم بعض المصلحين إليها كالصحفي والأديب عمر بن قدور صاحب مجلة الفاروق ومُحَمَّد العاصمي ودحمان بن الساسي، وقيام بعض من مصلحي هذه المدينة بإنشاء جمعية خيرية سنة 1920 سهرت على افتتاح مدرسة للتعليم، حيث فتحت تحت تسيير الشيخ السعيد الزهراوي ثم الشيخ العلامة والفقيه والمؤرخ والأديب مبارك الميلي.

حيث كان من حظ هذه المدينة أن جاء إليها ومن آثاره في الأغواط تأليفه لكتاب الجزائر في القديم والحديث وكذلك مؤلفات أخرى وتكوينه لجيل واصل مسيرته الإصلاحية كالشيخ أبو بكر الحاج عيسى والشيخ أحمد قصيبة والشيخ الحسين بن زاهية والشيخ عطاء الله كزواي والشهيد الشيخ أحمد شطة.

هذا الجيل بدوره كان أعضاؤه منشطين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمنطقة وواصلوا مشوار التعليم فيه حيث تخرج على أيديهم مئات الشباب المتشبعين بالروح الوطنية والثقافية العربية الإسلامية، فكانوا من الأوائل الذين أنشأوا فريق الكشافة الإسلامية على المستوى الوطني (فوج الرجاء) بالإضافة إلى عدد من النوادي الثقافية والفرق الموسيقية والرياضية العاملة في إطار الحركات الوطنية.

وبهذا شكل التعليم الإصلاحي يقظة الوعي الاجتماعي والوطني بين سكان مدينة الأغواط، وهذا بفضل الاعتماد على المناهج السليمة لإحياء هذا الحس الاجتماعي والوعي الوطني.

ومن هذه المناهج اعتماد المصلحين على الأناشيد الوطنية الحماسية، والمسرحيات الهادفة إلى إيقاظ هذا الحس، وكذلك الاعتماد على دروس التاريخ الوطني الإسلامي.

ولا شك أن جمعية العلماء المسلمين في الأغواط يعود لها الفضل في عودة الوعي الاجتماعي والوطني، فهي تعد رائدة في التعليم الحر، ولذلك نرى أبناء الوطن من مختلف فئات الشعب الجزائري التحقوا بمدارس التربية والتعليم التابعة للجمعية، وقد قاموا بدورهم التعليمي والوطني في ربوع الوطن بكل إخلاص.

وشيوخ مدينة الأغواط عامة قاموا وساهموا في خدمة الإصلاح وبخاصة إتباع وأساليب نشر مبادئه الذي سطرته الجمعية، والشيخان الحاج عيسى أبو بكر والشيخ أحمد قصيبة كانت لهما سمعة طيبة نظرا لمكانتهما العلمية، وكذلك سمعتهما ومكانتها لدى جمعية العلماء، هذا هو الذي أهلها في بسط الحركة الإصلاحية في ربوع الوطن الجزائري، كما كان ذلك عاملا أن تصبح مينة الأغواط من المدن الجزائرية الرائدة في المنهج الإصلاحي.

ففي المناهج التعليمية سلكت الجمعية الطرق العصرية في التعليم، وحضرت برامج ومناهج عصرية، ورأت أنه لا مانع من الاختلاط في مدارسها، وفتحت مدارسها أمام المرأة وتعليمها.

والجمعية وجدت نفسها أحيانا مجبرة على الدخول في الميدان السياسي، نظرا لارتباط السياسة بالسيادة الوطنية وبالحرية والاستقلال، ونجد هذا في الدور الذي قامت به الجمعية في دروس التاريخ الوطني والإسلامي وتقديم المسرحيات والوطنية والإسلامية التي كانت لها أثر كبير في مواقف التلاميذ وأولياؤهم، خاصة في مدرسة التربية والتعليم في مدينة الأغواط، وهذا ما أدى الكثير من التلاميذ إلى الالتحاق بالثورة ثورة نوفمبر 1954م.

وقد تفاعل سكان المنطقة مع ما كان يجري في الساحة الوطنية من تفاعلات ثقافيةوإرهاصات سياسةوثوريةويظهر ذلك جليا من خلال أدبيات المنطقة عبر فترات تاريخية عديدة، لما عرف عنها من أنها مركز إشعاع فكري وموطن نهضة ثقافيةوسياسية بارزةوشحنة ثورية قابلة للانفجار في أية لحظة، ولدت لديها مكامن عدة عبر نضال مستمر، وتدعم خاصة في الفترة ما بين الحربين العالميتين التي تعتبر من أخصب المحطات،والتي عرفت فيها الأغواط ظهور النوادي الثقافيةوالجمعيات الرياضيةوبروز الأحزابوالتيارات الوطنية، التي كانت بادرة لظهور العمل المسلح بقيادة حزب الشعب الجزائري الذي انبثقت عنه جبهة التحرير الوطني ربّان سفينة الاستقلال.

إن غياب منطقة الجنوب عموماوالأغواط خصوصا لم يكن تخاذلاولا تهاوناولا تهربا من المسؤولية،وإنما هذا الغياب فرضته ظروف خاصة خارج إرادة مناضليها، كما لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار ذلك تغييبا مقصودا من طرف قادة الثورة الذين لم يدرجوا منطقة الجنوب في تقسيم المناطق التاريخية،وبذلك عدم المشاركة في هجومات الفاتح من نوفمبر 1954،وذلك راجع أساسا إلى

السرعة التي عرفتها الأحداث خلال مرحلة الإعداد للثورة،والتي لم تتح لمفجريها إدراج الجنوب ضمن مناطق العمليات،وإنما أرجئت ذلك إلى مرحلة لاحقة حتى لا يضيع الجهد الذي بذلوه هباءا.

وما محاولات قادة الثورة فيما بعد إلا دليل على تدارك الوضعوذلك بالالتفات إلى هذا الجزء الكبيروالهام من الوطن فكان النصف الثاني من سنة 1955 بداية إرساء دعائم التنظيم الثوري بمنطقة الأغواط بعد اتصالات حثيثة مع ثوار الأوراسوالمنطقة الرابعةوكذلك الخامسة بالإضافة إلى التنسيق مع أبناء المنطقة الذين شهدوا العمل المسلح بالشمالوالذين لم يدخروا جهدا في إبلاغ سكان المنطقة بضرورة مواكبة التحول الحاصل.

لذا فإن المرحلة الأولى التي سبقت مؤتمر الصومام كانت من أخصب الفترات التي شهدت ميلاد الخلايا الثورية لجيش التحرير التي أصبحت فيما بعد عقبة في وجه الاستعمار.

إن انعقاد مؤتمر الصوماموما صاحبه من قرارات حاسمةوجذرية على مسار الثورة الوطنية كان لقراراته انعكاسا بارزا على التنظيم الثوري بمنطقة الأغواط سياسياوعسكرياوما حصيلة العمليات العسكريةومواجهة القوات الفرنسيةوالتي بلغت 218 ما بين معركةواشتباك، إلى جانب العمليات الفدائيةوالهجوم على المصالح الفرنسية الاقتصادية منهاوالعسكريةوحتى المدنيةوالتي قدرت بـ 103 عملية فدائية لدليل على ذلك.

إن تمسك الفرنسيين بمنطقة الأغواط لم يكن اعتباطياوإنما هذا الاهتمام فرضته عوامل كثيرة تدعمت مع مرور الوقتوأهمها:

-الجانب الاستراتيجي باعتبار الأغواط تحتل موقعا متميزا بصفتها بوابة الصحراء ونقطة عبور من جميع الاتجاهاتوكذلك الجانب الطبيعيوالذي تأكد بعد اكتشاف آبار الغاز الطبيعي سنة 1956 بحاسي الرمل مصدر الثراء الاقتصادي المأمول، و هذا ما جعل الفرنسيين يبدون اهتماما بالغا للسيطرة على المنطقة فعمدت بذلك إلى القيام بإجراءات جديدة للسيطرة على المنطقة بدءا بالاجراءات العسكرية التي حددت الوظيفة العسكرية للمنطقة منذ 1905 والتي جعلت من الأغواط كثكنة عسكرية كبيرةوتتوفر على مركز العتاد الحربي ومطار عسكري، بالإضافة إلى الوظيفة الإدارية التي جعلت من الأغواط عاصمة للواحات سنة 1958وتضم المصالح الولائية مثل مديرية الخزينةوكذلك مصالح ما بين الولايات الصحراوية مثل صندوق التضامن الصحراوي، إلى جانب ذلك

الوظيفة الاقتصادية عن طريق الحفاظ على المنشآت البترولية التي وضعت لأجلها عدة إجراءات وقائية.

من جانب آخر فإن التصدي الفعال لسكان المنطقة للمشاريع الفرنسية بكل أشكالها الذي أفشل مخططاتهاوخاصة في المرحلة التي أعقبت مؤتمر الصومام لما تتميز به من تنظيم محكم على ضوء قراراته، بالإضافة إلى المواجهات المحتومة للإخوة الأعداء أذيال الاستعماروالممثلة في الحركات المناوئة للثورة بقيادة بلونيس إلا أنها قاومتها بكل الوسائلوالتي غالبا ما كللت بنجاح كل ذلك بفضل الاستجابة اللامشروطة لقرارات جيش التحرير الوطني من قبل السكان، هذا ما كان له انعكاس واضح على مسار الثورة الجزائريةوطنياودوليا،ويتجلى ذلك من خلال تأكيد مبدا الوحدة الترابية للوطن،والذي أكدته مشاركة أبناء المنطقة في العمل المسلح بمناطق مختلفة من الوطنوالرد على المزاعم الفرنسية التي تزعم أن سكان الجنوب غير معنيين بما حدث في الشمال،وأنهم يفضلون قضية فصل الصحراء فكانت المسيرات والمظاهرات المناهضة لآخر أوراق الجنرال ديغول ومناوراته،والتي لقيت صدا دوليا وضع فرنسا في مأزق لا يخرجها منه إلا الاعتراف باستقلال الجزائر.

قائمة المصادر و المراجع

قـــائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

أ/ الكتب:

- إبراهيم خميلي، الفنان الموهوب جودي مُحَّد (1900،1983)، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2013.

- إبراهيم شعيب، التوخي لجمع أشعار عبد الله التخي، ط1، مطبعة السلام، الجزائر، 1998.

- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.

- أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وآثارها في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

- أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، كشف الحجاب عمن تلاقى عن الشيخ التيجاني من الأصحاب، ط3؛ المكتبة الشعبية، بيروت، لبنان، 1408هـ/ 1988م.

- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دارالمعارف، القاهرة، مصر، 1963.

- بلمبارك الأخضر وآخرون، مدرسة التربية والتعليم في ذكراها الخمسين 1948-1998،ددن،الأغواط، 1998.

- التلي بن الشيخ، دور الشعر الجزائري في الثورة 1830-1945، المؤسسة الوطنية للكتاب والفنون المطبعية، وحدة الرغاية، 1983.

- التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990.

- حسان صحبي، النظام التربوي الاستعماري في الجزائر، ط 1؛ رياض العلوم للنشر والتوزيع الدار البيضاء،الجزائر، 2005.

- حسين نصار، الشعر الشعبي العربي، منشورات بيروت- لبنان، ط2، 1980م.

- حملاوي علي، نماذج من قصور منطقة الأغواط دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

- خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830م-1871، مطبعة دحلب- الجزائر، سنة 1977م.

- خميلي إبراهيم، تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط، مطبعة رويغي، الأغواط، الجزائر، 2001.

- دبوز مُحَّد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، عالم المعرفة، الجزائر،ط1، 2013.

- ديوان الشيخ ابن حرز الله بن الجنيدي، جمع الأستاذ، الشاهد مسعود، الجزائر، 1994.

- رابح تركي، التعلم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري، 1985.

- زهير إحدادن، أعلام الصحافة الجزائرية، دار إحدادن للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر 2002.

- سعيدي مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر، دار الشرق للطباعة والنشر، الجزائر، 2009.

- شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

- صيقع أحمد، علم الأحياء لكنافات تنوخية شمال الصحراء، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، 2013.

- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، ط4، بيروت، لبنان، د.ت.

- عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1960، تر: جوزيف عبد الله، دار الحداثة، لبنان، 1983.

25. فضلاء مُحَّد الحسن، المسيرة الرائدة للتعليم العربي لحرب الجزائر، غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

- أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم مُحَّد رؤوف القاسمي الحسني المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية رغاية، الجزائر، 1991.

- كاريت .ا.م، أبحاث حول الجغرافيا والتجارة في الجزائر الجنوبية- الاستكشاف العلمي للجزائر خلال أعوام 1840.1841.1842، العلوم التاريخية والجغرافية، تر: حمزة الأمين يحياوي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1998.

- لبتر مداني، الأغواط صفحات من التاريخ والحضارة، دارهومة، الجزائر، 2006.

- لزهر لبتر، العودة إلى الأغواط ألف سنة بعد بني هلال، دار الفارابي – الجزائر، 2002.

- مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مكتبة النهضة، الجزائر، 1966.

- مياسي إبراهيم، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.

ب/ المقالات العلمية:

- إصدارات المركب الثقافي لبلدية الأغواط، إحياء ذكرى الفنان مُحَّد الرَي مالك، أكتوبر، 1992.

- الأمير خالد، رسالة إلى الرئيس ويلسون ونصوص أخرى، تر: مُحَّد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2006.

- التخي بلقاسم، الجانب الجمالي والرمزي في عمارة قصور منطقة الأغواط، مجلة العلوم الاسلامية والحضارة، ع2، ماي 2016.

- بشير بديار، " أعلام الثقافة بمنطقة الأغواط خلال القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري " مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط، أعمال الملتقى الأول لاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الأغواط 14-16 أفريل 1998.

- جيلاني كوبيبي معاشو، الصحراء كفضاء للترحال مقاربة سوسيوأنثروبولوجية للبدو الرحل، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، نوفمبر 2011، جامعة غرداية.

- حمزة بوكوشة، "الأستاذ مبارك الميلي عالم حجة نظار"، مجلة الثقافة العدد 88، شوال – ذوالقعدة 1405 هـ/ يوليو–أغسطس 1985.

- خليفة عبدالقادر، "من القصر الصحراوي إلى المدينة الحديثة"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01، ديسمبر 1989.

- الطيب العماري، النخلة في البيئة الصحراوية قيمة اقتصادية ورمزية سوسيوثقافية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 15، نوفمبر 2011، جامعةغرداية.

- عبد اللطيف عبادة، " الشرك ومظاهره عند الشيخ مبارك الميلي وشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية دراسة مقارنة"، مجلة الثقافة لعدد 85، ربيع الثاني –جمادى الأولى 1405 هـ يناير –فبراير 1985.

- عطا الله طالبي، "صور من الحياة الثقافية في مدينة الأغواط بين القرن 18م – 20م "،مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط، أعمال الملتقى الأول لاتحاد الكتاب الجزائريين فرع الأغواط 14-16 أفريل 1998.

- مجموعة من المؤلفين، مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط، جمع وتنظيم وتنسيق – خالد بوزياني، مطبعة السلام،الأغواط.

- مُحَمَّد السعيد الزاهري،" الشيخ مبارك والشيخ عبد العزيز" الشهاب عدد 49، 23 أوت1926 .

- مُحَمَّد الطاهر وعلي، التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904 دراسة تاريخية تحليلية منشورات دحلب، الجزائر، 1997.

- مُحَمَّد برشان، التنظيم الإداري الاستعماري في الجنوب الجزائري (1902– 1960)،مجلة الخلدونية،ع1، مج 9، 01-06-2016.

- نبيل أحمد حلاق، العلامة مبارك الميلي في الذكرى الستين، 2005/04/24. أعلام بلادي صوت الجزائر.

- أبو القاسم سعدالله، "مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي 1830-1954، دراسة مركزة على الجزائر"، مجلة الثقافة عدد 79، يناير– فبراير1984.

- ورنيقي الشايب، لمحة عن الشعر الشعبي الجزائري، منطقة الأغواط، مجلة الثقافة الشعبية، المجلد 11، العدد 42، 31 يوليو/تموز 2018.

- الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي "، مجلة الثقافة، العدد 95 1986/11/10

- عمارهلال،مجلة الثقافة، العدد 3+6101 ،

- عمارهلال،مجلة الثقافة، العدد 101،

ج/ الأطاريح والرسائل:

- بومدين كعبوش، الواقع الثقافي في منطقة الأغواط في الفترة الاستعمارية 1852-1962، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر 2، 2020.

- الحاج موسى ابن عمر، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1945 -1962 منطقة ميزاب: دراسة نموذجية للسياسة الفرنسية وتوجهاتها الاستعمارية، مذكرة نهاية السنة الثانية ماجستير،1993/1992.

- جبار سامية، فقه العمارة السكنية بقصور منطقة الأغواط عين ماضي وتاويالة أنموذجا، أطروحة لنيل شهادة الماجيستير تخصص الآثار الريفية الصحراوية، غير منشورة، إشراف: بن بلة خيرة، معهد الآثار، جامعة الجزائر-2-، 2001.

- شتيح عز الدين، إعادة توظيف المعالم التاريخية بناء الأمس\ وظيفة اليوم، مذكرة ماجيستير، قسم الهندسة المعمارية والعمران، جامعة قسنطينة، 2011.

د- الجرائد:

- المبشر، ع 49، 15 سبتمبر1849.

- المبشر، ع 86، 31 مارس 1851 .

- المبشر، ع 9، 15 جانفي 1848.

- المبشر، ع 95، 16 أوت 1851.

المراجع الأجنبية:

- (E) Daumas, **Mœurs et coutumes De l'Algérie** , la Biblioteque Arabe Sidbad , Paris,1988.

62. Alain Beltran. Gaz de France et le secteur gazier depuis 1940, **Flux**, N8, 1992.

- Ali Merad ;Le reformisme musulman en Algerie de 1925 a 1940 Essai d histoire religieuse et sociale 2 Ed , les editions El Hikma 1986.
- André Allix, Sahara et pétrole 1957, **Revue de géographie de Lyon**, vol. 32, N4, 1957.
- Berthonnet Arnaud. L'industrie électrique en Algérie : le rôle des sociétés électriques et plus particulièrement d'EGA à partir de 1947.
- Bulletin de la société de géographie d'Alger, « Africa », imprimerie Adolphe JOURDAN, Alger , 1880.
- Catherine Humblot**, Jacob Lalou un juif en terred'islam**' le Mond, 19Janvier 1998.
- Claud Bataillon et Autres**, Nomade et Nomadisme auSahara**, Imprimerie- R Oldenbourg. G raphischeBetriebeGmbh,Munich, Paris, 1963.
- CONSEIL SUP2RIEUR DU GOUVERNEMENT GENERAL DE L'ALGERIE, procès-verbal des délibérations, session ordinaire du jeudi 29 juin 1911.
- Corneille Trumelet, **Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864**, études sur les régions sahariennes, Imprimeur topographie Adolphe Jourdab, Alger,1879.
- **Crédit foncier d''Algérie et de Tunisie**, Société anonyme. Siège social, Alger, Siège administratif, Paris, Succursales et agences en Algérie-Tunisie- Maroc, Imprimerie Chaix, Paris, (1924-1925).
- DespoisJean,**le Djebel Amour**, Presses Universitaires de France, Paris,1957.
- Docteur Bernard, **l'Algérie qui s'en va**, l. P, E.P, NC, I.E, Paris, 1887.
- Données numériques sur la production et les réserves des gisements de pétrole sahariens. Création d'une économie de marché en Afrique, **Annales de Géographie**, T70, N380, 1961.
- Du Barail, **Mes Souvenires**, T1,librairie P.E,P.N C,I.E, Paris, 1897.
- Dupont et Coppolant , les confreies religieuses musulmanes Ed = jourdan , Alger, 1897.

- Eliaougastonguedj, L'enseignement indigene en Algerie au Algerie au cours –de la colonisation 1832-1962.
- F. VICREY , « Tadmit » in Revue , l'éleveur nord-africain, n° 59, 05 juin, 1928.
- G. SOUBRIN «Programme d'action économique pour une période de dix ans a partie de 1930 » G.G.A, Les territoires du sud de l'Algérie, 5 eme partie, 1930.
- G.G.A, Conseil Supérieur du gouvernement, Novembre/ Décembre 1886, imprimerie administrative GOJOSSO, Alger, 1886.
- George Hirts , Laghouat , Les Larbaa , Les Mekhalifs , La ZaouiaTidjania Essai sur evolutionsociele et politique de la region de Laghouat Ed . Marseille 1989.
- Georges Grelou, Afrique**, Annales de Géographie**, T70, N380, 1961.
- Georges Robert, **Voyage à travers l'Algérie, notes et croquis**, imprimerie de Rougier, Paris, 1891.
- Grelou Georges. L'actualité.,**Annales de Géographie**, T71, N384, 1962.
- Informations – Communications**, Bulletin de la Société préhistorique de France**, tome 58, N1-2, 1961.
- Isnard H. L'Algérie ou la décolonisation difficile, **Méditerranée**, A10, N3, 1969.
- Jacqueline Beaujeu-Garnier, Problèmes pétroliers**, L'information géographique**, vol 24, N4, 1960.
- Jean Majorelle, Etat des recherches de pétrole en France et Outre-Mer, **Bulletin de l'Association de géographes français**, N267-268, A34, 1957.
- Jean Pommerol, **Une Femme Chez les Saharienne** (entre Laghouat et In salah, Flammarion, E diteur, Paris, 1898.
- Journal général de l'Algérie et la Tunisie, Dimanche 21 juin 1900.
- Kazi Hadj Mahmoud **, Laghouat dignité fierté pour l' éternité**, IMPRIMERIE Rouighi, laghouat, 2014.

- La France va recevoir du méthane liquide en provenance du Sahara, **L'information géographique**, vol 26, N2, 1962.
- L'actualité.,**Annales de Géographie**, T 69, N372, 1960.
- LUTEAUD, Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie (1914-1915).
- LUTEAUD, gouverneur général, Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie, 1916,1917 et, 1918.
- M. C. JONNART, Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie, imprimerie administrative, Alger1908.
- M. C. JONNART, Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie, imprimerie administrative, Alger, 1909.
- M. J lEMMET, «l'arboriculture fruitière dans les territoires du sud », in revue de la journée de l'arbre fruitière, comptes rendus, G.G.A, 31 mars 1931.
- M.C JONNART, Exposé de la situation générale des territoires du sud de l'Algérie, imprimerie Adolphe JOURDAN, Alger, 1910.
- Maurice WAHL, l'Algérie, 2 édition, Felix ALCAN éditeur, Paris, 1889.
- Mutin Georges. Le commerce extérieur de l'Algérie en 1964, **Revue de géographie de Lyon**, vol. 40, N4, 1965.
- Paul soleiller, **Afrique occidentale Alger Mzab Tidikelt**, OP. CIT.
- Paul soleillet**,l' Afrique Occidental Algerie Mzab Tidikelt,**ed: el kaima , Algérie, 2013**.**
- Paul SOLEILLET, Avenir de la France en Afrique,Challamel AINE, Paris, 1876.
- Paul SOLEILLET, l'Afrique occidentale, avenir de la France en Algérie,
- Pierre George, Pétrole, gaz naturel, pétrochimie dans le monde, **Annales de Géographie**, T68, N368, 1959.
- R,P, Louis petit ,Les confréries musulmanes Ed ,Librairie Bloud et Barral , Paris 1899.
- Revue de génie militaire ; librairie militaire BeyerLAVIRAULT,Paris, 1889.

- Revue du génie militaire, librairie militaire, Beyer LEVRAULT, Paris, 1931.
- Revue, l'éleveur nord-africain, n° 67, 05 octobre 1928.
- Robert Fosset, Pétrole et gaz naturel au Sahara, **Annales de Géographie**, T71, N385, 1962.
- serge Jouin et Marcel Lesne et Louis Rigaud et Jacques Simon, L 'ecole en Algerie: 1830-1962 De La Regence aux Centre sociaux educatifs, Preface de Nourredine Saadi Publisude , Alger , 2001.
- Service cartographique du Figaro. Le transport en Europe du gaz saharien, **L'information géographique**, vol 23, N3, 1959. P127
- Souvenir d'un officier du 2eme régiment des zouaves, M.L, Michel LEVY frères éditeur, Paris, 1869.
- Troin Jean-François, Laurent R. Aspect de l'infrastructure économique de l'Algérie, **Méditerranée**, A3, N3, 1962.
- TROUETTE, « Lafièvre aphteuse et la viande de boucherie , toujours au sujet des varrons , les laines de Tadmit » in Revue , l'éleveur nord-africain, n° 62é du 20 juillet 1928.
- TROUETTE, «Notes pastorales «inRevue, l'éleveur nord-africain, n°80 du, 20 avril 1929.
- Yvan Jonchay, L'infrastructure de départ du Sahara et de l'Organisation Commune des Régions Sahariennes (O.C.R.S.),**Revue de géographie de Lyon**, vol 32, N4, 1957.

فهارس عامة

الملاحق

01 الملحق رقم(01): منطقة الأغواط في القرن الثامن عشر

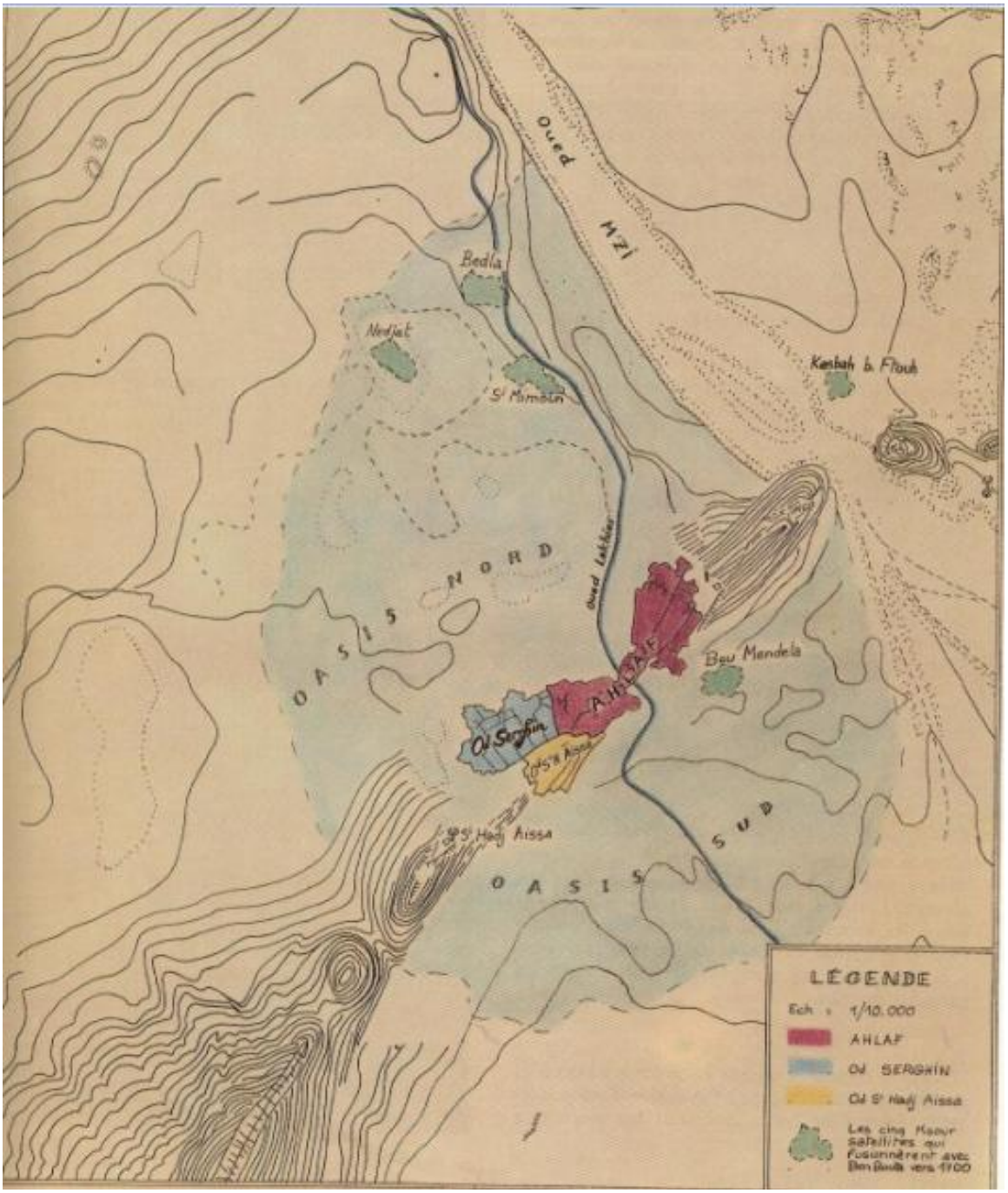

المصدر:

George Hirtz, L'algerie nomade et ksouriénne 1830–1954, ed marseille,1989, p138.

الملحق رقم(02): مدينة الأغواط سنة 1950

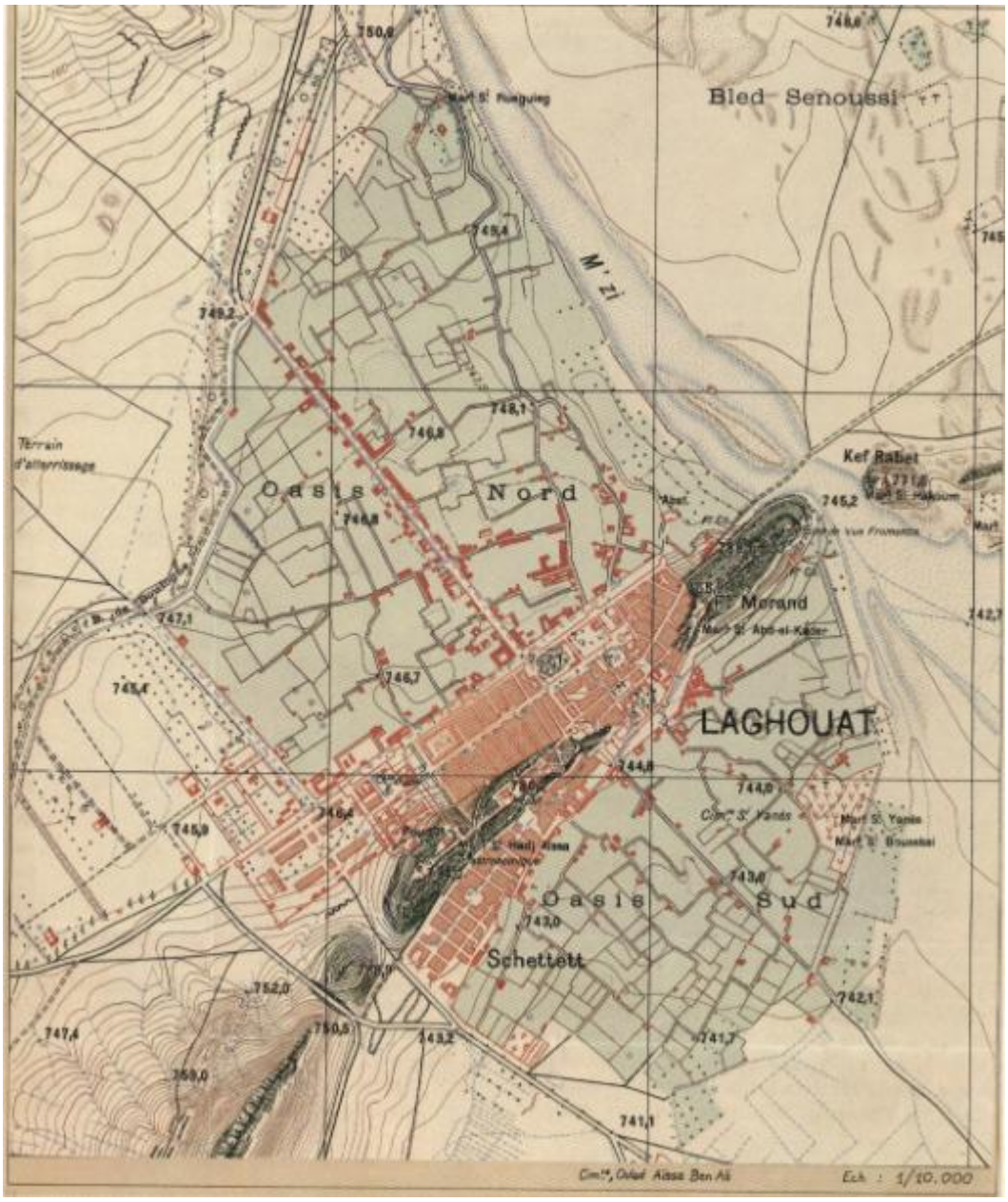

المصدر:

George Hirtz, op.cit, p139.

الملحق رقم(03): رحلة قبيلة الارباع السنوية بين الشمال والجنوب

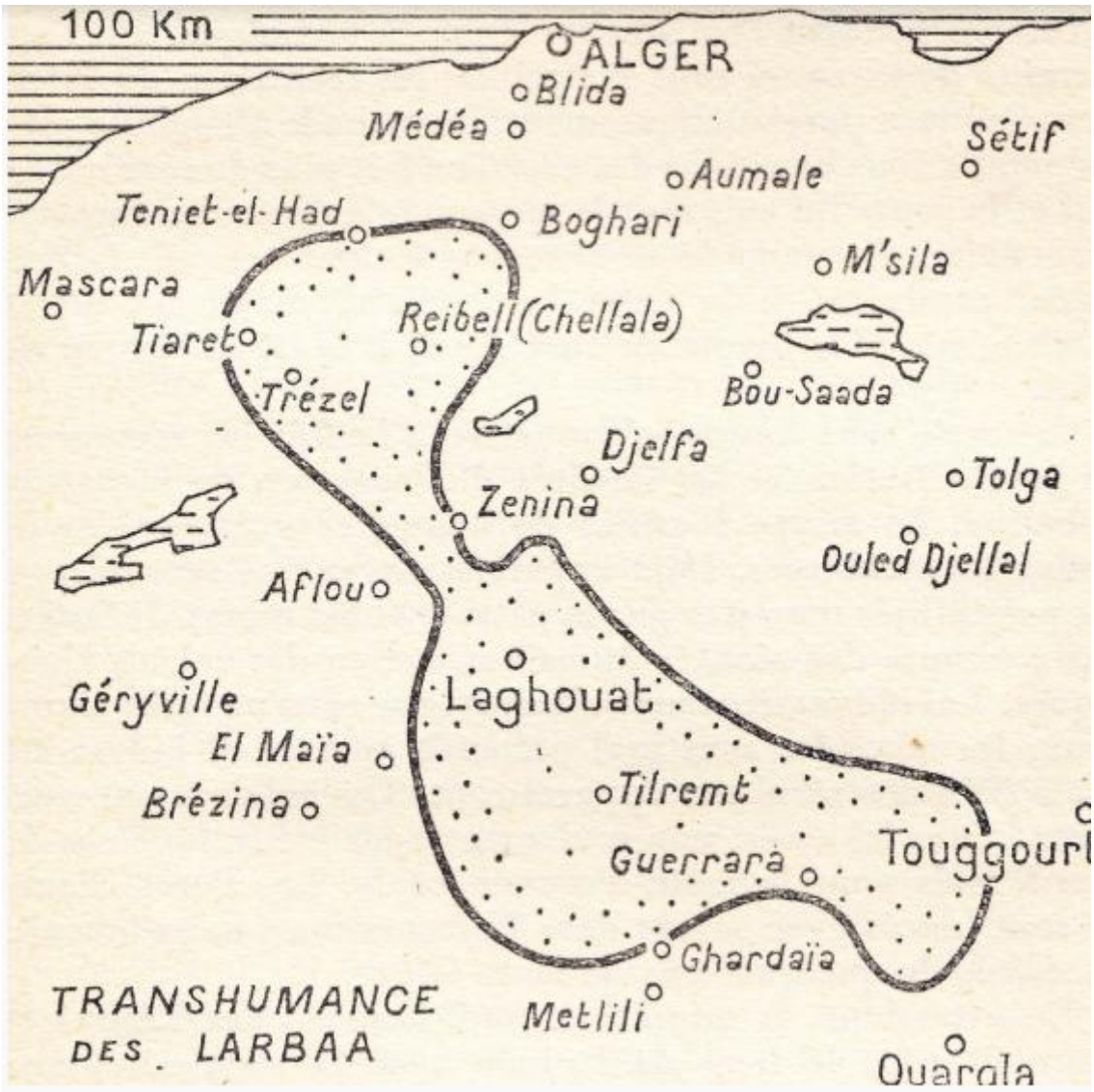

المصدر: **Emile Dermenghem, Le pays d'Abel, Gallimard, 1960, page 151.**

الملحق رقم(05): صورة لمدرسة الشبيبة بالأغواط للشيخ مبارك الميلي سنة 1347هـ /1933م

المصدر: إبراهيم خميلي، تاريخ نشأة الكشافة في الأغواط، مطبعة رويغي، الأغواط، 2011، ص 37.

الملحق رقم(06): مراسلة من الشيخ مبارك الميلي في ميلة إلى تلميذه أحمد قصيبة في الأغواط بعد رحيل الميلي عن الأغواط تتضمن نصائح وإرشادات مؤرخة بـ: جويلية 1939.

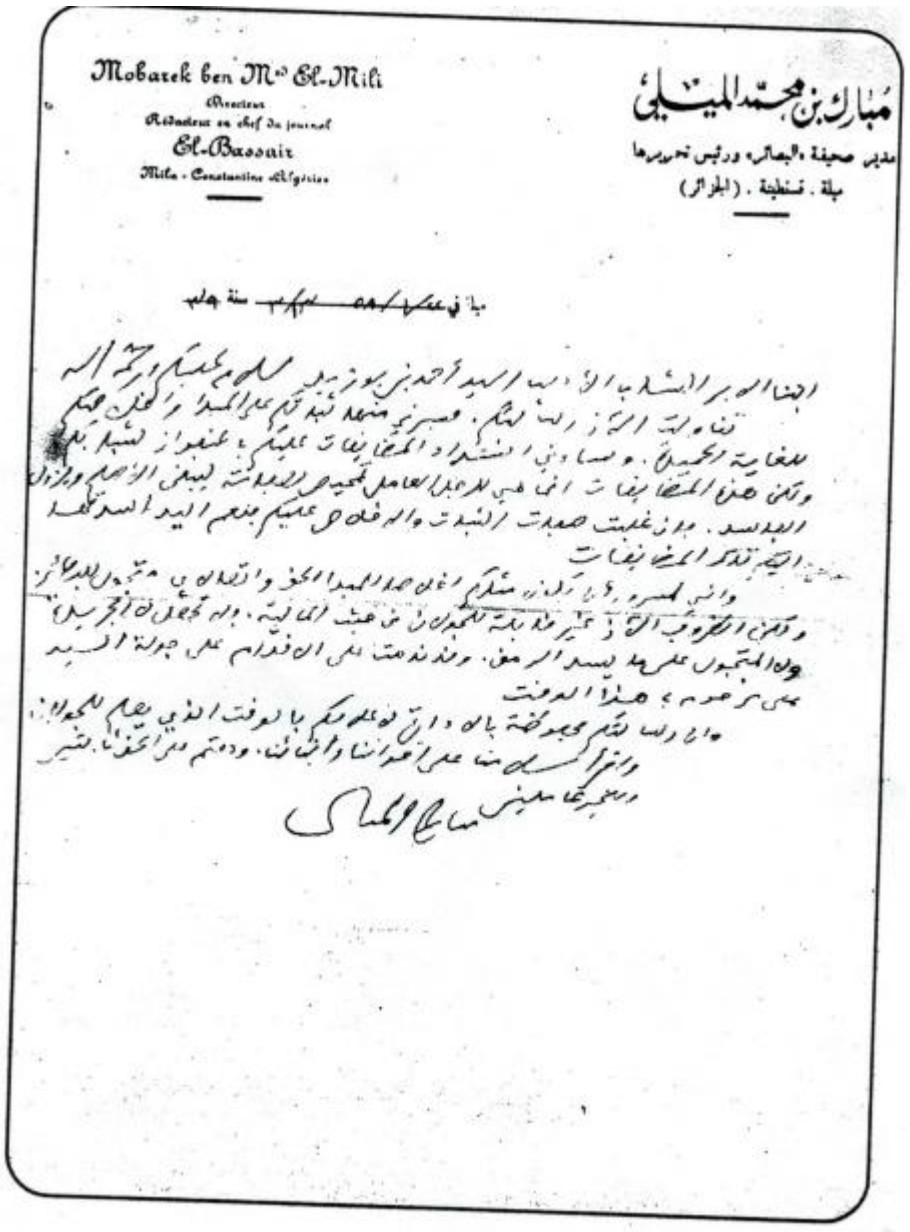

Mobarek ben Mohammed El-Mili
Directeur
Rédacteur en chef du journal
El-Bassair
Mila - Constantine (Algérie)

مبارك بن محمد الميلي
مدير صحيفة «البصائر» ورئيس تحريرها
ميلة . قسنطينة . (الجزائر)

المصدر: بلمبارك الأخضر وآخرون، مرجع سابق، ص74.

الملحق رقم (07): رسالة من الشيخ مبارك الميلي إلى تلميذه أبو بكر بن بلقاسم الحاج عيسى مؤرخة بسنة: 1934

Le trésorier de
l'association des Oulamas Musulmans
ALGÉRIENS
M'barek ben Mohamed El-Mili
PROFESSEUR LIBRE
MILA
(CONSTANTINE)

أمين مال
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
مبارك بن محمد الميلي
مدرس حر
ميلة (قسنطينة)

ميلة في ١٣٥٢ هـ
١٩٣٤ م

المصدر:علالي محمود ، الحركة الإصلاحيةفي الأغواط، bloutou.c، الجزائر، 2008، ص206.

الملحق رقم: تواجد نظام جيش التحرير الوطني

البلدية	مراكز التكوين	مراكز الاتصال	المستشفيات	ملاحظة
آفلو	2	2		المعطوبون ذو الجروح الخفية يعالجون في المستشفيات المتنقلة و الجرحى الكبار يعالجون بالمستشفيات القارة
سيدي بوزيد	3	16	(3) 2متنقل 1 قار	
سيقاق	2	3	1 متنقل	
تاجرونة	.	5	2 متنقل و قار	
قلتة سيدي سعد	1	2		
البيضاء	1	4	10 متنقل	
عين سيدي علي	.	4		
تاويالة	1	4	1 مستقر	
حاج المشري	.	6		
واد مرة	.	10	1 مستقر	
واد مزي	.	04		
الغيشة	1	12	(05) 04 متنقل1قار	
عين ماضي	.	2		
قصر الحيران	.	2		
حاسي الدلاعة	1	2		

الملحق رقم: التواجد الفرنسي بمنطقة الاغواط إبان الثورة التحريرية

البلدية	المراكز العسكرية	عدد السجون	مراكز التعذيب	المحتشدات	المعتقلات	المناطق المحرمة
الأغواط	4	3	4			نواحي
آفلو	3	2	5	1	1	1_
سيقاق	1	.	2	2	.	القعدة منطقة
سيدي بوزيد	1	1	1	2	.	محرمة و تشمل
قلتة سيدي سعد	1		1	1.	.	كل من - آفلو
البيضاء	1		1	1	.	- سيقاق
عين سيدي علي	1		1	1	.	- سيدي بوزيد
الغيشة	1	1	1	1	1	- واد مرة
تاجرونة	1	2	1	1	.	- البضاء الغيشة
عين ماضي	1		2	.	.	- واد مزي
الحاج المشري	1		1	.	.	
واد مرة	1		1	1	.	
حاسي الرمل	3		.	1	.	
حاسي الدلاعة	2		.	1	.	
قصر الحيران	2		1	1	.	
بن ناصر بن شهرة	1		.	.	.	
تاويالة	1	1	3	2	.	
يريدة	1		1	1	.	

ملاحظات:

1. **قصر الحيران بها ثكنة لجيش يلونيس و مراكز أخرى بالأغواط و سيدي مخلوف و حاسي الدلاعة**
2. **الاحصائيات ليست نهائية لنقص المصادر و الاحصائيات الدقيقة**
3. **المراكز العسكرية للعدو و مكونة من جنود فرنسي و حركة مهمتها مراقبة المواطنين و عزلهم عن الثورة.**

الملحق رقم: العمليات العسكرية والعمليات الفدائية و التخريبية و الكمائن

البلدية	العمليات العسكرية	العمليات الفدائية و الكمائن
الأغواط	08	45
آفلو	28	22
سيقاق	02	0
سيدي بوزيد	11	0
قتلة سيدي سعد	04	1
البيضاء	03	0
عين سيدي علي	04	2
الغيشة	74	3
تاجرونة	06	1
عين ماضي	28	6
الحويطة	06	1
تاجموت	28	5
الخنق	06	2
وادمرة	03	.
واد مزي	09	.
حاسي الرمل	02	2
يريدة	06	.
تاوايلة	03	4
قصر الحيران	05	3
المخزق	01	3
سيدي مخلوف	02	3
العسافية	01	.
المجموع	218	103

المصدر اجتهاد شخصي بالاعتماد على – الإحصائيات لأولية لمديرية المجاهدين بالأغواط

والتقارير الجهوية و الولائية لكتابة تاريخ الثورة بالاضافة إلى شهادات المجاهدين

فهرس الأعلام

حرف الالف

إبن ناصر بن شهرة 18
أبو العباس أحمد الفاسي 12
أبو العيد دودو 13
إدريس عمر 50، 68، 69، 104 105
إدريسي مُحَمَّد 33
إدريسي محمود 60
أعمران الشيخ 26
أودان موريس 99
أوعمران عمر46، 101
أولاد بوزيان 15
أولاد خريز 15
أولاد داود 14
أولاد زيان 19
أولاد زيد 15
أولاد سالم 14، 15
أولاد سخال 15
أولاد سرغين 15، 16
أولاد سيدي الشيخ 15
أولاد صالح 14
أولاد عبد الله 15
أولاد عيسى 14
أولاد يعقوب 14
أولاد يوسف 14

ابن بلة أحمد 72
ابن خلدون 12
ابن زيان أحمد 73
ابن عبد الرزاق أحمد 50، 51، 69، 108
ابن فرحات مُحَمَّد 73
ابن كواز 33
الأتراك 16
الأرباع 14،18
الأزهري محبوبي 42
الألماني عبد الله 105
التاج خالد 40
التاوتي أحمد 12
التجاني أحمد 16 54.
التيجاني بن عمر 55
التيجاني مُحَمَّد الصغير بن أحمد 16
التيجاني مُحَمَّد الكبير بن أحمد 16
الثعالبي الشقار 55
التهامي مُحَمَّد 72 / 73
الجودي بلقاسم33، 70، 86
الحاج العربي بن الحاج عيسى (خليفة) 17 18
الحاج عيسى أبو بكر 52، 53
الحبيب شهرة 42
الحجاج 14،15
الحرازلية 14، 18، 33
الرق أحمد 98

الزاهري سعيد 20
الزاوي الطاهر 79
السعيدي شريف 68، 99
السكاسكة 14
السلامي بن دهكال 34
الشرقي الحاج 82
الشرقي قدور 103
الشريف مُحَمَّد بن عبدالله 18
الشطة أحمد 87
الشيخ سليمان 100
الصادق جغروري 31
الصادق سليمان دهيلس الكولونيل 33
الصادق طالبي (شهيد) 33 41 70 86
الصادقي مسعود 72 73
الصايم رشيد 96
الصدوقي 32
الصغيرات البشير 106
الطاهر مرجاني 40
الطيب جغلاني 50
العبابدية 14
العربي بن مهيدي 26 27 29 45 46 112
العريف علال 73 74
العقيد لطفي 42 46 50 76 77 78 81
العكسي عبد القادر 79
العياشي 12

اولاد سيدي عطالله 14
الفارقدور 20
الميلي مبارك 20
النوراني مصطفى 42، 105، 106

حرف الباء

باجي مختار 27
بان (الكمندان) 19
براهيمي خبرة 58
بغدادي علي 41
بلحاج عبد القادر 99
بلوزداد عثمان 27
بلوزدادمُحَّد 25
بلونيس 53. 69. 72. 99. 101. 102. 103. 106. 107. 108. 109
بليسبي (الجنرال) 19
بن ابراهيم عيسى15
بن الجندي معمر 60، 61
بن الزبير أحمد 32، 36، 42
بن السايح بن حرز الله 76
بن الشيخ بن مُحَّد 86
بن الشيخ علي 105
بن الميتوت عطا الله 31
بن بوطة 15
بن بولعيد مصطفى26، 27، 29، 30، 31، 45، 46، 112.
بن جعرون عبد المالك 98
بن زعنونسائح 16

بن زيان أحمد 72 / 73
بن سالم أحمد 16، 17، 18، 21، 33
بن سالم مُحَمَّد بن حميدة 33، 34، 52
بن طوبال 27
بن عبد السلام مُحَمَّد 73،74
بن عبد الغاني أحمد 72، 73، 107
بن عبد المالك رمضان 27
بنعمر مُحَمَّد 40
بن عمر محمود 40
بن عمر مصطفى32، 40، 54، 78، 79.
بن عودة مصطف 27
بن عيشة مُحَمَّد بن عواك 23
بن فرحات مُحَمَّد 72
بن لخضر أحمد 16
بنمهية قدور39
بوبكر خمزة 91، 94، 95
بوحفص أحمد 34
بوخلخال معمر 34
بوراس مُحَمَّد 21
بورحيس مونري 93
بورقعة 99، 102، 108
بوسكرين جيران 19
بوشارب الطاهر 40
بوشريط الأشحم 57
بوشريعة مسعودة 58

بوشعيب أحمد 27
بوشكارة 19
بوشوشة 33
بوصوفعبد الحفيظ 27 , 41
بوضياف مُحَمَّد 26 27 28 29
بوعجاج الزبير 27
بوعلي سعيد 27
بوقاري مُحَمَّد 34
بيطاط رابح 26 27 28 29
بيوض ابراهيم 33، 94
حرف التاء
تاج مدني 22
ترانكي 105، 109
تريماي كولونيل 84
تليجي عمر 41
حرف الجيم
جانتي (مهندس) 72
جريدان الأزهري 40
جغاية مُحَمَّد 34، 37، 39
حرف الحاء
حباشي عبد السلام 27
حراث مُحَمَّد 21
حشاني جاب الله 72 / 73
حنانة الصادق 57
حنحان سعد 86

حرف الخاء

خالد (الأمير) 20

حرف الدال

دخلي بشير 26

دريش الياس27

دوة قدور 32، 52

دوّة مُحَمَّد 106

ديدوش مراد 27 , 29

ديغول (الجنرال) 71، 89، 94، 108، 109، 115

ديقش بختة 58

حرف الراء

رحمان 14

رحماني عبد الرحمان 34

رحمون عواك 39

رزوق الطيب 57

رزوق مُحَمَّد 40

رمضان بوشبوبة 26

روش ليون 17

حرفالزاي

زخروف مُحَمَّد 98

زرزي أحمد 104 105 107

زنيط عيسى 36

زيان عاشور39، 49، 50، 68، 69، 104

زيغوت يوسف 45، 46

حرف السين
سدي الحاج عيسى الشريف 15
سعلي عبد الرحمان 41
سعيدي شريف 69
سلان 102
سوستيل (جاك) 90، 101
سي عبد الله 33
سي مراد 41
سيوزي102
حرف الشين
شاتو جوبير 78
شطة أحمد 52
شعباني مُحَمَّد 31
شناف فاطنة 60، 61
شيحاني بشير 45
حرف الصاد
صدوقي الحاج 82
صدوقي بن عيسى 103
حرف الطاء
طالب أحمد 96
طالب مُحَمَّد 52
حرف العين
عبادو السعيد 96
عبان رمضان 45، 46
عبد العزيز مُحَمَّد 21

عبد القادر (الأمير) 17
عبد الكريم حساني 41
عبدالناصر جمال 25, 28
عثمان (باي) 16
علي ملاح، (سي شريف) 49 68
عميروش 40، 41، 102
حرف الغين
غزال حرز الله 33
غزال سليمان 33، 33، 35، 37
غني مولى 91/89
حرف الفاء
فانون فرانز 99
فرحات بلقاسم (بن شاوي) 34، 35
فرحات عباس 52
فرومنتان أوجين 14، 19
فور(مهندس) 72
فوشان مفتاح 86
فيلمين 90
حرف القاف
قازي البشير 40
قصبة أحمد 53، 54
قفافالدولة 104
قلوزة مُحَمَّد 72
قيمتي عطا الله 86

حرفالكاف

كانز 57، 102
كربوش عيسى 74
كركبان أحمد 3،74،75،105
كركوب مولاي الطيب 79
كروم بن عزوز 39
كريريشعيسى 73، 83، 97
كريم بلقاسم 26 .28 .29، 46، 101
كعبوش بن حرز الله 33، 35، 37
كوبيس 99

حرف اللام

لاكوست 102، 109
لشلح قويدر 59
لعمودي عبد القادر 27
لوبون 72
لوجون ماكس93، 94، 95

حرف الميم

مارتيني 84
ماسيلو 1001
ماليستيان (الألماني) 13
ماندوز أندري 99
ماندیس فرانس 90
مايدي مبارك 39
متيجي ناصر 79

محبوبي مُحَّد الحاج 40
محجوبة بنت سيدي الحاج بوحفص 15
مُحَّد الكبير (باي) 16
مراد علي 91
مراد مُحَّد 33
مشتح عيسى 32، 33، 34، 36، 98
مشراوي 58
مشلطي مُحَّد 27
مصاليالحاج25 ,26
مصطفى بن بولعيد 26 27 29 30 31
معزوز مبارك 82
مغراوة 12
مفتاح 104
مفدي زكريا 61
منجل 1002
موسنى (نقيب) 12
موسى مراد 75
مولاي ابراهيم 55،75
مولاي عبد الله75
مونج (الجنرال) 18
مصالي الحاج99، 100،101، 108
ميلوديعمر59
حرف النون
نبق بوبكر 104

حرف الهاء

هلال 14
هوشي منه 25

حرف الياء

يوسف (الجنرال) 18 19
يوسفي مُحَمَّد 59

فهرس الأماكن و البلدان

أ

إفري أوزلاقن 45
أفلو 30، 31 36، 37، 39، 43،68، 74، 75، 76، 77، 84، 102، 107
إليزي 48
أنفوس 76
إيفيان 109، 110
افريقيا الغربية 17
القعدة 31، 36، 39، 42،75 68، 74، 76، 80، 81، 84
الأبيض سيدي الشيخ 94
الأزهرية 42
الأصنام 23
الأطلس الصحراوي 13
الأوراس 23، 32، 40، 45، 46، 76، 89، 113
الأغواط
12،13،14،15،16،17،18،19،42،43،48،50،51،52،53،55،56،67،6
71،72،73،74،90،91،106،108،110،112،113،114
البرواقية 29، 36
البليدة 32 . 38
البويرة 102
البيض 30،76
الجبل الأزرق 84
الجزائر 20، 22،89
الجلفة 48، 50،73،74،102،104

الجنوب 112، 113
الجنوب التونسي 15
الحصباية 12
الحويطة 14،73،74
الدار البيضاء 41
الزاب 12، 15
الزبارة 13
الساورة 93، 94
السينغال 55
الشوابير 75، 76، 77
الصحراء 13، 17، 19، 20، 23،30، 31،50،90، 93، 94، 104، 110، 114
الصوادق 13
الصومام 30، 34، 43، 45، 56، 48، 49، 51، 53، 60، 62، 67، 70، 75،84، 113، 114
العسافية 14،82
الغزوات 72
الغيشة 75 76 ، 77، 107
القاهرة 28، 41
القبائل26،29 ،101
القصبة 13
الكدية 30، 31
المخرق 18، 35
المدية 18
المسيلة 48

المغرب 89
المغرب الأقصى 15
المملكة المغربية 16
المنيعة 19،33، 39
الميمونة 76
الواحات 93،94،114
الواحة الشمالية 13
الوادي 48
الولاية الأولى 49، 51
الولاية الثانية 49
الولاية الخامسة 42، 49، 105، 106، 107، 97، 68، 71، 73، 77

الولاية الرابعة 49،51،102،108
الولاية السادسة 42، 49، 50، 51، 68، 69، 97، 105، 108
الونشريس 42

ب

باتنة 33
برج منايل 101
بريان 34, 35 36 37
بزيبز 36
بسكرة 29،30،31،33،48
بشار 30،53،93،96
بلغراد 110
بوزريعة 62
بوسعادة 30،50،102،103،104

بوكحيل 84

ت

تاجموت 14، 34، 37،73،74،91

تاونزة 61،81،82،105

تسمسيلت 42

تقرت 16، 19، 30،93،96

تلمسان 15، 16

تمنراست 29

توات 16

تونس16، 19، 31، 40،47،89

ج

جبال أولاد عمران 39

جبال الأطلس76 ،94، 102

جبال العمور 13، 16،68

جبال جرجرة 45

جبل الناظور 102

جبل بوقرقور 76،77،79

جبل تامر 41

جبل خناق عبد الرحمان 77، 78، 79

جبل راشد 12، 13

جبل زعطوط 76،77،80

جبل لزرق 38

ح

حاسي الدلاعة 33 .34،103،105

حاسي الرمل 91، 97، 114

حاسي بحبح 31
حجرات الوذان 107
حوش النعاس 104 105

د

ديان بيان فو 74 76

ز

زدين 99
زنينة 39

س

سطافة 35 36
سور الغزلان 29
سوريا 16
سويسرا 109
سيدي عثمان 75
سيدي مخلوف 34،82
سيق 20

ش

شرشال 99
شط ملغيغ 13
شفة 32
شمال إفريقيا 13
شمال قسنطينة 45

ط

طرابلس 16

ع

عين الصفراء 30،93
عين صالح 39
عين ماضي 14، 16، 17، 34،74،80،81،86
عين وسارة 55

غ

غدامس 16
غرداية 19، 33، 35، 37، 38، 39، 72، 93، 94

ف

فاس 16
فرجيوة 15
فرنسا 47، 58، 72، 90، 93، 101، 103، 106، 108، 109، 110، 115.
فلسطين 32

ق

قابق 81،97
قتلة سيدي ساعد 58
قرية الفضة 36
قسنطينة 20،109
قصر البخاري 50
قصر الحيران 14، 18،23،33، 34، 38، 39،61، 71، 81، 82، 83، 102، 104، 105
قصر بن بوطة 14، 15
قناة السويس 78
قورارة 15

ل

لوسرين 109
ليبيا 28، 34

م

مادنة 106
متليلي 38 39
مسعد 31
مصر 16
مولان 109

و

واحات الزيبان 13
واد المناس 82
واد خلوف 31
واد سوف 16، 29، 30
وادي مزي 13، 19
ورقلة 16، 18، 19، 30، 36،48،97
وهران 15، 16

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
تشكرات	
اهداء.	
مختصرات	
مقدِّمة.	**ب**
الفصل التمهيدي: منطقة الاغواط .."الاصول والتغييرات"	**11**
توطئة	**11**
المبحث الاول: الاغواط ..حفرية طوبونيمية	**11**
المبحث الثاني: منطقة الأغواط في الفترة الحديثة: "بروز المجال وصراع التبعية" **سهى**	**17**
المبحث الثالث: التغلغل الفرنسي في منطقة الأغواط (1830-1850): بين صراع الولاءات والاضطرابات المحلية	**07**
المبحث الرابع: انتفاضة الشريف مُحَمَّد بن عبد الله وبن ناصر بن شهرة وسقوط المدينة 1850-1852	**11**
الفصل الاول: مجتمع الاغواط بعد الاحتلال	**50**
المبحث الأول: تركيبة مجتمع الأغواط	**50**
المبحث الثاني: الإدارة الفرنسية لمنطقة الأغواط	**60**
المبحث الثالث: خصائص ومميزات المجتمع الأغواطي	**68**
المبحث الرابع : العادات اليومية والاحتفالية لمجتمع الأغواط	**77**
الفصل الثاني: الاوضاع الاقتصادية في منطقة الاغواط	**90**
المبحث الأول: ملامح الحياة الاقتصادية بمنطقة الأغواط قبل اكتشاف الغاز الطبيعي	**90**
المبحث الثاني: منطقة الأغواط في المشروع الاقتصادي الكولونيالي	**105**
المبحث الثالث : المشروع الاستعماري لاستغلال المحروقات في حاسي الرمل	**126**

جنوب الأغواط	
الفصل الثالث: الثقافة الاغواطية بعد الاحتلال	**86**
المبحث الاول: الثقافة الشعبيّة	**137**
المبحث الثاني: الثقافة الدينيّة التقليديّة	**137**
المبحث الثالث: الثقافة الاستعمارية	**146**
المبحث الرابع: محاولات الاصلاح	**156**
الفصل الرابع: الثورة واثرها على الواقع الاغواطي	**177**
المبحث الأول: امتداد الثورة إلى الجنوب الجزائري:	**177**
المبحث الثاني: الدور السياسي لأبناء الأغواط في الثورة:	**189**
المبحث الثالث: دور منطقة الأغواط في الثورة الجزائرية 1962-1956 (عسكريا)	**189**
المبحث الرابع: السياسة الفرنسية في منطقة الأغواط أثناء الثورة التحريرية	**200**
الخاتمة	**231**
الملاحق	**246**
فهرس الاعلام	**250**
فهرس الاماكن والبلدان	**262**
فهرس الموضوعات	**269**

ملخص الأطروحة:

عالجت هذهالأطروحة الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي في منطقة الأغواط في ظل الاحتلال الفرنسي منذ احتلال مدينة الأغواط سنة 1852 وإلى غاية استقلال الجزائر سنة 1962، حيث تطرقت إلى جغرافية الأغواط الطبيعية والبشرية، مع إعطاء لمحة حول التطور التاريخي للمنطقة منذ العصور القديمة وصولا إلى الاحتلال الفرنسي للمنطقة والسياسات الاستعمارية التي استهدفت الجوانب الادارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية ومدى تفاعل المجتمع الأغواطي معها، وتأثيرها عليه سلبا أو إيجابا.

كما تطرقتهذه الأطروحة أيضا إلى الثقافة الشعبية المحلية والتراث المادي المتمثل في القصص والأساطير والشعر الشعبي وتأثير الطرق الصوفية على الوضع الثقافي والتعليمي، وصولا إلى نشاط الحركة الإصلاحية في ميدان التعليم والبعثات العلمية والتبادل الثقافي والصحافة وبناء المؤسسات التعليمية، لينتهي هذا البحث بالتطرق إلى الثورة التحريرية وأثرها على المنطقة.

Thesis Summary:

This thesisdealtwith the social, economic and cultural reality reality of the Laghouat regionunder the French occupation from the occupation of the city of Laghouat in 1852 until the independence of Algeriain 1962, as ittouched on the geography of natural and human Laghouat, whilegiving a glimpseinto the historicaldevelopment of the regionfromancient times to the French occupation of the region and colonial policiesWhichtargeted the administrative, economic, social, cultural and religious aspects and the extent of the interaction of the Aboriginalcommunitywithit, and its impact, negatively or positively.

This thesisalsotouched on the local folk culture and the tangible heritagerepresented in stories, legends, folk poetry, , and the influence of Sufi methods on the cultural and educational situation, up to the activity of the reformmovement in the field of education, scientific missions, cultural exchange, journalism and institution building Educational, soThis research ends by addressing the liberation revolution and its impact on the region.

.